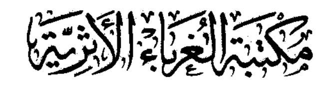
أوضح الإشارة
في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة

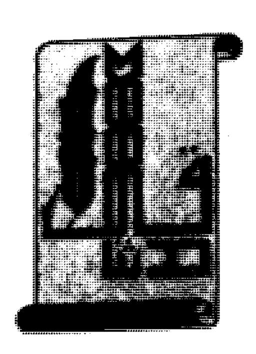
تأليف

أحمد بن يحيى النجمي



الطبعة الثانية

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م



مكتبة الغرباء الأثرية

هاتف: ٨٣٤٣٠٤٤ - ف: ٨٢٦٤١٠٦

ص.ب: ١٤٤٩ - المدينة النبوية

المملكة العربية السعودية

ترخيص: ٤٥٨٠/ك

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد دلنا على أبواب الخير ومفاتيح الهدى وحذرنا وأنذرنا أسباب الشر ومزالق الرَّدَى ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان على الحق والخيرواهتدى .

أما بعد فإن الله بعث نبينا محمدًا بدين الإسلام ـ وله الحمد ـ إلى الجن والإنس والأبيض والأسود فبدأ بدعوة أهله الأدنين وعشيرته الأقربين فقال لهم : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، قولوا لا إله إلا الله كلمة تدين لكم بها العرب وتملكون بها العجم ، فقالوا : أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب .

وكذبوه وعادوه ونبزوه بالألقاب الكاذبة الفاجرة ، وذلك بقصد تحقيره والتنفير عنه فتارة يقولون كاهن ، وتارة يقولون كذاب ، وتارة يقولون شاعر ، وتارة يقولون مجنون ، وتارة يقولون مُعَلّم علمه بشر إلى غير ذلك ، وكانوا قبل ذلك إلى أن بلغ أربعين سنة يسمونه أو يلقبونه الأمين لما عرف وشاع بينهم من صدقه وأمانته .

فصبر وصابر واجتهد وثابر ودعـا الناس سِرًّا وعلنًا ليلاً ونهارًا ولما تابعه عـدد من قومه على الإسلام قـام عليهم المشركـون فأذوهم أشد الأذى ، وعذبوهم أبـشع تعذيب فأمروا بـالهجرة إلى الحبشـة فهاجر البـعض ، وبقي الـبعض وهـم في كل عـام يزيدون ويكـثرون إلا أن السيطرة للمشركين ، والمسلمين مضطهدون .

ثم عقد المشركون مـؤتمرًا يهدفون منه للتخلص مـن النبي ـ صلى الله علـيه وسلم ـ فاتفـق رأيهم على الفـتك به صلوات اللـه وسلامه عليه فأرصدوا له اثـني عشر شابًا بأيديهم السيوف مصـلته فأمر الله ـ عز وجل – نبيه بالهجرة فخرج من بينهم وقد أعمى الله ـ عز وجل ـ أبصارهم عـنه ونجاه منهم وأتم له الهـجرة إلى المدينة ولما وصـل إليها وجد بها أنصارًا عزروه ونصروه وجـاهدوا معه أشد الجهاد وأَمَّره حتى نصره الله علـى قومه فدخل مكة فاتحًا وأصبحـت مكة دار إسلام كما أن المدينة دار إسلام وحيـنئذ دخل الناس في دين الله أفـواجًا فجعلت كل قبيلة ترسـل وفدها بإسلامها ولم يوافه الأجل حتـى كانت جميع جزيرة العرب تدين بدين الإسلام إلا بقايا تحت إمرة المتنبئين الكذابين.

ولما مات النبي ـ صـلى الله عليه وسلم ـ كانت للـناس جفلة عن الإسلام وردة عنه فعقد الخليفة الأول أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ثلاث عشرة راية لثلاث عشرة فرقة من الجيش فـكان النصر حليفهم في كل مكان ذهـبوا إليه وظهروا عـلى جميع العـرب بعد جهاد شديـد مرير

أشده موقعة اليمامة ، ولم تمض إلا عـامين فقط من وفاة نبي الهدى ـ صلى الله علـيه وسلم ـ حتى وقفوا على أبواب دمـشق وشواطئ نهر الفرات ثم واصلوا الـفتوح في عهد الخليفة الثانـي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والخليفة الثالث عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، وفي عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ استـولى المسلمون على جميع بلاد فارس مملكة كسرى ومعظم بلاد قيـصر ، وبلغت جيوش المسلمين إلى أواسط أفريقيا جنوبًا .

فأثـار ذلك حنق أعـداء الإسلام من يـهود ونصارى ومـجوس ، ورأى خبثائهم أنهم لن ينالوا من الإسلام شيئًا بطريقة المواجهة فقرروا أن يكـيدوا له ولأهـله ، وكـان من أعظـم أولئك خـبثًا ودهـاءًا ومن أشدهم مكـرًا وكيدًا عبد اللـه بن سبأ اليهـودي ديانة والصنعـاني بلدًا فأظهر الإسلام رغبـة فيه ولا خبثًا له ، ولكن بقصد الـكيد له ولأهله ولعله قد خرج مـع وفود اليمن الذين كانوا يخرجون بـقصد المشاركة في ميـادين الجهاد فاستـقر في العراق ، وجعـل يبث سمومه ويـنشر أفكاره البـائسة الخبيثة ، ومن أجـل ذلك فقد تبنى هذا الخـبيث حب علي بن أبي طالب من أجل أن يتوصل إلى مآربه وأهدافه القذرة وهي إشاعة الوصـاية لعلي والطـعن في عثمان والتـأليب عليه بـأنه خالف هدي الـشيخـين وأنه أعطى الـولايات لأقربـاءه وأنه أتم الصـلاة في عرفات ومزدلفة ومنى إلى غير ذلك مـن الأشياء التي زعموا بأنها نقد

في حقــه مخالفة لهــدي الشيخين ولم يــكن مقصوده إلا الطــعن في الخلفاء قبــله والغلو فيه ـ رضي اللــه عنه وعنهم جميــعًا ـ حتى يخرج الغالين من الإسلام بالــغلو ويخرج الطاعنين في الثلاثة قــبله والتنقص لهم ولسائر الصــحابة والحكم عليهم بالكفــر يُخْرِج به من اعتقده إلى الكــفر أيضًا ، وهذا هــو مبدأ الرّفــض وأساسه ولــهذا اتفقــت أقوال السلف على ذم أهل الرفض والتحذير منهم ومن مذهبهم الباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على ابن المطهر الحلي في كتابه الذي سماه « منهاج الكرامة في معرفة الإمامة » قال : وهذا المصنف سمى كتابه منهاج الكرامة في معرفة الإمامة وهو خليق بأن يسمى منهاج الندامة كمــا أن من ادعى الطهارة وهو من اللذين لم يرد الــله أن يطــهر قلــوبهم بل « هــو » من أهل الجــبت والطــاغوت والنفاق كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير ، ومن أعظــم خبث القــلوب أن يكــون في قلــب العبد غِلٌ لخــيار المؤمــنين وسادات أولياء الله بــعد النبيين ـ إلى أن قال : ولهذا كــان بينهم وبين اليهــود من المشابــهة واتباع الــهوى وغير ذلــك من أخلاق اليــهود ، وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل واتباع الهوى وغير ذلك من أخــلاق النصارى ما أشبــهوا به هؤلاء من وجــه وهؤلاء من وجه ، ومــا زال الناس يــصفونــهم بذلــك ، ومن أخبــر الناس بــهم

الشعبي وأمثاله من علماء الكوفة .

وقد ثبت عن الشعبي ـ رحمه الله ـ أنه قال : ما رأيت أحمق من الخشبية لو كانوا من الطير لكانوا رُخَمًا ولو كانوا من البهائم لكانوا حُمُرًا ، والله لو طلبت منهم أن يملئوا هذا البيت ذهبًا على أن أكذب على علي لأعطوني ووالله ما أكذب عليه أبدًا .

وقال في (صفحة ١٦ ج ١) : وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب .

قال أبو حاتم الرازي : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة ؟ فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون .

وقال أبو حاتم : حدثنا حرملة قال : سمعت الشافعي يقول : لم أر أشهر بالزور من الرافضة .

وقال مؤمل بن إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول : نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون .

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعت شريكًا القاضي يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا .

وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي قاضي الكوفة كان من أقران الثوري وأبي حنيفة وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه : أنا من الشيعة وهذه شهادته فيهم .

وقال أبو معاوية : سمعت الأعمش يقول : أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين يعني أصحاب المغيرة بن سعيد .

وقال الأعمش : لا عليكم ألا تذكروا هذا فإني لا آمن أن يقولوا وجدنا الأعمش مع امرأة .

قال شيخ الإسلام : وهذه آثار ثابتة رواها أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الكبرى أهـ .

وقد ذكر خصالاً من مشابهتهم لليهود من رواية عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي منها تأخيرهم للمغرب إلى اشتباك النجوم ، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم ، ومنها أن اليهود قالوا : لا تصلح الإمامة إلا في آل داود ، وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي بن أبي طالب ، واليهود تزول عن القبلة شيئًا ، وكذلك الرافضة ، واليهود تنود في الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن ، واليهود قالوا : افترض علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا يخصلون السلام على المؤمنين إنما يقولون السام عليكم

، والسام الموت ، وكذلك الرافضة ، واليهود لا يأكلون الجَرِيّ والمرماهي والذناب وكذلك الرافضة ، واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة ، وقد أخبرنا الله ـ عز وجل ـ عن اليهود بقوله ﴿ **وقالوا ليس علينا في الأمين سبيل** ﴾ أي في أكل أموالهم .

واليهود تسجد على قرونهم في الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا تسجد حتى تخفق برأوسها مرارًا تشبيهًا بالركوع وكذلك الرافضة

واليهود ينتقصون جبريل ويقولون : هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون : غلط جبريل بالوحي على محمد .

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة ، فالنصارى ليس لنسائهم صداق وإنما يتمتعون بهن تمتعًا وكذلك يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة .

وفضلت اليهود والنصارى بخصلتين على الرافضة :

سألت اليهود من أخير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى .

وسألت النصارى من أخير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواري عيسى

وسألت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم أهـ من منهاج السنة (ج ١ ص ٧/ ٨ بتصرف) .

قوله : يعنون أصحاب محمد أي يعنون طلحة والزبير وسائر الصحابة .

ثم قال شيخ الإسلام في ص ٩ من كتابه المذكور ج ١ : وهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مِغْول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا ويزيد بعضها على بعض إلا أن عبد الرحمن بن مالك بن مغول ضعيف ، وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام ، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين في آخر خلافة هشام (يعني ابن عبد الملك) .

قال أبو حاتم البُستي قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين وصُلِبَ على خشبة وكان من أفاضل أهل البيت وكانت الشيعة تنتحله .

قلت (يعني ابن تيمية) : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ترحم عليهما فرفضه قوم فقال لهم : رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه وسمي من لم يرفضه زيدية لانتسابهم إليه .

قلت : ولم يكن من لم يرفضه في ذلك الموقف بنجاة من الرفض

فالزيـدية لهم نصـيب من الرفض إن كان الـرفض هو السب والـشتم للصحابة والـترك وعدم الاحترام ، فالزيدية يسبون عـائشة أم المؤمنين ويسبون معاوية وعمرو بن العاص ومعظمهم إن لم يكن كلهم يفضلون ويقدمون عـليًا على عثمان وهـذا هو عين الرفض وإن كانـت الزيدية أخف شرًّا مـن سائر الروافض ، وقـد تبنّت الزيـدية مذهب المعـتزلة وأصولهم الخمسة فهم يقولون : أن القرآن مخلوق ويقولون أن الله لا يرى في الآخرة ، ويقولون بالعدل على نحو قول المعتزلة .

قال رحمه الله : ولما صلب كانت العباد (يعني منهم) تأتي إلى خشبته بالليل فيتعبدون عندها .

والشـعبي توفـي في أوائل خلافـة هشام وأخر خـلافة يزيد سـنة خمس ومائة ، ولم يكن معروفًا لفظ الرافضة ولكن يسمون بغير ذلك الاسم كما يسمون بالخشبية .

فيكون المـعبر عنهم بـلفظ الرافضة ذكـره بالمعنى مع ضـعف عبد الرحمن بن مالك بن مغول ، ومـع أن الظاهر أن هذا الكلام إنما هو نظم عبد الرحمن بن مالك بن مِغْول وقـد سمع طرفًا منه من الشعبي رحمه الله ، وسواء كـان هو ألفه ونظمه لما رآه من أمور الـشيعة في زمانه أو لمـا سمعه عنهـم أو لما سمعه مـن أقوال أهل العلم فـيهم أو بعضه أو مجموع الأمرين أو بعضه لهذا وبعضه لهذا .

فهذا الكلام معروف بالدليل الذي لا يحتاج إلى إسناد .

وقول القائل : إن الرافضة تفعل كذا المراد به بعض الرافضة كقوله تعالى: ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ فإنه لم يقل ذلك كل يهودي بل فيهم من قال ذلك .

وما ذكره (يعني : عبد الرحمن بن مالك بن مغول) موجود في الرافضة وفيهم أضعاف ما ذكره مثل تحريم بعضهم للحم الأوز والجمل مشابهة لليهود ، ومثل جَمعِهم للصلاة دائمًا فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات مشابهة لليهود ، ومثل قولهم : لا يقع الطلاق إلا بالإشهاد على الزوج مشابهة لليهود ، ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب ، وتنجيسهم ما يصيب ذلك من المياه وغيرها من المائعات ، وغسلهم للأنية التي يأكل فيها غيرهم مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود ، ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود ، ومثل استعمالهم للتَّقِية وإظهار خلاف ما يبطنون من العداوة مشابهة .

ونظائر هذا كثير . أهـ منهاج السنة (ج ١ ص ١٠) .

قال رحمه الله : وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جدًا مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد . قلت : لعلهم فعلوا ذلك بُغْضًا لاسم يزيد لأنه كثير في بني أمية .

قال : ومثل كون بعضهم لا يأكل التوت الشامي ومعلوم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه كانوا يأكلون مما يجلب إليهم من بلاد الكفار ويلبسون ما تنسجه الكفار بل غالب ثيابهم كانت مما ينسجه الكفار . قلت : لعلهم فعلوا ذلك بغضًا للشام لأن أهلها نواصب فيما يزعمون .

قال : ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء فلا يبنون على عشرة أعمدة أو عشرة جذوع ونحو ذلك لكونهم يبغضون العشرة خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ يبغضون هؤلاء إلا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، ويبغضون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين بايعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربع مائة .

وثبت في صحيح مسلم وغيره أن غلام حاطب قال : يا رسول الله ، والله ليدخلن حاطب النار . فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **كذبت إنه شهد بدراً والحديبية** » .

وأنهم يتبرأون من جمهور هؤلاء بل تبرأون من سائر أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا نفرًا قليلاً نحو بضعة عشر ،

ومعلوم أنـه لو فرض أن في العالم عـشرة من أكفر النـاس لم يجب هجر هذا الاسم لذلك .

ومن ذلك هجـرهم لاسم أبي بكر وعـمر وعثمان ولمن يـتسمون بذلك حتـى يكرهون معاملتـه ، ومعلوم أن هؤلاء لو كانـوا من أكفر الناس لم يشرع ألا يتسمى الرجل بمثل أسمائهم .

ومن حماقاتهم أنهـم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد يـنتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامِّراء الذي يزعمون أنه غاب فيه ومشاهد أخرى .

قلت : المـنتظر هو من أعـظم حماقاتـهم وأشدها بشاعـة حيث زعموا أن الحسـن العسكري الذي مات عـقيمًا وكان له وكيـل يجبي المال من الشـيعة فلما مات خاف ذلـك الوكيل أن تمنع عنـه الجبايات التي كان يجبيـها باسم الحسن العسكري في حياته فـاختلق كذبة زعم فيها أن الحسن العـسكري له ولد صغير يجبي ا لمال بـاسمه فلما طال الزمن ولم يرو ذلك الولد خرج إلى حياة الناس فسألوه عنه ؟ فقال : إنه دخل في الـسرداب وإن له غيبه قصيـرة وغيبه طويلة وإنـه سيخرج فيلمؤ الأرض عدلاً كـما ملئت جورًا فصدقت عقـولهم هذه المخارق والترهات، وكان مما زعم لهم هذا المخرف أو غيره ممن كملوا المشوار أن هذا الإمام المنتـظر يعلم الغيب ، وأنـه سيظهر وينتصـر لآل محمد جميـعًا ، وأن أول من يقتـص منه أبو بـكر وعمر وأنـه سيعمـر مائة وعشرين ألف سنة وأنه لا بعث ولا جزاء إلا هذا مخارق يطول ذكرها

قال رحمه الله : وقـد يقيمون هناك دابة إما بغـلةً وإما فرسًا وإما غير ذلـك ليركبها إذا خـرج ويقيمون هـناك طرفي النهـار ، وإما في أوقات أخر .

(ومنـهم) من ينـادي عليه بـالخروج يا مـولانا اخرج ويشـهرون السلاح ولا أحد هنـاك يقاتلهم ، وفيهم من يـقوم في أوقات دائمًا لا يصـلي خشيـة أن يخرج وهو فـي الصلاة فـيشتغـل بها عن خـروجه وخدمته .

ومن حماقاتهـم أنهم يوالون ويعادون عليه كمـوالاتهم المشركين ومعاداتهم على آلهتهم .

ومن حماقاتهـم أنهم يجعلون معرفة الإمام ركـنًا في الدين لا يتم الدين إلا به وبعضـهم يجعلون ذلك هو الدين بـدلاً عن الشهادتين ـ والعياذ بالله ـ .

ومن حماقاتهم تمثيلهم لمن يبغضونه مثل اتخاذهم نعجة وقد تكون نعجـة حمراء لكون عـائشة يقال لهـا الحميراء ، ويجـعلونها عـائشة ويعذبون تـلك النعجة بنتـف شعرها وغير ذلك يرون أن ذلـك عقوبة لعائشة .

ومن حمـاقاتهم أيـضًا اتخاذهم حـلسًا مملوءًا سـمنًا ثم يشـقونه ويشربون السَّمن ويقولون هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه .

ومنها جعلهم لحمارين من حمر الرحاء يسمون أحدهما أبا بكر والآخر عمر ثم يقومون بعقوبة الحمارين جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبة لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما .

ومنها تسميتهم لكلابهم وحميرهم بالشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ .

ومنها كتابتهم لأسمي الشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في أسفل أقدامهم إهانة لهما حتى كان أحد الولاة إذا أُتِي إليه بأحد منهم فعل ذلك يضرب قدميه ضربًا شديدًا ويقول : إنما أضرب أبا بكر وعمر ولا أزال أضربهما حتى أقطعهما .

انتهى من كتاب منهاج السنة بتصرف .

وبالجملة فإن حماقاتهم كثيرة جدًّا وليس المقام مقام استقصاء ، ولكن مقام إشارات تدل على ما وراءها وتنبيه يدل على بُعْدِ هؤلاء عن الإسلام وإن زعموا أنهم هم المسلمون دون غيرهم.

إنَّ عقيدتهم بعيدة كل البعد عن الإسلام :

١ ـ فالإسلام يجعل أساس الإيمان هو الشهادتين شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

والرافضة يقولون : المفروض على العبد معرفة إمامه ، أو يجعلون معرفة الإمام أحد أركان الإسلام .

٢ ـ والإسلام يجعل التوحيد ينبني على قاعدتين عظيمتين :

أولاهما : الإيمان بالله ، والثانية : الكفر بالطاغوت .

والرافضة يجعلون عبادة الطاغوت هي الإيمان فينكرون على من دعا إلى التوحيد أشد الإنكار ويعادونه أشد العداء ويستبيحون دمه وماله .

٣ ـ والإسلام يمنع الغلو وينهى عنه أشد النهي قال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ .

والرافضة دينهم أساسه ينبني على الغلو المحرم وعلى التقديس الممقوت .

٤ ـ والإسلام يمنع العصمة لغير الأنبياء ويجعلها محصورة في الأنبياء دون غيرهم .

والرافضة يجعلون العصمة لأئمتهم الإثنى عشر ويقولون : لا جمعة إلا خلف إمام معصوم ، ولا جهاد إلا مع إمام معصوم .

٥ ـ والإسلام يجعل الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية وأئمتهم ويفرض على المسلمين أن يجاهدوا مع كل بر وفاجر .

والرافضة يقولون : لا جهاد إلا إذا خرج إمامهم المنتظر .

٦ ـ القرآن يثني عى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مهاجرين وأنصار ثناءً حسنًا وينوه بفضلهم ، ويخبر برضا الله عنهم في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾

وقوله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وفي الحديث « **هل أنتم تاركوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** » .

أما الرافضة فإنهم يكفرونهم جميعًا إلا نفرًا قليلاً لا يجاوز عددهم البضعة عشر ويسبونهم وينتقصونهم ويسمون كلابهم وحميرهم بخيارهم وهذا غاية التنقص .

فهل يصلح أن يطلق اسم الإسلام على من هذا عمله واعتقاده .

٧ ـ لقد برأ الله عائشة في آيات من سورة النور مما رماها به المنافقون .

والرافضة يكفرونها ويسبونها ويرمونها بما برأها الله منه في كتابه فتبًّا وقبحًا لهم .

٨ ـ أباح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتعة متعة النساء في خيبر ثم نهى عنها ثم أباحها في غزوة الفتح ثم حرمها إلى يوم القيامة ، وأجمع المسلمون على تحريمها إلى يوم القيامة .

والرافضة يبيحونها ويعملون بها إلى يوم القيامة .

وأخيرًا فهذه بعض المخالفات التي خالفوا فيها كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة وإجماع الأمة لأن المقصود هو الإشارة لا الاستيعاب وكم لهم من مخالفات خالفوا فيها آية محكمة أو سنة صحيحة أو إجماعًا معتبرًا .

وذلك يدل على أن دين الرافضة لم يقم من أساسه إلا على هدم الدين وتقويض بنيانه وهذه النبذة كتبتها مقدمة لكتابي « **أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة** » في طبعته الثانية .

وأسأل اللـه ـ جل وعز ـ أن يجـعل ذلك ذخرًا لـي يوم لِقاه وأن يجعلـه خالصًا لوجهه ومُبَرّاً مـن شوائب الإحباط إنه جـواد كريم برٌّ رحيم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المؤلف

أحمد بن يحيى النجمي

٢٣/٦/١٤١٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صاحب المعجزات ، والهادي إلى طريق الجنة والداعي إلى الفضائل والمكرمات ، الذي منحه ا لله أكرم الخُلُقِ ووهبه جميع الصفات ، وعلى آله وصحبه الذين حازوا بصحبته قصب السبق وتسنموا ذرى الفضائل ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وشاهت وجوه أنكرت فضلهم وبدلت حسناتهم فجعلتها سيئات .

أما بعد :

فقد كتبت ردًا على رسالة وزعها علينا بعض الحجاج الإيرانيين في حج عام ١٣٩٩ هـ . ولما اطلعت عليها ورأيت ما فيها من تجانف عن الحق ألزمت نفسي بالرد عليها ، فكتبت هذا الرد الذي أضعه بين يدي القارئ الكريم والذي أرجو أني قد وفقت فيه إلى نصر الحق ودحض الباطل بقدر المستطاع . . . وقد اتبعت فيه الخطوات التالية :

أولاً : كتبت الرد على المهم من الرسالة ، فأكتب جملة من كلام صاحب الرسالة ثم أكتب الرد عليها ، مصدراً بكلمة : والجواب ، أو بحرف (ج) .

ثانيًا : خرّجت الأحاديث ورقّمت الآيات .

ثالثًا : ترجمت للأعلام إلا من بين حاله في صلب الرد .

رابعًا : فإن لم أجد للعَلَمِ ترجمة في كتب التراجم تركته ، وقد أبين ذلك ، وإن اشتبه بغيره تحرّيت فذكرت من أرى أنه المقصود ، وقد أذكر من يشبهه وأبين من يغلب على الظن أنه المقصود .

خامسًا : إذا تكرر ذكر المعزو إليه في التراجم فإني أكتفي بالكلمة الأولى من اسم الكتاب فأقول في (تذكرة الحفاظ) مثلاً : تذكرة ، وفي (سير أعلام النبلاء) سير ، وفي (تهذيب التهذيب) مثلاً : تهذيب ، وهكذا . . . وقد أكتفي بالحرف الأول من الكتاب فأقول مثلاً - ش - من شذرات الذهب . أما في تخريج الأحاديث فأذكر الكتاب المعزو إليه .

وبالتالي فإني أشكر الله ثم أشكر رئاسة البحوث لاستعدادها بطبع هذا الكتاب ، كما أشكر كل من أعان على كتابته أو طبعه وإخراجه إلى حيز الوجود والتداول .

وأسأل الله أن يجزيهم عني وعن الإسلام والمسلمين خيرًا . . . والسلام .

الباعث على الرد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فقد اطلعت على رسالة وزعها عليها بعض الحجاج الإيرانيين حاول مؤلفها قلب الحقائق وتضليل المسلمين بتمويه ساذج وترقيع تافه ، مع بذاءة في التعبير يشنُّها هذا المؤلف على شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة الحراني[1] رحمه الله

---

(١) هو الحافظ العلم الفذ وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، وتعرف هذه الأسرة بأسرة ابن تيمية . ولد شيخ الإسلام في العاشر من ربيع الأول عام ٦٦١ في مدينة حرّان ، ولما بلغ السابعة من عمره أغار التتار على مدينة حرّان فهاجرت أسرته منها إلى دمشق وفيها استقرت أسرته ، =

فحفظ القرآن الكريم منذ حداثة سنه ، ثــم اتجه بعد حفظ القرآن إلى حفظ الحديث واللغة والآراء الفقهية ، وقد بدأت فيه منذ صغره ثلاث مزايا هي التي نمت فظهرت ثمراتها في كبره وهي :

أولاها : الجد والاجتهاد والانصراف إلى المجدي من العلوم ، لا يلهو لهو الصبيان ولا يعبث عبثهم .

ثانيًا : تفتح نفســه وقلبه إلى كل ما حوله ، يدركه ويعيه فلم يــكن الغلام المنقطع عن الأحياء والحياة إلى الحفظ والاستذكار .

ثالثتها : الذاكرة الحادة والعقل المستيقظ والفكر المستقيم ، والنبوغ المبكر .

وقد شاع في مجتمعــه خبر ذكائه المتوقد وحفظه الفذ وقوة ذاكــرته الذي لم ير مثله في زمانه . حتى أن بعض علماء حلب لما بلغه هذا الخبر أراد أن يتأكد منه ، فجاء إلى دمشق يسأل عنه فأخبره خياط بأنه سيمــر بعد قليل ، فانتظر حتى جاء ، فأشار له عليه فدعاه وكتب له في لوح كان مــعه أحد عشر حديثًا أو ثلاثة عشر حديثًا ، وبعد أن تأملها مرة واحدة أمره أن يقرأها من حفظه فقرأها ولم يسقط منها حرفًا ، ثم كتب له عدة أسانيد واختبره فيها فتلاها من حفظه ولم يسقط منها حرفًا فقال : لئن عاش هذا الغلام ليكونن له شأن .

راجع ترجمة ابن تيمية لمحمد أبو زهرة ص ٢٠ ، ٢١ .

وقد جمع بما آتاه الــله من ذكاء خارق وحرص نادر واجتهاد ومثابــرة على الطلب ، زانه إيمان وتقوى وباركه تضرع إلى الله ودوام ابتهــال إليه ، علمًا كثيرًا لم يجمعه أحد قبلــه ولا بعده ، وكان إذا تكلم في فــن قال القائل إنه قد تخــصص فيه دون غيره ، حتــى قال ابن دقيق العــيد فيه وهو أحد جــهابذة ذلك العصــر في الحديث وفقهه : رأيت رجلاً كــأن الله جمع له العلوم كلــها بين عينيه يأخذ منــها ما يريد ويدع ما يريــد وقال له في أول مرة رآه وسمع كــلامه : كنت أظن أن اللــه ما بقي يخلق مثلك .

ولذلك فقد كان له من معاصريه مخالفون ، حملهم الحسد على الوقيعة في عرضه وتأليب السلطان عليه ، كما كان له أتباع ومناصرون .

ويقول أبو زهرة في (ص٣٠) من كتابه (ابن تيمية) الذي ترجم له به وهو مجلد ضخم في ٥٣١ صفحة : وإن ابن تيمية بمحاولته إعادة الإسلام إلى عهده الأول وإزالة ما علق به من غبار ، قد أثار خلاف كثيرين كما استهوى بالإعجاب كثيرين فكان له موافقون وأكثرهم من تلاميذه ومريديه أي من الجيل الذي يليه .. إلى أن قال : وإذا كان تلاميذه قد وافقوه فقد خالفه كثيرون غيرهم ، ومنهم من ضاق صدره حرجًا ، ومنهم من خالفه وقال : مجتهد يخطئ ويصيب ، فخالفه في بعض ما يقول غير مكفر ولا مؤثم .

وعلى ذلك نقول : إن الناس في تلقي كلامه قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ فريق شايعه .

٢ ـ وفريق قاومه ونازله ومنهم من كفره .

٣ ـ وفريق خالفه ، ومن هذا الفريق من وافقه في بعض ما قاله وخالفه في بعضه.

وقد قال الأولون فيه مقالة الخير ورفعوه إلى أعلى مراتب الاجتهاد ، وغالى الفريق الثاني في مذمته .

وكان الآخرون بين هؤلاء وهؤلاء ، ولذلك لم يرض عنهم الفريقان .

ولقد قال الذهبي في ذلك وهو من الفريق الثالث : ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه ، ومن نابذه وخالفه ينسبني إلى التغالي فيه ، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده ، وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية ، فإنه كان مع سعة علميه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشرًا من البشر ، تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم تزرع له عداوة في النفوس ، ولولا ذلك لكان كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بأنه بحر لا ساحل له وكنز ليس له نظير ، ولكنهم =

تعالى ، من شتم مقذع وسباب مفظع يصل أحيانًا إلى حد التكفير ، وفي بعض الأحيان طابعه التجهيل والتحقير ، ولم يعلم المسكين أنه لا يحقر إلا نفسه ولا يضر إلا إياها بما سيعلم مغبته إذا دخل رمسه . فاستعنت الله تعالى في كتابه رد على تلك الجهالات حتى لا يغترُّ بها من لا يحسن التمييز بين الحق والضلالات . وقبل الشروع في المقصود يجب أن نعلم ما يلي :

أولاً : أنه لا يجوز التحاكم إلى أحد سوى الله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ امتثالاً لأمر العلي الكبير المنفرد بالخلق والرزق والحكم

= ينقمون عليه أخلاقًا وأفعالاً وكل يؤخذ من قوله ويترك . . . إلى أن قال : لا شك أن الإجماع انعقد على مقدرته العلمية واللسانية والجدلية والتعليمية ، ولكن تلك المقدرة يرى الكثيرون فيها حربًا عليهم فلا بد أن ينازلوها ، لأنهم يجدون في المنازلة دفاعًا عن كيانهم ووجودهم بوصف كونهم فرقة دينية لها كيان ووجود . أهـ .

ابن تيمية لأبي زهرة (ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) .

ومن هنا نعلم السبب في عداوة كثير من الناس له حتى أدخل السجن عدة مرات ، وذلك لأن خصومه معظمهم من أصحاب المناصب والمراتب والجاه العريض ، فأقنعوا السلطان بسجنه ، وكلما أخرج من السجن أعيد فيه حتى وافته منيته وهو فيه في سنة ٧٢٨ وحضر جنازته جمع لم يـر مثله إلا ما كان في جنازة الإمام أحمد ، وترك علمًا كثيرًا دونه لنا في كتبه الجمة المفيدة التي تبلغ إلى ٣٠٠ مجلد أو تزيد ولكن أزالت كتبه الغشاوة عن أعين الرمدي وأنارت الطريق للضالين والغارقين في متاهات الضلالات .

فرحمه الله من جهبذ ، ورفع درجته في الفردوس الأعلى .

والتدبير ؛ حيث يقول تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾[(١)] .

ويقول أيضًا : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[(٢)] .

ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[(٣)] .

ويقول تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[(٤)] .

وفي الحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به »[(٥)] .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) سورة النور الآية ٦٣ .

(٥) أخرجه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتاب « الحجه على تاركي سلوك طريق المحجه » . قال النووي بإسناد صحيح ، وقال ابن رجب : وقد أخرج هذا الحديث أبو نعيم في كتاب الأربعين وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار . وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر هذا الحديث في الفتح ٢٨٩/١٣ أخرجه الحسن بن سفيان ورجاله ثقات ، وقال : وصححه النووي وهو إقرار منه =

ثانيًا : ليس في أحد دون رسول الله ﷺ حجة لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، فإنهم أجمعوا على أنه ليس قول أحد منهم ملزمًا غيره باتباعه ، فقد نقل عن كل واحد منهم أقوال في الحث على التمسك بالحديث وترك رأيه إن خالفه ؛ فعن أبي حنيفة والشافعي أن كل واحد منهما قال : إذا صحّ الحديث فهو مذهبي ، وعن مالك أنه قال : ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك .

وقال أحمد بن حنبل(١) : رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء ؛ وإنما الحجة في الآثار .

= لتصحيح النووي . أما ابن رجب فقد ضعفه بنعيم بن حماد وكذلك فعل الألباني في تعليقه على الحديث رقم (١٥) في كتاب السنه لابن أبي عاصم فضعفه به . ونعيم بن حماد أخرج له البخاري مقرونًا وأبو داود والترمذي وابن ماجه قال في التقريب : صدوق يخطئ . قلت : اشتهر أنه كان صاحب سنة وكان شديدًا على أهل البدع وأنه حمل من مصر في أيام المحنة سنة ٢٣ أو ٢٤ ومأتين فسئل عن القرآن فلم يجبهم فألقوه في السجن حتى مات فيه سنة ٢٢٨ وقبل سنة ٢٢٩ وأوصى أن يدفن بقيوده وقال : إني مخاصم فلو لم يكن من مناقبه إلا هذا لكفى .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ .

(١) أحمد بن حنبل هو إمام السنة وعلم الأعلام وسيد المحدثين أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي، ولد سنة ١٦٤ وأخذ عن هشيم وابن عيينة ومن في طبقتهم ، وعنه البخاري ومسلم وطبقتهم، ثبت في فتنة القول بخلق القرآن فضرب على ذلك حتى أغمي عليه ، وحبس ومنع من التحديث زمنًا وهو ثابت ثبوت الجبال الشوامخ ، فكان إمام أهل السنة بحق توفي سنة ٢٤١ هـ .

تذكرة (ص ٤٣١) ، وفيات (ج ١ ص ٦٣) .

وقال أيضًا : من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة .

وروى البخاري عن أبي وائل أنه قال : لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره ، فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته والله ورسوله أعلم[١] .

ونحن مع احترامنا للعلماء والأئمة والاعتراف لهم بالفضل والسبق وكمال المعرفة ورجاحة العقول وقوة الإيمان والحرص على التمسك والمتابعة ؛ إلا أنا لا نرى عصمتهم من الخطأ في الاجتهاد مع سلامة القصد منهم وثبوت الأجر لهم إن شاء الله تعالى ، وهذا ما درج عليه السلف الصالح من هذه الأمة كما رأيت في كلام سهل بن حنيف[٢] رضي الله تعالى عنه ، وكما قرره الأئمة أنفسهم .

وإليك بعض أقوالهم زيادة على ما سبق :

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤١٨٩) في المغازي ٧٣٠٨) في الاعتصام ، ومسلم في باب صلح الحديبية (ج ١٢، ص ١٤٠ ، ١٤٢) والحميدي رقم (٤٠٤) .

(٢) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل شهد بدرًا ، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد وشهد المشاهد كلها ، وكان مع علي بعد مقتل عثمان ، أمّره على البصرة ثم على فارس ، توفي سنة ٣٨ هـ ، وصلى عليه علي رضي الله عنه ، وكبر ستًا ، (ص ٣٣٧ ج ١) تقريب ، (ج ٣ ص ٢٥١) تهذيب .

فأبو حنيفة [١] يقول : حرام علـى من لم يعرف دليلـي أن يفتي بكلامي . زاد فـي روايـة : فإننا بشـر نقول القول اليوم ونـرجع عنه غدًا ، وفي أخرى : ويحك يا يعقوب [هو أبو يوسف][٢] لا تكتب كل مـا تسمعـه مني فـإني قد أرى الـرأي اليوم وأتركـه غدًا ، وأرى الرأي غدًا وأتركه بعد غد .

وقال مالك[٣] : إنما أنا بشـر أخطئ وأصيب فانـظروا في رأيي ،

(١) أبو حنيـفة النعمان بـن ثابت التيمي مـولى بني تيم الـله ، (الإمام) ، رأى أنسًا وروى عن عطاء بن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، توفي سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥١ هـ . ترجمة تـهذيب (١٠/ ٤٤٩) وفي التقريب (ج٢ ص٣٠٣) ، وترجمة ابن أبـي حاتم (ق/ ١/ ٤ ج٤) وراجع رفع الملام عن الأئمة الأعـلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وانظر (المجـروحين) لابن حبان (ج٣ ص٦١ وما بعدها) . وانظر الالتقـاء لابن عبد البر (١٢١وما بعدهـا) وبالجملة فالناس فـيه ما بين غالٍ وذامّ والحق أنه فقيه كـبير وصاحب رأى وقياس وعقل ودهاء إلا أنـهم أخذوا عليه أنه يقول بـالإرجاء ويرد أخبار الأحاد الثـقات إذا كان يعارض ظاهـر القرآن . أما الحديث فقد ضعفوه فيه نظرًا لسوء حفظه .

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ، تفـقه على أبي حنيفة وسمع من عطاء بن السائب وطبقتـه ، قال يحيى بن معين : كان القاضي أبـو يوسف يحب أصحاب الحديث ويميل إليهم . وقال يحيى بن يحيى النيسابوري : سمعت أبا يوسف يقول عند وفاته : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق السنة. توفي سنة ١٨٢ هـ شذرات (١/ ٢٩٨) .

(٣) مالك بن أنـس بن مالك بن أبي عامر الأصـبحي ، إمام دار الهجرة غـير منازع ، وأحد الأئمة الأربعة ولد عام ٩٥ وأخذ عن نـافع والزهري وأقرانهما ، وضرب في فتوى أفتى بها لم توافق غرض السلطان. توفي سنة ١٧٩ . وفيات (ج ٤ ص ١٣٥)

فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

وقال الشافعي[١] : أجمع المسلمون على أنه من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحلَّ له أن يدعها لقول أحد .

وقال الإمام أحمد : لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا .

ثالثًا : يجب أن يعتقد المسلم أنه لا عصمة لأحد سواه ﷺ فقد كذب وافترى وخاب وخسر ونطق بالجهل والضلال واعتقد الباطل المحال. . فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم بما فيهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قد تصور منهم الخطأ في اختيار أخذ الفداء من أصحاب بدر ما عدا عمر فعاتبهم الله تعالى في ذلك . وقال النبي ﷺ : « **لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة يشير إلى شجرة قربه** »[٢] .

---

(١) الشافعي هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب ، ولد سنة مائة وخمسين وتوفي سنة (٢٠٤) ، كان كثير المناقب جم المفاخر حافظًا منقطع النظير. الوفيات (ج٤ ص ١٦٣) (ج ١) تذكره (ص٣٦١) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥) .

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد باب الإمداد بالملائكة رقم ١٧٦٣ من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك الحنطة عن ابن عباس وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (ج١٠ ص ٤٤) من طريق مسلم التي أخرج الحديث بها .

وذلك حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾[١] .

وتصور منهم الخطأ في صلح الحديبية ، وفي رد أبي جندل كما تقدم عن سهل بن حنيف ، فتبين لهم بعد ذلك أن الخير فيما اختار الله تعالى لرسوله ﷺ ، فمن باب أولى أن يتصور الخطأ من غيرهم ممن هم أدنى من أولئك في الفضل والفقه في الدين .

رابعًا : يجب أن يكون العمل بما صح عن رسول الله ﷺ على ضوء القواعد الاصطلاحية التي أسسها أئمة الحديث رحمهم الله تعالى ، وأن نستبعد كل ضعيف ومتروك وموضوع ، ولكن لا بد أن نعرف شروط الصحة ما هي ، فالصحيح عند علماء الحديث ما رواه عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ . فهذا التعريف جمع خمسة شروط :

فالعدالة شرط أول ، وتمام الضبط شرط ثان ، واتصال السند شرط ثالث ، والسلامة من العلة شرط رابع ، والسلامة من الشذوذ شرط خامس .

فهذه هي شروط الصحة عند أهل السنة أصحاب الحديث .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٨

مدار الصحة عند الرافضة

أما الشيعة ، أو بالأحرى الرافضة ، فمدار الصحة عندهم على الحب والبغض .

قال الشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على (المنتقى) مِنْ (منهاج الاعتدال) لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ (والمنتقى) مختصر منه ، اختصره تلميذه الذهبي الذي يزعم المؤلف أنه كتب لشيخ الإسلام الكتاب المزوَّر الذي سنأتي عليه في الرد إن شاء الله تعالى . . .

قال الذهبي رحمه الله تعالى : أما بعد : فهذه فوائد نفائس أخذتها من كتاب (منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) تأليف شيخنا الإمام العالم أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى . . . إلى أن قال : فالأدلة إما نقلية وإما عقلية ، والقوم من أكذب الناس في النقليات ، ومن أجهل الناس في العقليات ، ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف ، وقد دخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ، والنُّصَيْرِيَّة والإسماعيلية والباطنية[1] من بابهم دخلوا ، والكفار والمرتدة من

---

(١) الإسماعيلية والنصيرية والباطنية عقائد منحرفة قريب بعضها من بعض ، ومنها

طريقهم وصلوا . . . قال محب الدين الخطيب معلقًا على قوله : والقوم من أكذب الناس في النقليات قال : لأن مدار التوثيق عندهم في المرويات والمنقولات على الحب والبغض ، فالذي يكون أكثر بغضًا لأصحاب النبي ﷺ يكون في مروياته عندهم أوثق من الذي يفهم بأنه يتهاود في أمر الصحابة ولا يلعن أم المؤمنين عائشة ولا سيدنا معاوية وسائر الصحابة وأئمة التابعين وصفوة المسلمين[1] . أ هـ

قلت : ولهذا فقد قرر جميع علماء السنة زن الرافضة أكذب الناس .

أيضًا البهرة والدروز والأغاخانية وكلها من ولائد الشيعة الغالية ، فهم يتفقون مع الشيعة في أنه لا بد من إمام معصوم ، ويخالفونهم في أن الإمام صورة لله في الأرض .

فمن مذاهب الإسماعيلية ومن نحا منحاهم أن الإمام صورة لله في الأرض أو وجهه وأن الصلاة طاعته ، والصوم كتمان سره وإن اختلفوا في تعيين الإمام ، ومن مذاهبهم القول بالتقمص أي: أن الروح إذا مات جسدها الذي عمرته تقمصت جسدًا آخرًا . وأباح بعضهم نكاح البنات وشرب الخمر واللواط ، وقالوا : إن اللواط عنوان التذلل ، وأوجبوا قتل الغلام الذي يمتنع ممن يريده ، ومن أقدم هذه الفرق الضالة: الفاطميون الذين كونوا دولة في المغرب في القرن الرابع والخامس ، وهم أول من قال بألوهية الإمام ، ولذا يقول ابن هانئ الأندلسي في المعز الفاطمي في قصيدة يمدحه بها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

والدروز إلى الآن يؤلّهون الفاطمي ، ويقولون إنه ما زال حيًا يدبر أمر الكون ! .

(١) المنتقى (ص ١٩) .

قال في مقدمة (اللسان) نقلاً عن الذهبي في (الميزان) : ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهؤلاء لا يقبل حديثهم ولا كرامة ! ! ، وأيضًا فلا أستحضر في هذا الضرب رجلاً صادقًا ولا مأمونًا ، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل من هذا حاله ؟ حاشا وكلا [١] .. أهـ.

وقال أيضًا : قال أشهب[٢] : سئل مالك رحمه الله عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون . أهـ .

وقال حرملة [٣] : قال الشافعي : لم أر أشهر بالزور من الرافضة . أهـ .

وقال [٤] مؤمل بن إهاب : سمعت يزيد بن هارون[٥] يقول :

---

(١) الميزان (ص ٥ ، ٦) في ترجمة أبان بن تغلب .

(٢) أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي الفقيه المصري ، قيل : اسمه مسكين صاحب مالك . ولد سنة ١٤٥ وتوفي سنة مائتين وأربع . تهذيب (ج١ ص٣٥٩) .

(٣) حرملة بن يحيى التجيبي المصري صاحب الشافعي صدوق . ولد سنة ١٦٠ ، وتوفي سنة ٢٤٣ أو سنة ٢٤٤ . تقريب (ص ١٥٨) ، التهذيب (ج٢ ص٢٢٩) .

(٤) مؤمل بن إهاب الربعي العجلي ، صدوق له أوهام ، من الحادية عشرة . مات سنة ٢٥٤ . تقريب (٢٩٠) .

(٥) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي ، ثقة متقن . مات سنة ٢٠٦ هـ . وقد قارب التسعين . تقريب (ج٢ ص ٢٧٢) .

يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون . أهـ .

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني(١) : سمعت شريكًا (٢) يقول : احمل العلم عمن لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا . { آخر كلامه }(٣) هذا مقول ابن حجر يريد به الذهبي . والمهم أن رواية الرافضة لا تقبل لكذبهم .

خامسًا : إذا تعارض صحيح وضعيف قدم الصحيح وترك الضعيف ، لأنه لا يجوز أن يترك ما صح لما لم يصح ، فإذا كان المعارض موضوعًا أو منكرًا أو متروكًا كان إطراحه ورفضه من باب أولى ، فإن الله لم يتعبّدنا بالكذب والأوهام وإنما تعبّدنا بالحقائق المبنية على الصدق ، والصدق لا يكون صدقًا حتى تجتمع فيه ثلاثة أمور هي :

عدالة المخبر أولاً ، وضبطه له ثانيًا ، وعدم منافاة الخبر لما هو أصح منه ثالثًا .

قال ابن المبارك : يكتب الحديث إلا عن أربعة: غلاط لا يرجع ،

---

(١) محمد بن سعيد بن سليمان الأصبهاني ، يلقب حمدان ، ثقة ثبت من العاشرة . توفي سنة ٢٢٠ هـ . تقريب (ج٢ ص ١٦٤) .

(٢) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي . توفي سنة ١٧٧ أو ١٧٨ هـ .

(٣) مقدمة اللسان (ص ٩ ، ١٠) .

وكذّاب ، وصاحب هوى يدعو إلى بدعته ، ورجل لا يحفظ فيحدث من حفظه [١] .

قلت : إذا كان السلف ينهون عن كتابة حديث هؤلاء فكيف يعارض به ما صح ؟ وحتى من لم يحفظ فيحدث من حفظه ينهون عن الكتابة عنه ولا يقبلون حديثه إلا إذا توبع ، بشرط أن يتابعه من يكون مثله على الأقل .

قال النووي في (التقريب) : هو قسمان ـ يعني الحديث الحسن ـ أحدهما ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته وليس مغفلاً كثير الخطأ ولا ظهر منه سبب مفسّق ، ويكون متين الحديث معروفًا برواية مثله أو نحوه من وجه آخر[٢] . أهـ

قلت : هذا هو الحسن لغيره الذي يتجه الكلام فيه ، أما الحسن لذاته فهو ما جمع شروط الصحيح إلا أن الضبط خفَّ ، وهو القسم الثاني من الحسن .



(١) مقدمة اللسان (ص ١٣).

(٢) انظر التدريب للسيوطي على (التقريب ص ٨٩) .

فصل

قال مؤلف الرسالة الذي لم يذكر اسمه : وبعد : فهذه رسالة وجيزة مشتملة على ما جاء من الأحاديث وكلمات الأئمة الأعلام في زيارة قبر النبي الأقدس وآداب زيارته وكيفيتها؛ وزيارة مشاهد العترة الطاهرة ، ينبغي لكل مسلم أن يقتنيها ويعمل بمُوجَبِها لينال الفوز والمثوبة . أهـ .

ج - قلت : في هذه الجملة تمويه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول قوله : مشتملة على ما جاء من الأحاديث الشريفة ، أي : في الحث على زيارة قبر النبي ﷺ وفضلها ، فإنه قد موّه في هذه العبارة من ناحيتين :

الأولى : بأن الأحاديث التي سيوردها صحيحة . وذلك دجل وتضليل لا يجوز لمسلم أن يفعله . فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من كذب علي متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار** »[1] .

---

(١) روى هذا الحديث جميع السبعة وهم : البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند من طرق متعددة ، عن جمع جم من الصحابة لا يقل عددهم عن سبعين رجلاً ، كما أفاده غير واحد من علماء الحديث وبألفاظ متقاربة ، حتى عدوه المثال الوحيد للمتواتر لفظًا ومعنى في السنة .

انظر / تدريب الراوي (ص ٣٧١ ، ٣٧٢) .

وفي رواية : « **من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** »[١] . وجميع الأحاديث التي أوردها لا يصح منها شيء ، فأغلبها موضوع وبعضها منكر ، أو متروك ، وقليل منها الضعيف الذي خالف الأحاديث الصحيحة .

الناحية الثانية : أنه أوهم القارئ وضلّله وموّه عليه من ناحية أنه لما ذكر هذه الأحاديث الواهية والموضوعة لم يذكر ما يخالفها ؛ وهذا المسلك الذي سلكه خيانة في النقل وبعد عن دائرة الحق والعدل ، وكأنّه بصنيعه هذا يظن أن الناس كلهم أغبياء ! فشهد على نفسه بالغباء .

الوجه الثاني : قوله : وكلمات الأئمة الأعلام ! لست أدري من هم الأئمة الأعلام ؟ ! أهم أصحاب رسول الله ﷺ أم هم الفقهاء السبعة وغيرهم من كبار التابعين ؟ أم هم سفيان الثوري[٢] وابن عيينة[٣] وعبد الله بن المبارك[٤] ومالك بن أنس ، وحماد بن

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (ص ٦٢) شرح النووي .

(٢) هو شيخ الإسلام وسيد الحفاظ أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ، علم من أعلام السنة، ولد في سنة ٩٧ وتوفي سنة ١٦١. تذكرة ١/٢٠٣، تقريب ص٣١١

(٣) ابن عيينة هو العلامة الحافظ أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، ولد في سنة ١٠٧ ، ومات سنة ١٩٨ . تذكرة (ج١ ص ٢٦٢) .

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح ، الإمام العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين ، ولد في سنة ١١٨ وتوفي سنة ١٨١ . تذكرة (ج١/٢٧٤) .

زيد [١] وحماد بن سلمة [٢] والليث بن سعد [٣] وشعبة بن الحجاج [٤] وأضرابهم ؟ أم هم الشافعي ويحيى بن سعيد القطان [٥] ويحيى بن معين [٦] وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه [٧] وعلي بن المديني [٨] وأمثالهم ؟ أم هم محمد بن جرير الطبري [٩] وابن خزيمة [١٠] وغيرهم من أوعية العلم في تلك الأزمنة ؟

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الإمام الحافظ المجود ، ولد سنة ٩٨ ومات في سنة ١٧٩ . التذكرة (ج١ ص ٢٢٨) .

(٢) حماد بن سلمة بن دينار الإمام الحافظ . ولد سنة ٩١ ومات في سنة ١٦٧ . وقد قارب الثمانين . التذكرة (ج ١ ص ٢٠٢) .

(٣) الليث بن سعد الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها توفي سنة ١٧٥ وله ٨١ عامًا . التذكرة (ج١ / ٢٢٤) .

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد ، الحجة الحافظ أبو بسطام الأزدي مات سنة ١٦٠ . التذكرة (ج١/ ص ١٩٣) .

(٥) يحيى بن سعيد القطان الأحول . علم الحفاظ وإمامهم . ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٨ . تهذيب (٢١٦/١١) .

(٦) يحيى بن معين سيد الحفاظ أبو زكريا المزي . ولد سنة ١٥٨ وتوفي سنة ٢٣٣ . تذكرة (ج١ ص ٤٢٨) .

(٧) إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ألإمام الحافظ. ولد سنة ١٦١ وتوفي سنة ٢٣٨ تذكرة

(٨) علي بن المديني حافظ وقدوة أرباب هذا الشأن ولد سنة ١٦١ ومات سنة ٢٣٤ (ج ١ ص ٤٢٩) تذكره .

(٩) هو الحافظ الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ولد سنة ٢٢٤ وتوفي سنة ٣١٠ تذكرة (٢/ ٧١٠) .

(١٠) الحافظ الكبير إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ولد سنة ٢٢٣ وتوفي سنة ٣١١ . تذكرة (جص ص٧٢) .

ولكنه لم ينقل عن أحد من هؤلاء ، بل نقل عن جماعة من المتأخرين ، وهؤلاء الذين نقل عنهم ينقسمون إلى قسمين :

قسم : تكلموا في الزيارة الشرعية المجمع عليها وقصدوها بكلامهم ، فحمّل المبتدعة كلامهم ما لم يحتمل وسحبوه إلى الزيارة البدعية والشركية ، وكان الوزر على من حمل كلامهم على ما لم يريدوه .

والقسم الثاني : قوم من المتأخرين قالوا بجواز الزيارة البدعية وحتى الشركية ، جهلاً منهم بمقاصد الشريعة ، وتمشيًا مع واقع الناس في زمانهم ، فهؤلاء لا عبرة بكلامهم ولا يلتفت إلى أقوالهم لأنها مصادمة للنصوص ولما أجمع عليه سلف هذه الأمة .

والكلام على ردّ ما ذهبوا إليه من وجوه

الوجه الأول : أنه مخالف لما صح عن رسول الله ﷺ من طرق متعددة وعن جماعة من الصحابة كما سيأتي . ولا يحل لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يعارض حكمه بحكم غيره أو قوله بقول غيره أو أن يقدم عليه سواه ؛ ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قدم ركب من تميم على رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر : أَمِّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أَمِّر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي . فقال عمر : ما

أردت خلافك ، فتماريا عند رسول الله ﷺ حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله عز وجل [(١)] : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم . يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ [(٢)] .

فعلم من هذا أن تقديم مراد غيره على مراده معصية كبيرة موجبة لإحباط العمل ؛ وقد قال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ! أقول لكم قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر . فلو اجتمعت كل الأمة على خلاف ما عهد إليهم لكانوا كلهم عصاة مستحقين لغضب الله ومقته وعقوبته . وقد أعذ الله أمة محمد من ذلك وحماها من أن تجتمع على ضلالة ، فقد حاربوا الوثنية أشد المحاربة ، وحذروا منها أشد التحذير ، وأخبارهم مدونة في كتب الحديث والتاريخ وغيرها ، كقصة دانيال[(٣)] ، وقصة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه [(٤)] ، وقصة شجرة الحديبية [(٥)] حيث كان الناس ينتابونها في عهد عمر فأمر بقطعها وتعمطتها .

---

(١) أخرجه البخاري بألفاظ متعددة أقربها إلى هذا اللفظ ما رواه في سورة الحجرات برقم (٤٨٤٧) وأخرجه النسائي (ج ٨ ص ٢٢٦) .

(٢) سورة الحجرات : أية ١ ، ٢

(٣ ، ٤ ، ٥) سيأتي تخريجها جميعًا .

الوجه الثاني : أنه مخالف لما هو معروف عن الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وسننقل لك فيما يأتي إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة خروجه إلى الطور(١) وسكوت أبي هريرة يدل على الموافقة . وإنكار علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ وهو أعظم وأعلم رجل من أهل البيت الذين تتشيع لهم الشيعة وتلهج بعصمتهم ويزعمون أنهم يقتدون بأقوالهم وأفعالهم ـ إذ أنكر على الرجل الذي كان يأتي إلى سدة القبر للدعاء عندها (٢) ، ولا يعرف لهؤلاء مخالف ، فهو إجماع منهم على تحريم الزيارة البدعية والشركية ، ومن زعم خلاف ذلك فليأت بما يثبت دعواه عن الصحابة والتابعين بنقل العدل عن العدل ، ولكن دون ذلك خرط القتاد كما يقولون !

الوجه الثالث : أن أقوال هؤلاء الذين نقل عنهم ، على فرض قبولها مع مخالفتها للنصوص النبوية وإجماع صدر الأمة ، ولا يمكن أن يقول ذلك عاقل شم رائحة الإسلام . . . لو قلنا ذلك على سبيل التنزل ، فإن أقوالهم مقابلة بأقوال من هم في أزمنتهم مع أنهم أطول باعًا في العلم منهم ، وأكثر شهرة بين العلماء منهم ، وأعظم تمسكًا بالكتاب والسنة منهم ، فأهل السنة محقون ، وبالحجة القاطعة فالجون ، كيف لا ومعهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) سيأتي تخريج هذا الأثر .

صدر الأمة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالاستقامة على جدد الحق فقال : « **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي بعد ذلك أقوام يشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن** » [١] .

الوجه الثالث [*] مما موّه به قوله :ومشاهد العترة الطاهرة .

هذا الكلام فيه تمويه إلى حد بعيد ، وكذب وتضليل يتنزه عنه كل من له مُسكةٌ من عقل وبقية من دين ، فإن الذين نقل عنهم إنما نقل عنهم كلامًا مجملاً في زيارة قبر النبي ﷺ أما مشاهد العترة وغيرها من المشاهد فلم يَفُهْ بجوازها وجواز زيارتها وتقبيل أعتابها والطواف برحابها والتمرغ في ترابها إلا من خذله الله تعالى من أمثالكم يا معشر الروافض ! فالروافض هم أول من بنى الأضرحة على القبور وعظمها من الفاطميين وغيرهم [٢] .

---

(١) ورد بألفاظ أقربها إلى هذا اللفظ ما رواه ابن ماجه عن عمران بن حصين وصححه الألباني ، وأخرجه البخاري رقم (٢٦٥١ ، ٢٤٢٨) وأخرجه أيضًا من حديث ابن مسعود ولفظه وفيه: « ثم يجئ قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم » (٦٤٢٩) ، ورواه مسلم في فضائل الصحابة عن أبي هريرة بلفظ « خير أمتي » وفيه : « ثم يخلف قوم يحبون السمانة ويشهدون قبل أن يستشهدوا » .

(*) الوجه الثالث من التمويهات .

(٢) الفاطميون : دولة أسسها عبيد الله بن ميمون القداح ، اليهودي الخبيث الذي انتسب إلى آل البيت زورًا وبهتانًا ، وسموا أنفسهم الفاطميين نسبة إلى فاطمة بنت =

أما قوله : يجب على كل مسلم أن يقتنيها ، فهذا الكلام باطل ، فما أولاها بأن تحرق لما حوته من الباطل .

وأما قوله : لـينال الفوز والمثـبوبة ، فلا أدري هل الفـوز والمثوبة سلعة في يد هذا الـقائل يعطي منها من شاء ويمنـع منها من شاء ؟ أم أن الفوز والمثوبة أمرهما بيد الله تعالى وفي ملكه وتحت تصرفه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ؟ ويخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن من فعل كذا فهـو مثاب ومن فعل كذا فهو معـاقب ؛ فنقول ذلك تبعًا لقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ ، ولا أرى هذا القائل ومن يقطع صكوك الغفران ويبيع الدور في الجنان سواء .

فصل

في الرد عليه في وصف جميع العترة بالطهارة أو العصمة

قال الـرافضي في (ص ٢) : زيـارة مشاهد الـعترة الطـاهرة . الدعاء عندها . الصلاة فيها . التوسل والتبرك بها .

ج ـ قلت : وصف العتـرة جميعًا بالطهارة والعصمـة أمر مختلق ودعوى كاذبة وفرية ممقوتة ، يحاسـب الله عليها من أسَّسَها ومن دان

= رسول الله ﷺ وهي منهم براء . ومن مبادى هذه الدولة: تأليه الخليفة واستباحة الفواحش . ومن هؤلاء القـرامطة الذين أخذوا الحجر من الكعبـة وبقي عندهم ٣٥ سنة ، وهم أول من عظم القبور وبنى عليها الأضرحة .

بها وصدقها ، فالعترة وإن كانوا من ذرية النبي ﷺ إلا أن ذلك لا يثبت لهم عصمة ولا يوجب لجميعهم طهارة ، فإن احتجوا بما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله فيه ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ (١) . وروى نحوه عن أم سلمة وفي سنده مجهول (٢) .

فالجواب على هذا من ثلاثة وجوه :

الأول : أن للمفسرين في هذه الآية ثلاثة أقوال (٣) : الأول أن المراد بأهل البيت المذكورين في الآية زوجات النبي ﷺ ، وبهذا

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٣ .

والحديث في صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ وأخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أم سلمة وعمر بن أبي سلمة وأبي أمامة والترمذي من حديث أم سلمة وابنها عمر ولا يخلو واحد منها عن مقال .

(٢) أورده الذهبي في النبلاء (٣/ ٢٤٥) فقال جماعة عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل حسنًا وحسينًا وفاطمة بكساء . الحديث .

قال المحقق : صحيح بطرقه وشواهده . ثم عدد له طرقًا كثيرة يكون الحديث بها من قسم الصحيح لغيره .

(٣) انظر / تفسير ابن كثير (ج٣ ص ٤٨٣ وما بعدها) .

يقول ابن عباس [١] حبرالأمة وترجمان القرآن ، ومولاه عكرمة ، حتى قال عكرمة [٢] : من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ . وحجة أهل هذا القول أن السياق فيهن وسبب النزول فيهن .

القول الثاني : إن الآية شاملة للأزواج وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، أما الزوجات فلكونهن السبب في نزول الآيات والساكنات في بيته ﷺ .

وأما علي وفاطمة والحسن والحسين فإنهم أهل بيته في النسب ، وقد دلّ الحديث أنهم داخلون في الآية ، وقد رجح هذا جماعة من المحققين ، منهم القرطبي [٣] وابن كثير [٤] وغيرهما . أهـ .

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم النبي ﷺ لعله ولد في السنة العاشرة من البعثة فقد صح عنه أنه قال : مات النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة مختونًا . سمي حبر الأمة لكثرة علمه ببركة دعوة النبي ﷺ توفي سنة ٦٨ للهجرة حديثه المذكور سابقًا في الأدب المفرد للبخاري . تذكرة (١/ ٤٠) .

(٢) عكرمة مولى ابن عباس بربري الأصل هاشمي بالولاء ، كان إليه المنتهى في التفسير توفي سنة ١٠٧ . تذكرة (١/ ٩٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المفسر . توفي سنة ٦٧١ . مقدمة تفسيره .

(٤) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي الحافظ ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٧٣ . له تفسير بالمأثور من أحسن التفاسير ترجمه في الدليل الشافي على المنهل الصافي . طبع جامعة أم القرى (ج١/ ١٢٧) رقم الترجمة ٤٤٣ ، وذيل التذكرة ص٣٦١ و ش ج ٦/ ٢٣١ .

نقلاً عن فتح القدير بتصرف [١] .

وهناك قول أنهم بنو هاشم عامة ، وهذا القول ضعيف لأنه لا يستند إلى دليل صحيح .

الوجه الثاني : أنه ليس المراد بالتطهير في الآية العصمة من الذنوب جميعًا كما يعتقد ذلك الشيعة ؛ ولكن المراد به حفظهم عما ينافي الإيمان وعن الإصرار على ما ينافي كمال الاستقامة مع جواز اللمم عليهم وتصور وقوع المعاصي منهم . وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة وكتابته للمشركين بخبر غزو النبي ﷺ لهم الثابت في الصحيحين، وأن النبي ﷺ لما استؤذن في قتله قال : « **إنه من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » [٢] .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (ج٣ ص ٤٨٧) والصفحات قبلها ، وتفسير فتح القدير (ج ٤ ص٢٧٩) ، وتفسير القرطبي (ج١٤ ص ١٨٣ و ١٨٤) في رده على الكلبي بقوله : ولا اعتبار بقول الكلبي وأشباهه. فإنه توجد له أشياء في هذا التفسير ما لو كان في زمن السلف الصالح لمنعوه من ذلك وحجر عليه . فالآيات كلها من قوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله كان لطيفًا خبيراً ﴾ منسوق بعضها على بعض أي : معطوف عطف النسق . أهـ .

قلت : والخطاب بجمع الإناث بقوله : ﴿ وقرن ﴾ ﴿ ولا تبرجن ﴾ ﴿ وأقمن الصلاة ﴾ . . . إلخ . يدل على أنهن الأصل في الخطاب .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد رقم (٣٠٠٧) وأطرافه في٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤ ،٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩) ومسلم بشرح النووي (٦/ ٥٥، ٥٦، ٥٧ وغيرهما .

ففي هذا دليل قاطع على أنه إذا ورد في الشرع ما يدل على مثل هذه العبارة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ كقوله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [1] ، وكقوله ﷺ : « **إن الله اطلع على أهل بدر ...** » [2] الحديث . وكقوله في هذه الآية والحديث : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ [3] . وكإخباره عن العشرة أنهم من أهل الجنة [4] كل ذلك لا يدل على العصمة من الذنوب .

قال الحافظ في(الفتح): وهذا يدل على أن المراد بقوله «غفرت» : اغفر ، على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه .

قال ابن الجوزي [5] : ليس هذا على الاستقبال ، وإنما هو على

---

(١) سورة الفتح : ١٨

(٢) انظر الحديث المشار إليه في الرقم السابق تحت رقم ١

(٣) سورة الأحزاب : ٣٣

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم ١٣٣ ، والترمذي في مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل برقم (٣٨٤١ ج ١٠ تحفة الأحوذي ، وفي مناقب عبد الرحمن بن عوف رقم ٣٨٣٠ ، وأخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة باب في الخلفاء رقم (٤٦٤٨ ، ٤٦٤٩ ، ٤٦٥٠) ، وأخرجه أيضًا النسائي .

(١) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله المشهور بابن الجوزي . يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لذا يقال له القرشي ، التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف النافعة في فنون العلم . ولد سنة ٥١٠ وتوفي سنة ٥٩٧ .
انظر / البداية (٢٨/١٣) .

الماضي ، تقديـره : اعملوا ما شئتم أيّ عمل كان لـكم فقد غفر . قال : لأنه لـو كان للمـستقبـل كان . . . فسأغـفر لكم ، ولـو كان كذلك كان إطلاقًا فـي الذنوب ولا يصح ، ويبطله أن القـوم خـافـوا من الذنوب بعدُ حـتى كان عمر [١] يقول : يـا حذيفة باللـه هل أنا منهم ؟ [٢] .

وتعـقبه القـرطبي بـأن « اعملـوا » صيغة أمـر ، وهي موضـوعة للاستقبال ، ولم تصغ العرب الأمر لـلماضي لا بقرينة ولا بغيرها ، لأنها بمـعنى الإنشاء والابتـداء . إلى أن قال : وقد ظهـر لي أن هذا الخطاب إكرام وتشـريف تضمن أن هؤلاء حصلت لـهم حالة غُفرت بها ذنوبهـم السالفة ، وتأهّلوا أن يغـفر لهم ما يستأنـف من الذنوب اللاحقة ، ولا يلـزم من وجود الصلاحية للشيء وقـوعه ، وقد أظهر الله صـدق رسوله ﷺ في كل من أخـبر عنهم بشـيء من ذلك ،

---

(١) أمير المؤمنـين وثاني الخلفاء الراشديـن ، المحدث الملهم الذي جعل الـله الحق على لسانه وقـلبه ، ووافقه القـرآن في عدة مواضع ، وكان الـشيطان يفر مـن عمر بن الخطاب رضي الله عـنه ، ولي الخلافة بعد أبي بكر ، وتوفـي شهيدًا في آخر ذي الحجـة سنة ٢٣ عـلى يد أبـي لؤلـؤة المجوسي ولـه ٦٣ سنة . الإصـابة (ج ٢/ ٥١١).

(٢) حذيفة بن اليمان وهو حسل العبسي صاحب السر الذي أسر إليه رسول الله ﷺ أسماء المنافقين ، لذلك قال له عمر : هل أنا منهم ؟ توفي بعد قتل عثمان بأربعين يومًا . الإصابة (ج ١/٣١٦) .

فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة حتى فارقوا الدنيا ، ولو قد صدر شيء من أحدهم لبادر رلى التوبة ولازم الطريقة المثلى ، ويعلم ذلك بالقطع من اطلع على سيرهم . اهـ كلام القرطبي .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون المراد بقوله : « قد غفرت لكم » أي : ذنوبكم تقع مغفورة ، لا أن المراد أن لا يصدر منهم ذنب ، وقد شهد مسطح بدرًا ووقع في حق عائشة رضي الله عنها كما تقدم في تفسير سورة النور [١] أهـ . قلت : والذي يظهر لي أن الله تعالى قد علم منهم أنهم سيبقون على حالة الاستقامة غالبًا . وإن بدر من بعضهم شيء من الذنوب الكبائر بادر بالتوبة والندم وراجع الطريقة المثلى ، وليس معنى ذلك عصمتهم من الذنوب. والله أعلم

أما اعتقاد الشيعة عصمة أهل البيت فذلك شيء لم يسبقهم إليه أحد ، وليس لهم عليه دليل قط ، ولم يدَّع العصمة علي بن أبي طالب[٢] رضي الله عنه ، ولا ادّعاها أحد من بنيه ، لا الحسن [٣]

---

(١) راجع الفتح (ج٨ ص ٦٣٥) .

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ وطهره وأبو سِبْطَيْه . قتل في رمضان ١٧ رمضان من عام ٤٠ للهجرة وله ستون سنة أو أقل قليلاً . التذكرة (ص ١٠) ، الإصابة (٢/ ٥٠١) .

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عن سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، ولد في السنة الثالثة وبويع له بالخلافة بعد أبيه . ثم تنازل لمعاوية عام ٤١ الذي سمي عام الجماعة . توفي سنة ٤٩ أو ٥٠ . الإصابة (ج ١/ ٣٢٧) .

ولا الحسين [١] ولا أحد من أهل العلم والاستقامة والفضل من ذريتهم ، كعلي بن الحسين [٢] زين العابدين ، ومحمد بن علي الملقب بالباقر [٣] وجعفر بن محمد [٤] ، وزيد بن علي [٥] وغيرهم رضي الله عنهم ، وهذه سيرهم موجودة وأخبارهم في الكتب محفوظة ومعهودة .

إلا أن ما جاء من طريق الشيعة غير موثوق ولا مقبول .

ثالثًا : وإذ قد ثبت التطهير لعلي وابنيه وزوجته لذكرهم في الحديث ، فإنه يبقى مقصوراً عليهم ولا يثبت لغيرهم من بنيهم بمجرد

---

(١) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله وريحانته . ولد في السنة الرابعة وتوفي شهيدًا في عام ٦١ رضي الله عنه وقبح الله من قتله . الإصابة (ج١/ ٣٣١) .

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين ، حضر موقعة كربلاء وكان مريضًا وهو ابن ٢١ وقيل أقل من ذلك ، وكان عابدًا فذًا عديم النظير . توفي سنة ٩٤ . تذكرة (١/ ٧٤) .

(٣) محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر أبو جعفر قال الذهبي . مولده في سنة ٦٠ وتوفي سنة ١١٤ وقيل ١١٧ . تذكرة (ص١٢٤) .

(٤) هو ابن محمد بن علي بن الحسين أبو عبد الله المعروف بالصادق . مات سنة ١٤٨ الشذرات (ج١/ ٢٢٠) .

(٥) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الذي تنسب إليه الزيدية . قتل في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ ، وكان مولده سنة ٨٠ . شذرات (ج١/ ١٥٨) .

ثبوته لهم ، ولا تنال هذه التزكية ذريتهم ، بل شأنهم شأن غيرهم ، فيهم الصالح والطالح ، والطيب وغير الطيب ، وليس كل من ولدته الأنبياء يكون نبيًا، ولا من ولدته الصلحاء يكون صالحًا :

فذلكم ابن نوح نبي الله تعالى وأول رسول أرسله مات كافرًا ولم تنفعه قرابته من أبيه ، بل عاتب الله تعالى نوحًا أباه حين سأله فيه متأثرًا بالعاطفة الأَبَويّة .

فقال جلّ من قائل : ﴿ **ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ونادى نوح ربه قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أرحم الراحمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾ [1] .

وذلكم إبراهيم خليل الرحمن لم تنفع منزلته من ربه أباه إذ كان كافرًا . قال تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾[2] .

(١) الآيات من ٤١ إلى نهاية ٤٦ من سورة هود .

(٢) الآية ١١٤ من سورة براءة .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة (١) رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « **يلقى إبراهيم - وفي رواية يرى - أباه وعليه الغبرة والقترة فيقول يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون ، فيقول الله تعالى : فإني حرمت الجنة على الكافرين** » .

وفي رواية : « **يلقى إبراهيم أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقترة فيقول له : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول : فاليوم لا أعصيك فيقول : يا رب ألم تعدني أنك لا تخزيني يوم الدين ؟ فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله عز وجل : يا إبراهيم إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول الله تعالى : انظر ما تحت رجلك يا إبراهيم . فينظر فإذا ذيخ ملطخ برجيعه فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار** » (٢) .

أي يمسخ الله أبا إبراهيم على صورة ذيخ وهو الضبع الصغير ثم يلقى في النار ، فإذا كان خليل الرحمن لم يستطع نفع أبيه فكيف ينفع أحد أحدًا ؟ وها هو ذا خليل الرحمن لم تنفع خلته وإمامته من عصى من ذريته ، بل قد حرموا الإمامة في الدين بظلمهم .

---

(١) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الأصح في اسمه . قدم مع قومه في السنة السابعة من الهجرة ولازم النبي ﷺ وكان يحفظ ما لا يحفظ غيره ، لذا كان أكثر الصحابة حديثًا مات في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨ أو ٥٩ . الإصابة (٤/ ٢٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، رقم ٣٣٥٠ فتح .

قال تعالى: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ (١)

فقوله : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ إبعاد للظالمين من ذريته عن رتبة الإمامة في الدين ، ولم تنفعهم إمامة أبيهم وخلته وفضله .

والمهم أن التطهير المذكور في الآية خاص بزوجات النبي ﷺ وابنته وابن عمه وولديهما رضي الله عنهم أجمعين .

وها أنتم يا معشر الشيعة تخرجون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (٢) وعن أبيها من هذا النص ، مع أنها إحدى زوجات النبي ﷺ بل وأحبهن إليه ، وقد مرض في بيتها ومات ودفن فيه ، بل مات في يومها وبين سحرها ونحرها ، وهذا تناقض منكم يا معشر الروافض، إذ تدخلون في هذا النص من ليس بداخل فيه، وتخرجون منه من هي أول مستحق للدخول فيه وأولى الناس به (٣) .

---

(١) الآية ١٢٤ من سورة البقرة .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما زوج النبي ﷺ وأحبهن إليه . تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع ، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة . حملت علمًا كثيرًا وأخذ عنها عدد كبير من التابعين . توفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ . الإصابة (٣٤٨/٤) .

(٣) أي : يدخلون فيه جميع أهل البيت من ذريـة عليّ إلى يوم القيامة ، ويخرجون منه عائشة التي هي أولى الناس بالدخول فيه .

وقد روي البخاري في صحيحه من طريق عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ حين أرسله أميرًا على غزوة ذات السلاسل فقال : « **من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة ، قال : فمن الرجال ؟ قال : أبو بكر ، قال : ثم من ؟ قال : ثم عمر . قال : فعد رجالاً** » (١) .

وخلاصة القول : إنه إذا ثبت أن التطهير المذكور في الآية يشمل عليًا وابنيه وزوجته (٢) وزوجات النبي ﷺ الطاهرات المطهرات ، فإنه لا ينسحب لكم علي من جاء بعدهم من العترة إلى يوم القيامة ، فلا تحملوا القرآن ما لا يحتمله ، ولا تدخلوا فيه ما ليس منه ، ولا تخرجوا منه من هو فيه ، فإن الله سائلكم عما تقولون وما تعملون وتعتقدون .

---

(١) أخرجه في المناقب ٣٦٦٢ فتح . وأخرجه مسلم (ج١٥ ص ١٥٣) النووي .

(٢) فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وهي فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة . دخل بها علي بعد بدر في السنة الثانية ، فولدت له الحسن والحسين والمحسن وزينب وأم كلثوم . وتوفيت بعد أبيها بستة أشهر تقريبًا ولها ٢٤ سنة . الإصابة (ج ٤ ص٣٦٥)

فصل

في زعمه على شيخ الإسلام أنه خرج على إجماع منعقد وسيرة مطردة منذ عصر الصحابة على جواز بناء المساجد على القبور والصلاة فيها والتوسل بأصحابها . والرد عليه وبيان كذبه في ذلك من وجوه .

قال الرافضي (ص٢) أيضًا : قد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام ، منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان ، على زيارة قبور ضمّت في كنفها نبيًا مرسلاً ، أو إمامًا طاهرًا ، أو وليًا صالحًا ، أو عظيمًا من عظماء الدين ، وفي مقدمتها قبر النبي الأقدس ﷺ وكانت الصلاة لديها والدعاء عندها والتبرك والتوسل بها والتقرب إلى الله (تعالى) وابتغاء الزلفة لديه (تعالى) بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين فرق المسلمين (المتسالمين) ، من دون أي نكير من أحادهم أو غميزة من أحد منهم على اختلاف مذاهبهم ، حتى ولد الدهر ابن تيمية الحراني ، فجاء كالمغمور (كذا ولعله يريد كالمخمور) مستهترًا يهذي لا يبالي ، وأنكر تلكم السنة الجارية ـ سنة الله التي لا تبديل لها ولن تجد لسنة الله تحويلا ـ وخالف هاتيك السيرة المتبعة ، وشذ عن تلكم الآداب الإسلامية الحميدة ، وشدد النكير عليها بلسان بذيء ، وبيان تافه ووجوه خارجة عن نطاق العقل

السليم ، بعيداً عن أدب العلم ، أدب الكتابة ، أدب العفة ، وأفتى بحرمة شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ ، وعد السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة أهـ .

ج ـ خلاصة ما ذكره في هذه الجمل كما يدعي المؤلف ، أن الإجماع مطرد بين المسلمين منذ عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم على جواز زيارة القبور للصلاة عندها والدعاء لديها والتبرك والتوسل بها وابتغاء الزلفة لديه بإتيان تلك المشاهد، كما ذكر أنه لم ينكر ذلك سوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، حيث أفتى بحرمة شدّ الرحال إلى القبور .

والرد عليه في هذه الجمل وبيان كذبه واستهتاره وبيان افترائه على الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين من وجوه :

الوجه الأول في أقسام الزيارة :

قسم العلماء الزيارة إلى ثلاثة أقسام وهي :

أولاً : الزيارة الشرعية :

وهي زيارة القبور من أجل تذكُّر الآخرة والسلام على أهلها والدعاء لهم سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم ، وهذه الزيارة هي المأثورة عن النبي ﷺ وهي التي رخص فيها ، حيث يقول :

« كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة » (١)

رواه مسلم عن بريدة .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ؛ وقال : **« استأذنت ربي بأن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »** (٢) .

والذكر الوارد في هذه الزيارة كما روى ذلك مسلم عن بريدة (٣) رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : **« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية »** (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم (ج٧ ص٤٦ ، ٤٧) شرح النووي ، ورواه أبو داود رقم ٣٢٣٥ وقال : فإنها تذكرة ، ورواه أيضًا الترمذي رقم ١٠٦ تحفة ، وابن حبان والحاكم .

(٢) أخرجه مسلم (ج٧ ص٤٦) ، وأبو داود رقم ٣٢٣٤ ، والترمذي ١٠٦بلفظ : « وقد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة » . ورواه الحاكم وابن ماجه مختصرًا ، وأخرجه البيهقي (ج٤ ص ٧٦) .

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم بعد بدر وغزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وله مناقب مشهورة، سكن البصرة وتحول إلى خراسان مات سنة ٦٣ . الإصابة (١/ ١٥٠) .

(٤) أخرجه مسلم (ج٧ بشرح النووي ص ٤٥) ، وعن عائشة عند مسلم (ج٧ ص ٤٤) وعن أبي هريرة نحوه عند أبي داود رقم ٣٢٣٧ وعن ابن عباس عند الترمذي رقم ١٠٥٩ وقال : أنتم سلفنا ونحن بالأثر .

فهذه هي الزيـارة المشروعة ، وهذا هو الذكر الـوارد فيها ، وهو يدل على أن المطلوب من الحي الدعاء للميت لا دعوته ولا التوسل به فافهم .

فصل

وهذه الزيارة تشرع للمسلم في الأمـاكن القريبة من حوله التي لا يحتاج العبد فيها إلى شد رحل ولا حمل زاد ، فإذا كان القبر والمكان الذي يريـد زيارته بعـيداً بحيث يـحتاج إلى شـد رحل وحَمل زاد ، حـرم عليه ذلــك لما سيأتي أن أبا بصرة الـغـفاري [1] أنـكر عـلـى أبـي هريرة رضي الـله عنهما الذهاب إلى جبـل الطور . وقال : لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت [2] .

ولقـد قتـل كثـير مـن أصحـاب رسول الـه ﷺ وفضـلائهـم ومشاهيرهم، قتلوا في الغزوات، في أماكن متعددة ونائية عن المدينة ، ولم يعرف أن أحـداً من أقربائهم أو من غـير أقربائهم قصـد قبورهم لزيارتها الزيارة الـسنية ، ولو فعلوه لنقل لتوفر الـدواعي على نقله ،

---

(١) أبو بصرة الغفاري اسمه حُمَيْل بضم الحاء المهملـة ، وقيل جميل بالجيم المعجمة من تحت وبالفتح على وزن فَعِيل ، وقيل زيد ، وقيل بصرة ، صحابي شهد فتح مصر واختط ومات بها ودفن في مقبرتها . الإصابة في أسماء الصحابة (ج٤/ ص٢٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من مسند أبي بصرة الغفاري ، وهو في الفتح الرباني (ج ٢٣ ص ٢٨٠ من كتاب الفضائل ، فضل المساجد الثلاثة مجتمعة .

لأن التابعين كانوا حريصين على نقل ما يتصل بالدين عن الصحابة ، سواء كان ذلك من أفعالهم وأقوالهم أو مما نقلوه عن النبي ﷺ . . وهكذا كان حال أتباع الأتباع مع التابعين .

ثانيًا : الزيارة البدعية : وهي أن يزور قبرًا من أجل أن يصلي عنده ويدعو الله عنده ، وهذه تسمى بدعية إذا لم يصحبها دعاء الميت والالتجاء إليه في قضاء الحاجات ، فإن حصل ذلك فهي شركية .

ثالثًا : الزيارة الشركية :

وهي التي يدعى فيه المقبور ويُطلبُ منه قضاء الحوائج ودفع المكروه وتفريج الكربة .

فالزيارة الشرعية فاعلها مثاب ، والزيارة البدعية فاعلها فاسق مستحق للمقت والعقوبة من الله تعالى ، ولكن لا يخرج عن دائرة الإسلام بذلك ، وكثيرًا ما تكون ذريعة إلى الشرك ، فالشيطان لا يرضى من الإنسان بالاقتصار على البدعية حتى ينقله إلى الشركية ، ولهذا نهى عنها النبي ﷺ أشد النهي ، وحذر منها أشد التحذير كما سيأتي . أما الزيارة الشركية ففاعلها خارج عن الإسلام ، مباين لما جاء به خير الأنام .

فصل

الوجه الثاني : فيما جاء من النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد من الأحاديث الصحيحة ، وقد رأيت أن أنقل الأحاديث التي صحت في هذا الباب من كتاب « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » نظرًا لأن مؤلفه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني طويل الباع في هذا الفن ، وقد حرر هذه الأحاديث وتتبع مخارجها من عدة كتب جزاه الله خيراً .

قال في (ص ٩): الفصل الأول النهي عن اتخاذ القبور مساجد :

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . قالت : فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً [١] . رواه البخاري [٢] .

---

(١) راجع له البخاري (ج٣ ص١٥٦ ، ١٩٨) و (ج٨ ص١١٤) ، ومسلم (ج٢ ص٦٧) وأبو عوانة (ج١ ص٣٩٩) ، وأحمد (ج٦ ص٨٠ ، ١٢١ ، ٢٥٥) ، والسرّاج في مسنده (ج٣ ص٤٨/ ٢) عن عروة عنها ، وأحمد (ج٦ ص١٤٦ ، ٢٥٢) ، والبغوي في شرح السنة (ج١ ص٤١٥) طبع المكتب الإسلامي عن سعيد بن المسيب عنها ، وسنده صحيح على شرط الشيخين . تحذير الساجد ص ١٢

(٢) البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح والتأريخ وغير ذلك، ولد سنة ١٩٤ ، وحفظ مصنفات ابن المبارك =

ومعنى أبرز : كشف قبره ﷺ ولم يتخذ عليه الحائط، والمراد : الدفن خارج بيته . كذا في فتح الباري .

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[1] . رواه البخاري

٣ ـ عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له ، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه وهو يقول : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[2] ، تقول عائشة : يحذر ما صنعوا . رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر : وكأنه علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى ،

= وهو صبي ، وصنف وما في وجهه شعرة ، وكان أعجوبة زمانه في الحفظ ، توفي سنة ٢٥٦ ليلة عيد الفطر منها . سير أعلام النبلاء (ج١٢ ص٣٩١)، والتذكرة (ص٥٥٥) .

(١) رواه البخاري (ج٢ ص٤٢٢) ، ومسلم وأبو عوانة وأبو داود (ج٢ ص٧١) ، وأحمد (ج٢ ص٢٨٤ ، ٣٦٦ ، ٣٩٦ ، ٤٥٣، ٥١٨) والسرّاج عن سعيد بن المسيب عنه ومسلم أيضًا عن يزيد بن الأصم عنه . تحذير الساجد (ص ١٤) .

(٢) رواه البخاري (١/ ٦٢٢ ، ٦/ ٣٨٦ ، ١/ ١١٦) ، ومسلم (٢/ ٦٧) ، وأبو عوانة (١/ ٣٩٩) ، والنسائي (١/ ١١٥) ، والدارمي (١/ ٣٢٦)، وأحمد (١/ ٢١٨/ ٦/ ٣٤ ،٢٢٩، ٢٧٥) تحذير الساجد .

إشارة إلى ذمٍّ من فعل فعلهم ، قلت يعني : من هذه الأمة .

وفي الحديث الخامس التصريح بنهيهم فتنبه !

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية ، وقد كانت أم سلمة [1] وأم حبيبة [2] وقد أتتا أرض الحبشة ، فذكرتا من حسنها وتصاويرها ! قالت : فرفع النبي ﷺ رأسه فقال :

« أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[3] .

---

(١) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، أسلمت قديمًا وهاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة الهجرة الأولى ، ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلم يلبث أن توفي فتزوجها رسول الله ﷺ ماتت سنة ٦٢ . الإصابة (ج٤ ص٤٣٩) .

(٢) هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان بن حرب . ولدت قبل البعثة بـ ١٧ عامًا وتزوجها عبيد الله بن جحش ، وأسلما وهاجرا إلى الحبشة ، وفيها تنصر زوجها ومات نصرانيًا ، فأرسل النبي يخطبها فزوجت به وأمهرها عنه النجاشي ٤٠٠ دينار ثم نقلت إليه ، ماتت سنة ٤٤ . الإصابة (ج٤ ص٢٩٨) .

(٣) رواه البخاري (ج١ ص٤١٦) ، ومسلم (ج٢ ص٦٦) ، والنسائي (ج١ ص١١٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف ط الهند (٤/ ١٤٠) ، وأحمد (٦/ ٥١) ط المكتب الإسلامي ، وأبو عوانة في صحيحه (ج١ / ٤٠٠ ، ٤٠١) ، والسياق له .

وابن سعد في الطبقات (ج٢ ص٢٤٠ ، ٢٤١) ، والبيهقي (ج٤/ ٨٠) ، والسراج في مسنده (٢/ ٤٨) ، والبغوي (/ ٤١٥ ، ٤١٦) . تحذير الساجد ١٧ .

قال الحافظ ابن رجب(١) في فتح الباري : هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى ؛ ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده ، فتصوير صور الآدميين يحرم ، وبناء المساجد على القبور بانفراده يحرم ، كما دلت نصوص أخر يأتي ذكر بعضها .

قال : والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة كانت على الحيطان ونحوها ولم يكن لها ظل ، فتصوير الصور على مثال صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها والاستشفاع بها يحرم في دين الإسلام ، وهو من جنس عبادة الأوثان ، وهو الذي أخبر النبي ﷺ أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزُّه بذلك والتلهي محرم ، وهو من الكبائر ، وفاعله من أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله تعالى التي لا يقدر على فعلها غيره ؛ وإنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى . ذكره في الكواكب الدراري (٢) .

---

(١) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي ، ولد في بغداد سنة ٧٠٦ هـ . سمع أبا الفتح الميمدومي وغيره وأكثر الأشتغال حتى برع ، له مصنفات مفيدة ، توفي سنة ٧٩٥ . الذيل ٣٦٧

(٢) الكواكب الدراري (ج٤ ص ٩٦) رقم ٤٢٦ .

٥ ـ عن جندب بن عبد الله البجلي [١] رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « **قد كان فيكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، وإن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك** » [٢] .

٦ ـ عن الحارث النجراني قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك** »[٣] .

---

(١) جندب بن عبد الله ويقال ابن سفيان ، ومن قال ابن سفيان نسبه إلى جده البجلي العلقي ، سكن الكوفة ثم البصرة ، لم يذكر وفاته ولكن كان أيام ابن الزبير وهو حي ، وهو جندب الخير ، وهو الذي قتل الساحر ، الإصابة (١/ ٢٥٠) .

(٢) رواه مسلم (ج ٢ ص٦٧ ، ٦٨) وأبو عوانة (١/ ٤٠١) والسياق له ، والطبراني في الكبير (١/ ٨٤/ ٢) ورواه ابن سعد (٢/ ٢٤٠) مختصراً دون ذكر الأخوة واتخاذ الخليل . وله عنده (٢/ ٢٤١) شاهد من حديث أبي أمامة وله شاهد ثان أخرجه الطبراني عن كعب بن مالك بسند لا بأس به كما قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر (١/ ١٢٠) ، وضعفه نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٥) . تحذير الساجد (١٩/ ٢٠) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٨٣ / ط ٢ / ٥٧٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم . تحذير الساجد ٢٠

٧ ـ عن أسامة بن زيد[١] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الـذي مات فيه : « **أدخلوا علي أصحـابي ، فـدخلوا عليه وهو متقنع ببردة معافري [فكشف القناع] فقال : لعن الله اليهود [والنصارى] اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[٢] .

٨ ـ عن أبي عبيدة [٣] بن الجراح رضـي الله عنه قـال : آخر ما تكلم به النبي ﷺ : « **أخرجوا اليهود أهـل الحجاز وأهل نجران من جزيرة الـعرب ، واعلمـوا أن شرار الناس الـذين اتخذوا ـ وفـي رواية يتخذون ـ قبور أنبيائهم مساجد** »[٤] .

---

(١) أسامة بن زيـد بن حارثة بن شراحيـل الكلبي مولى رسـول الله ﷺ وحِبُّه وابن حِبِّه . توفـي سنـة ٥٤ وله خـمس وسبـعون سـنة . الـتقـريب (ج١ ص٥٣) ، والإصابة (ج١ / ٤٦) .

(٢) رواه الطيالسي في مسنده (٢/ ١١٣) ، من تـرتيبه ، وأحمد (٥/ ٢٠٤) ، والطبراني في الكبير (ج١ ق٢٢/١ ج٧) وسـنده حسن في الشواهد . قال الشـوكاني في نيل الأوطار (٢/ ١١٤) : وسنـده جيد . وقال الهيـثمي في مجمـع الزوائد (٢/ ٢٧) : ورجاله موثقون . تحذير الساجد ٢١

(٣) أبو عبيدة عـامر بن عبد الله بن الجراح الفـهري القرشي أحد العشرة المـشهود لهم بالجنة وأمين هذه الأمة. مات في طاعون عمواس سنة ١٨ . الإصابة (ج٢ ص٢٤٣)

(٤) رواه أحمد رقم ١٦٩ ، ١٦٩٤ ، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٣)، وأبو يعلى (١٨٥٧)، وابن عساكر (٨/ ٣٦٧) بسند صحيح. ورواه أبو يعلى. . . ثم إن الحديث ذكره البيهقي في موضع آخر نحوه، وقال البزار: ورجاله ثقات.

٩ ـ عن زيد بن ثابت [(١)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله** ـ وفي رواية ـ **قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[(٢)] .

١٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا ، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » [(٣)] .

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك النجاري الأنصاري ، استصغر في بدر وأحد ، أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ ، وكلف بجمعه وكتابته في عهد أبي بكر ، توفي سنة ٤٥ وقيل غير ذلك . الإصابة (ج١ / ٥٤٣) .

(٢) رواه أحمد (٥ / ١٨٤ ، ١٨٦) ورجاله ثقات غير عقبة بن عبد الرحمن ، وهو ابن أبي يَعْمُر ، وهو مجهول كما في التقريب .
لكن الحديث صحيح بشواهده المتقدمة. التحذير / ٢٣

(٣) رواه أحمد رقم ٧٣٥٢ ، وابن سعد (٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢) ، والمفضل الجندي في فضائل المدينة (٦٦/ ١) وأبو يعلى في مسنده (٣١٢/ ١) ، والحميدي (١٠٢٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧) بسند صحيح وله شاهد مرسل، رواه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٠٦ ، ١٥٨٧).

ورواه ابن أبي شيبة (٤/ ١٤١) عن زيد بن أسلم وإسناده قوي .
وأخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٨٥ ، ١٨٦) وعنه ابن سعد (٢/ ٢٤٠ ، ٢٤١) عن عطاء بن يسار وسنده صحيح ، وقد وصله البزار عنه عن أبي سعيد الخدري .
التحذير (ص ٢٥ ، ٢٦)

١١ ـ عن عبد الله بن مسعود [١] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد** » [٢] .

١٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** » [٣] .

١٣ ـ عن أبي الهياج الأسدي [٤] قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله

(١) عبد الله بن مسعود بن حبيب بن غافل الهذلي ، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين ولازم النبي ﷺ وكان يحمل نعليه . كان أحد الستة أصحاب الفتوى من أصحاب محمد ﷺ مات بالمدينة سنة ٣٢. الإصابة (ج ٢ ص ٣٦٠).

(٢) (ج١١) رواه ابن خزيمة في (١/ ٩٢) ، وابن حبان (٣٤٠/ ٣٤١) ، وورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ١٤٠) ط الهند ، وأحمد رقم ٣٨٤٤، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٤٢) بإسناد حسن ، وأحمد ٤٣٤٢ بسند آخر حسن بما قبله . والحديث بمجموعهما صحيح ، وقد عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١/ ١٣١) ، والاقتضاء (ص ١٥٨) لابن حبان في صحيحه وقال : إسناده جيد . وقال الهيثمي (٢/ ٢٧) : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن وفي اقتصاره في عزوه على الطبراني وحده قصور مع أنه في المسند في ثلاثة مواطن منه كما أشرنا إليه ، والشطر الأول من الحديث في صحيح البخاري (١٣/ ١٥) .

(٣) (ج ١٢) أخرجه أبو داود بسند رجاله ثقات مخرج لهم في الصحيحين أو أحدهما

(٤) هو حيان بن حصين الأسدي الكوفي أبو الهياج ، تابعي روى عن علي وعمار ، من الطبقة الثالثة ، (١/ ٢٠٨) تقريب ، (٣/ ٦٧) تهذيب .

ﷺ: «**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته**» [١] .

١٤ ـ عن أبي سعيد الخدري [٢] رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ : « **نهى أن يبنى على القبور ويقعد عليها أو يصلى عليها** » [٣]

١٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر** » [٤] .

١٦ ـ عن أبي مرثد الغنوي [٥] عن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) (ج١٣) أخرجه مسلم (٣/ ٦١) ، وأبو داود (٣/ ٧٠) ، والنسائي (١/ ٢٨٥) ، والترمذي (٢/ ١٥٣) ، والبيهقي (ج٣/ ٤) ، والطيالسي (١/ ١٦٨) .

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، استصغر يوم أحد وشهد ما بعدها . توفي سنة ٦٥ أو ٦٤ وقيل بعدها . الإصابة (ج ٢/ ٣٢) .

(٣) (ج ١٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٦٦) وإسناده صحيح .
وقال الهيثمي (٣/ ٦١) : ورجاله ثقات .

(٤) (ج ١٥) رواه الطبراني في الكبير (٥/ ١٤٥/ ٢) وعنه الضياء المقدسي في المختارة عن عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا .
وقال المقدسي : وعبد الله بن كيسان قال فيه البخاري ، منكر الحديث .
وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي .
قلت : لكن الحديث صحيح ، فإن له عند الطبراني طريقًا آخر (٣/ ١٥٠) خير من هذه عن ابن عباس .

(٥) هو كناز بن الحصين بن يربوع الغنوي صحابي بدري . مات سنة ١٢

« لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » [١] .

١٧ ـ عن جابر بن عبد الله [٢] رضي الله عنهما قال :

« نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه » [٣] .

١٨ ـ عن أنس [٤] رضي الله عنه أن النبي ﷺ : **« نهى عن الصلاة إلى القبور »** [٥] .

(١) (ج ١٦) رواه مسلم (٣/ ٦٢) ، وأبو داود (١/ ٧١) ، والنسائي (١/ ٢٤) ، والترمذي (٢/ ١٥٤) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٩٦) . الإصابة (ج١/ ٢١٤) .

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي ، هو أحد المكثرين ، بدري عقبي مات سنة ٧٨ . الإصابة (ج ١/ ٢١٤) .

(٣) (ج ١٧) رواه مسلم (٣/ ٦٢) ، وابن أبي شيبة (٤/ ١٣٤) ، والترمذي (٢/ ١٥٥) وصححه ، وأحمد (٣/ ٣٣٩) .

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر النجاري ثم الأنصاري ، خادم رسول الله ﷺ مات سنة ٩٣ ، وله ١٠٣ سنة . الإصابة (ج١ / ٨٤) .

(٥) رواه ابن حبان ١٤٣ .

فصل

وبهذه الأحاديث الصحيحة يتضح أن المؤلف كاذب فيما يدعي من الإجماع على جواز بناء المساجد على القبور وزيارتها زيارة بدعية وشركيّة، ومجازف ومنكر للحقائق، فهل يليق بمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يدعي أو يعتقد إجماعاً على خلاف ما صح عن النبي ﷺ؟

وهل يتصور من أمة محمد ﷺ أن تجتمع على خلاف ما وصى به حتى في آخر لحظة من عمره المبارك ؟

وهل يتصور أن يدعي هذا إلا مفتون زائغ عن الحق يريد إضلال الناس أو جاهل لا يعرف مصادر الكلام وموارده ؟

فأين الإجماع يا جاهل وهذه الأحاديث الصحاح تدعوا عليك بالكذب الصراح ؟ فهات لنا حديثًا واحدًا من صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو من غيرهما من السنن متفق على صحته يؤيد إجماعك المزعوم !

أو هات نقلاً صحيحًا عن الصحابة والتابعين يؤكد مُدّعاك الموهوم ، كلا وهيهات إلا من نقول أسلافك المكذوبة ، ولم تزد على أن برهنت على صدق ما قرره عنكم العلماء الأعلام وأكدوه

عمن مضى من أسلافك وأهل عقيدتك قبل ألف ومائتي عام ؛ حيث قالوا : تقبل رواية المبتدع ما لم يكن داعية إلا الرافضة فترد روايتهم مطلقًا لأنهم أكذب الأنام . وهذه النقول عن بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأسلاف الأوائل وأئمة الدين الأماثل تثبت ضد دعواك . والله المستعان .

الوجه الثالث : فيما نُقل عن الصحابة والتابعين في هذا الباب مما يؤكد كذب المؤلف في دعوى الإجماع على جواز زيارة قبور الأنبياء والصالحين والعترة الطاهرة فيما يزعم ، للصلاة والدعاء عندها والتبرك والتوسل بها ، وما يلتحق بذلك من تفسير للأحاديث وبيان معناها عن السلف رحمهم الله تعالى .

١ ـ روى البيهقي [(١)] بسنده عن نافع[(٢)] : أن ابن عمر [(٣)] رضي الله عنهما كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر فقال :

---

(١) هو أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي الشافعي صاحب التصانيف المفيدة ، ولد في شعبان ٣٨٤ وتوفي في عاشر جمادى الأولى سنة ٤٥٨ . تذكرة ١١٣٢

(٢) نافع مولى ابن عمر ثقة ثبت من الثالثة ، مات سنة ١١٧ . تقريب (ج٢/ ٢٩٦) والخلاصة (ص ٣٤٣) ، والتذكرة (ص٩٩) .

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي ثم العدوي أبو عبد الرحمن . ولد سنة ٣ من المبعث ، وأسلم مع أبيه وهو صغير ، وكان من العباد المعدودين والمكثرين عن النبي ﷺ توفي سنة ٧٣ ، ٧٢ عن ست وثمانين أو سبع وثمانين سنة . الإصابة (٢/ ٣٤٧) .

السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليك يا أبا بكر ! السلام عليك يا أبتاه . وبسند آخر عن عبد الله [١] بن دينار أنه قال : رأيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقف على قبر النبي ﷺ ثم يسلم على النبي ﷺ ويدعو ، ثم يدعو لأبي بكر [٢] وعمر رضي الله عنهم . ورجال الإسنادين ثقات مخرج لهم في الصحيحين أو في أحدهما [٣] .

٢ ـ رواية الإمام أحمد : حدثنا عبد الله [٤] ، حدثني أبي ، حدثنا حسين بن محمد [٥] ، حدثنا شيبان[٦] عن عبد الملك[٧] عن

---

(١) عبد الله بن دينار الإمام أبو عبد الرحمن العمري المدني . حدث عن مولاه . توفي سنة ١٢٧ . تذكرة (ص ١٢٥) .

(٢) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي رفيق النبي ﷺ في الغار وفي الهجرة وخليفته من بعده . مات سنة ١٣ من الهجرة وله ٦٣ سنة . الإصابة (ج٢/ ٣٣٣) .

(٣) أخرجه البيهقي في أواخر كتاب الحج (ج٥ ص٢٤٥) .

(٤) عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ابن إمام أهل السنة وسيد العلماء أبو عبد الرحمن . ولد سنة ٢١٣ وأكثر عن أبيه ، مات سنة ٢٩٠ . التذكرة ص ٦٦٥ .

(٥) حسين بن محمد المؤدب أبو أحمد الحافظ ، نزيل بغداد . روى له الجماعة ، مات سنة ٢١٤ . تذكرة ص ٤٠٦

(٦) شيبان بن عبد الرحمن الإمام الحافظ الحجة . روى له الجماعة . توفي سنة ١٦٤ وهو في عشر الثمانين . التذكرة ص ٢١٨

(٧) عبد الملك هو ابن عمير اللخمي الكوفي الإمام ، روى له الجماعة ، مات سنة ١٣٦ وله مائة وثلاث سنين . تقريب ص ٥٢١ . تذكرة ص ١٣٥ .

عمر(١) بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنه قال : لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاء من الطور فقال : من أين أقبلت ؟ فقال من الطور ، صليت فيه . قال : أما لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى** »(٢) . هذا إسناد صحيح .

وبسند آخر صحيح أيضاً: « **لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد** »(٣) ، فذكرها .

قال شيخ الإسلام : وقد اتفق أئمة العلم والدين على أن العبد لو نذر السفر إلى قبر الخليل أو جبل الطور أو جبل حراء ونحو ذلك ، لم يجب عليه الوفاء به ، وهل عليه كفارة يمين ؟ على قولين .

---

(١) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أخو أبي بكر ، ثقة من الثانية ، أخرج له النسائي ، مات بعد السبعين . التقريب رقم الترجمة ٤٧١ ص ٥٩ ج٢

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم (باب ٦٧ رقم ١٩٩٥) ، وأخرجه أيضًا عن أبي هريرة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم ١١٨٩ ، ومسلم في أواخر الحج باب فضل المساجد الثلاثة عن أبي هريرة باللفظ المذكور وبلفظ : « إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد . . . » فذكرها . وهذا التخريج للطرف الأخير منه بدون ذكر القصة . أما القصة ـ أي قصة أبي بصرة الغفاري ـ فهي في المسند (ج٢٣ ص ٢٨) ترتيب الساعاتي .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الحافظ ابن حجر كما ترى .

لأن النبي ﷺ قال : « **من نذر أن يُطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصِه** »[١] .

أما من نذر إتيان المسجد الحرام فإنه يجب عليه الوفاء باتفاق ، ولو نذر إتيان مسجد المدينة أو بيت المقدس ففي ذلك خلاف : فذهب مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه إلى وجوب الوفاء ، وذلك بناء على أنه لا يجب الوفاء إلا فيما هو واجب بالشرع ، أي : نوعه كالحج والعمرة وما أشبه ذلك[٢] .

وقال الحافظ ابن حجر[٣] في فتح الباري (ج٣ ص ٦٥) : واختلف في شدِّ الرحال إلى غيرها ، كالذهاب إلى زيارة الصالحين

(١) حديث من نذر أن يطيع الله : أخرجه البخاري في النذور رقم (٦٦٩٦، ٦٦٧٠) ، وأخرجه النسائي في كتاب النذور باب النذر في الطاعة والنذر في المعصية ، وابن ماجه في النذور باب النذر في المعصية رقم الحديث (٢١٢٦) .

(٢) راجع فتح الباري (ج٣ ص٦٥) فقد ذكر أن المتصور عند الشافعية أنه لا جيب الوفاء إلا بالنذر للمسجد الحرام فقط .

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني هو شيخ الإسلام علم الأعلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني . ولد في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ ، ومات والده وهو صغير فنشأ يتيمًا ، وكان شديد الذكاء ، فاشتغل أولاً بالتجارة بعد قراءة القرآن ، وكان يقرأ الشعر ويتعاطاه ، ثم حبب إليه طلب الحديث فاجتهد فيه حتى بلغ الغاية، له مؤلفات عظيمة ومفيدة جدًا ، وأعظمها غناء الفتح الذي لم يصنف مثله . توفي سنة ٨٥٢ رحمه الله .
ش (٧/ ٢٧٠) .

أحياء أو أمواتًا ، وإلـى المواضع الفاضلـة لقصد التبرك بـها والصلاة فيها ، فقال الشيـخ أبو محمد الجويني [١] : يحرم شد الـرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث .

وأشار القاضـي حسين [٢] إلى اخـتياره ، وبـه قال عـياض [٣] وطائـفة ، ويـدل له مـا رواه أصحاب الـسنن مـن إنكـار أبي بـصرة الغـفاري علـى أبي هريـرة خروجه إلـى جبل الـطور وقال لـه : لو أدركتك قـبل أن تخرج ما خرجـت ، واستدل بهذا الحـديث ، فدل على أنه يرى حمل الحديث على ظاهره ووافقه أبو هريرة .

والصحيح عند إمام الحرمين[٤] وغيره من الشافعية أنه لا يحرم!!

---

(١) هو الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين . كان يلقب بركن الإسلام لما له من المعرفة التامة. توفي سنة ٤٣٨. المجموعة المنيرية (ج١ ص١٧٤) . البداية ١٢/ ٥٥

(٢) هو الحسين بن علي الشيباني الطبري الـشافعي مؤلف كتاب العدة ، ذكره في كتاب طبقـات فقهاء اليـمن لابن سمرة (ص١١٩) ، وذكـر أنه من كبار أصـحاب أبي إسحاق الـشيرازي ، درس بالـنظامية وتـوفي سنة ٤٩٥ . وذكـره أيضًا في (ص ١٤٣) . وترجمه ابن العماد في الشذرات ٣/ ٤٠٨ وجعل وفاته في سنة ٤٩٨

(٣) هو القاضي عياش بن موسى بن عياش اليحصبي البستي الحافظ علامة المغرب ، ولد سنة ٤٧٦ . له كتاب (الشفاء في التعـريف بشرف المصطفى) ، (مشارق الأنوار في اقتفـاء صحيح الآثار) وغيـرهما. توفي سنـة ٥٤٤ . البداية (ج١٢/ ٢٢٧ ش ٤/ ١٣٨) .

(٤) هو عبد الملـك ابن الشيخ أبي محمد الجـويني ، وهو عبد الله بن يـوسف ، يكنى أيضًا بأبي المـعالي ، تفقه عـلى والده ودرس بعده في حـلقته ، وتفقـه أيضًا على =

وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها : أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها ـ فإنه جائز ـ وقد وقع في رواية لأحمد سيأتي ذكرها بلفظ : لا ينبغي للمطي أن تعمل .. إلخ . وهو لفظ ظاهر في غير التحريم (١) .

وتعقبه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢) حفظه الله في تعليقه على النسخة التي طبعت بإشرافه وتحقيقه من الفتح فقال : ليس الأمر كما قال ، بل هو ظاهر في التحريم والمنع ، وهذه اللفظة في عرف الشارع شأنها عظيم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وما ينبغي**

= القاضي حسين ، ودخل بغداد فاشتغل بها ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين ولذلك قيل له إمام الحرمين ، ثم عاد بلده نيسابور فتسلم التدريس والخطابة فيها حتى مات سنة ٤٧٨ . البداية ١٢/١٢٨

(١) انظر فتح الباري (ج٣ص٦٥) ورواية: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد» كما في صحيح مسلم تدل على حصر السفر بنية العبادة في هذه الثلاثة المساجد فلا يجوز لغيرها .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي حاليًا ، العالم العابد الورع الزاهد ، له مناقب جمة وفضائل كثيرة ومشاركة في الخير واسعة تدل على إخلاصه وعزوفه عن الدنيا ، ولد سنة ١٣٣٠ وكف صغيرًا ، ولازم الدراسة على مشايخ عصره ، وأكثر ملازمة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأسبق ، ولي القضاء ثم التدريس في كلية الشريعة ، ثم عين رئيسًا للجامعة الإسلامية أولاً بالنيابة وبعد وفاة شيخه محمد بن إبراهيم عين رئيسًا للجامعة ثم رئيسًا للإفتاء . له مولفات نافعة وصراحة في قول الحق مع حكمة وروية . . . متع الله بحياته وزاده توفيقًا لكل خير .

للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ [١] وقوله : **﴿ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴾** [٢] أهـ .

قلت : ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز هو الصواب ، ولذا فقد عدَّ الأصوليون هذه اللفظة من الألفاظ الدالة على التحريم في باب النهي . وما ذكره الحافظ من الخلاف عن بعض المتأخرين من الشافعية فهو قول ضعيف وتأويل متعسف مردود على قائله .

أما الشافعي نفسه فقد تقدم عنه أنه لم يوجب الوفاء بالنذر لشد الرحال إلى مسجد المدينة والمقدس .

وهذا يدل على أنه يمنع في غيرهما من باب أولى ، فهو يدل على تشديده في هذه المسألة .

ثم قال الحافظ: وقال ابن المنذر [٣] : يجب إلى الحرمين ، أما بيت المقدس فلا . واستأنس بحديث جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ، قال : « **صلِّ ههنا** » [٤] .

---

(١) سورة مريم : ٩٢

(٢) سورة الفرقان : ١٨

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر ، توفي سنة ٣١٨ على الأرجح .
انظر التذكرة ٧٨٢

(٤) أخرجه أبو داود (ج٣ رقم ٣٣٠٥ ، ٣٣٠٦) .

قلت : قد فصل بعض العلماء فقال : إنْ نذر الصلاة في المفضول أدى عنه الصلاة في الفاضل كما هـنا . والذي يظهر من هذا الحديث أن النبي ﷺ أمر السائل أن يصلـي في المسجد الحرام ، وهو أفضل من بيت المقدس ، لأنه يظهر أن السؤال كان بعد الفتح [1] .

أما إن نذر الـصلاة في الفاضل ، فـإنه لا يؤدي عنه الـصلاة في المفضول ، فـلو نذر الصلاة في الحـرم المكي لم يؤد عنـه الصلاة في الحرم المدني ولا في بيت المقدس [2] .

---

(١) وقد صرح به في الحديث فقال : عن جابر بـن عبد الله أن رجلاً قام يوم الفتح . . الحديث . وخـرجه الألباني فـي صحيح الجامع الـصغير (٢٥٩٧) وعزاه لـلدارمي (٢/ ١٨٤ ، ١٨٥) ، وابن الجـارود (٩٤٥) وأبي يـعلى ، وقـال : قلـت : وهذا إسناد صـحيح على شـرط مسلم . وصحـحه أيضًا ابن دقيـق العيد وأخرجـه عبد الرزاق في المـصنف رقم (١٥٩٠ ، ١٥٨٩١) وسند الأخـير صحيح واسم الـسائل الشريد بن سويد .

(٢) صح ذلك عن سعيد بن المسيب كما كـاه شيخ الإسـلام ابـن تيمية في الفتاوى (ج٢٧ ص٢٥٢) ورواه عبد الرزاق في المصـنف رقم ١٥٨٨٩ ، (ج ٨ ص٤٥٥) من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري وسنده صحيح .

فصل

ولم يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم ولا أحد من أهل القرون الثلاثة المفضلة أنه أجاز شدَّ الرحال إلى مسجد غير المساجد الثلاثة للصلاة فيه، أما شدُّ الرحل إلى القبور فهو من باب أولى ، بل لم يعرف عن أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة ومن عايشوهم وأخذوا عنهم العلم والدين من التابعين . . . لم ينقل عن أحد منهم أنه استأذن من عائشة في حياتها أن يصلي عند قبر النبي ﷺ (١) ، ولم يعرف عن أحد منهم بعد موت عائشة رضي الله عنها وخلو الحجرات من الأزواج المطهرات رضي الله عنهن وأرضاهن ، لم يعرف عنهم ولا عمن بعدهم من القرون المفضلة أنهم توخّوا الصلاة عند قبره ﷺ ولا عند قبور الشهداء في أحد ، ولا عند قبور الصحابة في البقيع ، بل قد نهوا عن توخي الدعاء عند القبر . وروى الضياء (٢) في المختارة عن علي بن الحسين - زين العابدين - أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن

---

(١) راجع الفتاوى (ج ٢٧ ص ٢٢٣ س ٣ وما بعده) ، (ص ٢٤٥) من الجزء المذكور

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة ٥٦٩ وتوفي سنة ٦٤٣ . تذكرة ١٤٠٥ .

جدي عن رسول الله ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم** » (١) . وفي سنن سعيد بن منصور (٢) حدثنا عبد العزيز بن محمد (٣) أخبرني سهيل (٤) قال : رآني الحسن (٥) بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلمَّ إلى العشاء فقلت : لا أريده ، فقال : ما لي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ . فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : « **لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء** » (٦)

---

(١) أخرجه أبو داود بسند رجاله ثقات مخرج لهم في الصحيحين أو أحدهما .

(٢) هو سعيد بن منصور بن شعبة ، الإمام الحجة صاحب السنن . مات سنة ٢٢٧ قال الذهبي : وهو في عشر التسعين . التذكرة ٤١٦

(٣) هو الدراوردي أحد الأعلام أخرج له البخاري مقرناً ، مات سنة ١٨٩ . الخلاصة ص ٣٤ ، والتقريب (ص ٥١٢) وأرخ موته سنة ١٨٧ أو ١٨٦

(٤) هو سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان ، روى له البخاري مقرناً . مات في خلافة المنصور . تقريب ٣٣٨

(٥) هو الحسن المثنى ، ذكره البخاري في الجنائز ، وهو الأثر الذي سيأتي أن امرأته ضربت القبة على قبره . توفي سنة ٩٧ . روى له النسائي حديثاً وذكره ابن حبان في الثقات وكان وصي أبيه وولي صدقات علي في عصره .

(٦) راجع الفتاوى (ج٢٧ ص٢٢٢) غير أنه جعل القائل عبد الله بن الحسن بن الحسين والمعروف أنه الحسن بن الحسن، ولعله خطأ من النساخ وهو المؤكد، فقد صرح في مواضع أنه الحسن بن الحسن، وسنده إلى الحسن بن الحسن صحيح إلا أنه مرسل .

فهذان رجلان من أفضل أهل البيت من التابعين وهما : علي بن الحسين الملقب زين العابدين ، والحسن بن الحسن المثنى من أفضل أهل زمانهما علمًا وأحسنهم هديًا نشأا في بيوت الهداية ، وتربيا في مرابع العلم والدراية ، ينكران الإكثار من التردد إلى القبر الشريف وتوخي الدعاء عنده .

وخبر الحسن بن الحسن المرفوع وإن كان مرسلاً ، إلا أنه ثابت من طرق صحيحة عن النبي ﷺ وقد استدلا بقول النبي ﷺ : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » والعيد ما يُعتاد ويتكرر ، ومن كرر التردد إلى مكان فقد جعله عيدًا واتخذه عيدًا .

وهذا مالك إمام دار الهجرة في القرن الثاني وعالم أهل الحجاز في زمنه يحكي عنه القاضي عياض أنه قال : لا أرى أنه يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ؛ ولكن يسلم ويمضي [1] وقال عنه في المبسوط : لا بأس لمن قدم من سفر أو أراد السفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ؛ فقيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ؛ وربما وقفوا في الجمعة أو في اليوم المرة أو المرتين أو الأكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أهل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن نافع وسنده صحيح ، وأخرجه ابن سعد بسند صححه الحافظ ابن حجر إلى نافع . راجع الفتح (٧/ ٤٤٨) .

الفقه ببلدنا ، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ؛ ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك إلا من جاء من سفر أو أراده .

قال ابن القاسم [(١)] : رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر وسلموا ، قال : وذلك دأبي .

فمن ـ يا تُرى ـ أعلم بما يشرع عند قبر النبي ﷺ من أصحابه وأتباعهم من أهل بيته ؟ وأعلم الناس بدينه وبِسيَر أصحابه من بعده من أهل بلده كمالك وعلي بن الحسين وأمثالهم ؟ .

وما فعله الصحابة في قبر دانيال[(٢)] بأمر من عمر رضي الله عنه ، حيث أمرهم أن يدفنوه بالليل ويعموا قبره حتى لا يفتتنوا به ؛ ولما بلغه أن ناسًا يذهبون إلى الشجرة التي بالحديبية ويصلون تحتها ، أمر بقطعها واجتثاثها حتى لا يفتتن بها ، وما فعل الصحابة من تعمية قبر علي رضي الله عنه حتى لا يفتتن به أيضًا ؛ كل ذلك يدل على خلاف ما ذكره هذا المؤلف من الإجماع على تعظيم القبور والصلاة عندها والتوسل بها .

---

(١) سيأتي تخريجه .

(٢) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل وجد في بيت الهرمزان بستر لما فتحت في عهد عمر ؛ فكتبوا فيه إلى عمر رضي الله عنه فأمر أن يحفروا ثلاثة عشر قبرًا بالنهار ويدفنوه في واحد منها بالليل ثم يعموها جميعًا عن الناس ، خشية الافتتان به .

وكره مالك أن يقال : زرنا قبر النبي ﷺ .

قال القاضي عياض : كراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي ﷺ لقوله ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد ، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[١] .

ينهى عن إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعًا للذريعة وحسمًا للفتنة .

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[٢] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦

(٢) حديث أبي الهياج خرج في ص ٣٧

فصل

في بيان معنى (سويته)

ومغالطة بعض أهل الأهواء والبدع في ذلك

قال الألبانـي في « تحذير الساجـد » : ومعنى سويتـه : هدمته ، والمشرف هو المبني أهـ .

أمر النبي ﷺ بهدمه حتى يسوى بالأرض ويعمى مكانه حتى لا يفتتن به ، بـخلاف سائر القبور التي لـيس فيها فتنة ، فيـستحب رفع القبر شبرًا حتى لا يوطأ ولا يجلس عليه ولا يبنى عليه للسكنى .

قال الشيخ الألباني [١] ـ من المصدر المذكور [٢] ـ : ولما كان هذا الحديث حجة واضحة على إبطال ما ذهب إليه الشيخ الغماري[٣] في كتابه المشار إليه سابقًا ، حاول التَّفصِّي منه من طريقين : الأول تأويله حتى يتفق مـع مذهبه ، والآخر التشكيك فـي ثبوته فقال (ص٧٥) :

(١) هو الشيخ محمد نـاصر الدين الألباني ، المحدث الكبير والعالـم الشهير ، صاحب التأليفات النافـعة والتخريجات المفيدة ، سوري الموطن سلـفي العقيدة ، بذل جُهدًا في التخريج لا يوازيه فيه أحد جزاه الله خيرًا .

(٢) ص ١٣١

(٣) الغماري عالم معـاصر وأظنه من أهل المغرب ، لا أعرفه بأكثـر من هذا ، وما نقله عنه الألباني يدل على أنه مبتدع .

فلا بد من أحد أمرين : إما أن يكون غير ثابت في نفسه أو هو محمول على غير ظاهره ولا بد .

قلت : أما ثبوته فلا شك فيه ، لأن له طرقًا كثيرة بعضها في الصحيح كما سبق ، ولكن أصحاب الأهواء لا يلتزمون القواعد العلمية في التصحيح والتضعيف ؛ بل ما كان عليهم ضعّفوه ولو كان في نفسه صحيحًا كهذا الحديث ؛ وما كان لهم صححوه أو مشوه ولو كان في نفسه ضعيفًا . ثم قال : وكذلك فعل بعض غلاة الشيعة في كتابه (كشف الارتياب) (ص ٣٦٦) : فصرح بتضعيف الحديث من طريق مسلم ، وطعن في رجاله وكلهم ثقات أعلام ، وكذلك غمز من صحته الكوثري الجهمي (١) في مقالاته (ص١٥٩) .

وهكذا نرى أهل الأهواء على اختلاف مذاهبهم يتفقون على رد الحديث بأوهى الشبه اتباعًا لأهوائهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

(١) هو الشيخ محمد زاهد الكوثري، جركسي الأصل مصري الموطن، حنفي متعصب ، وجَهْمِّي جَلْد ، نفث من صدره ضغنًا على بعض الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعتبرين ودعاة الحق المجاهدين تعصبًا لحنفيته أو محاماة عن جهميته . ولد سنة ١٢٩٦ وتوفي سنة ١٣٧١ . راجع كتاب التنكيل للشيخ عبد الرحمن المعلمي ٥ ، ١٣ ، ١٦، ٢١١ ، ٢٥٨، ٢٨٤، ١٨٣، ٣٩١ وما بعده . . و ص ٤٦٢ حيث طعن في الوراق حمدان بأنه حنبلي جلد ، وراجع الطليعة المطبوعة معه ترى العجب العجاب . وبالجملة فقد طعن في زهاء ثلاثمائة رجل معظمهم ثقات ، ومنهم نحو تسعين حافظًا ، منهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ، أفاد ذلك المعلمي في التنكيل ص ٥ .

إلى أن قال : وأما تأويله فقد ذكر له وجوهًا واهية ، أقواها قوله : إنه خبر متروك الظاهر ، لأن الأئمة متفقون على كراهة تسوية القبر وعلى استحباب رفعه قدر شبر . أهـ

قلت : الحكم مختلف في هذا وذاك ، فالقبر الذي يدفن حديثًا يرفع عن الأرض قدر شبر ليعلم فيتقى الجلوس عليه والبناء فوقه ، وليعرف فيزار ويدفن إليه ، أما القبر المشرف فقد أمر الشارع بهدمه حتى يسوّى بالأرض ، حسمًا للافتتان به وقضاء على الاعتقاد فيه ، لأنه لا يشرف إلا قبر فيه اعتقاد ، والاعتقاد لا يزول إلا بزوال سببه ومحو أثره ، لأن رفعه على الأرض جلب مصلحة من أجل أن يعرف ، ويزار ، فيكون ذلك سببًا في الدعاء له والاتعاظ بمكانه ، أما تسوية القبر المشرف فهو درء مفسدة وهي مفسدة تعظيمه والاعتقاد فيه وصرف العبادة له ، وذلك هو الشرك الذي أرسل الله الرسل لمحاربته وأنزل الكتب للقضاء عليه ؛ وذلك يتخرج على القاعدة الشرعية : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

قال الألباني جزاه الله خيرًا [١] قلت : العجب ممن يدعي الاجتهاد ويحرم التقليد كيف يصرف الأحاديث ويتأولها حتى تتفق مع أقوال الأئمة بزعمه [٢] ! بينما الاجتهاد الصحيح يقتضي عكس ذلك

(١) تحذير الساجد ص ١٣٣

(٢) يشير بهذا إلى الغماري لأنه يرى تحريم التقليد في الفروع وهو مع ذلك يلوي أعناق =

تمامًا ، على أن الحديث لا ينافي الاتفاق المذكور لأنه خاص بالقبر المبني عليه ، فحينئذ يسوي بالأرض كما سبق عن (الأزهار) ، واتفاق الأئمة إنما هو في الأصل الذي ينبغي أن يراعى حين دفن الميت فيرفع قليلاً ؛ فهذا لا يعنيه الحديث كما أفاده القاري رحمه الله تعالى فيما تقدم نقله قريبًا .

قال : ثم قال الغماري في تأويل الحديث عن الشافعية : أنهم قالوا : لم يرد تسويته بالأرض ، وإنما أراد تسطيحه جمعًا بين الأحاديث .

قلت : لو سلم هذا فهو دليل على الغماري لا له ، لأنه لا يقول بوجوب تسطيحه ، بل يقول باستحباب رفعه بدون حد ، وباستحباب البناء عليه قبة أو مسجدًا .

قال : ثم قال الغماري في الجواب الأخير عن الحديث وهو الصحيح عندنا ، أنه أراد قبور المشركين التي كانوا يقدسونها في الجاهلية وفي بلاد الكفار التي فتحها الصحابة رضي الله عنهم ، بدليل ذكر التماثيل معها . أهـ

قلت : في بعض طرق الحديث عند أحمد أن بعث علي رضي الله عنه إنما كان إلى بعض نواحي المدينة حين كان رسول الله ﷺ

= النصوص لتتفق مع أقوال الرجال وآرائهم ولو كانت هذه الآراء مخالفة للدين وذريعة للشرك بالله رب العالمين .

فيها [١] فهذا يبطل ما ادعاه من أن الإرسال كان إلى بلاد الكفار .

وأقول : لو لم تَرِدْ هذه الرواية فإن حمله على الخصوصية باطل من أساسه لأمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن قبرًا نكرة في سياق النهي ، وهي تعمّ كما قرر في الأصول ، فهي هنا عامة بوصفها ، فكل قبر مشرف منهي عن بقائه على ذلك ومأمور بتسويته ، ومن خصصه ببلاد الكفار ضال مضل مدفوع بالهوى !

الأمر الثاني : أن العلة التي من أجلها أمر الشارع بتسوية القبر المشرف موجودة في بلاد الإسلام كما هي في بلاد الكفار المفتوحة ، بل إن الخوف على المسلمين الذين يجهلون أشد ، لأن الصحابة والذين عاصروا الجاهلية وعرفوها ثم دخلوا في الإسلام بعد الوثنية يكونون أكثر حذرًا للجاهلية التي خرجوا منها ، فلا يخشى عليهم ما يخشى على الناشئة الذين نشأوا في الإسلام بمنأى عن الجاهلية ، فقد يدخل عليهم شيء منها وهم لا يعرفونه .

ثالثاً : أن رسول الله ﷺ إنما أمر بذلك خوفًا على أمته من الافتتان بالقبور ، وتعليمًا لهم أن يزيلوا أسباب الشرك والفتنة ، وأن

---

(١) انظر الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني للبنّاء رقم ٢٦٠ جنائز . وفيه قال : أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنًا إلا كسره ولا قبرًا إلا سواه ولا صورة إلا لطخها . . . الحديث إلا أنه في سنده أبو محمد الهذلي وهو مجهول .

يمحوا كل أثر يدعو إلى ذلـك ، وليس ذلك خاصًا بزمن دون زمن ، ولا بمكـان دون مكان ، ولا بقـوم دون آخرين ، لأن الـعبرة بعـموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في الأصول .

قال الشيخ الألـباني جزاه الله خيرًا : ثم إن موضـع الشاهد من الحديث إنما هـو بعثُ عليٍّ أبا الهيـاج إلى تسوية القبـور وكان رئيس شرطته ؛ ففـيه دليل واضح على أن علـيًا وكذا عثمان [١] رضي الله عنهما في الأثر المتقدم ، كانا يعلمان بقاء هذا الحكم بعد وفاته ﷺ خلافًا لما زعمه الغماري . أهـ

قلت : الأثـر الذي يشيـر إليه هو مـا رواه رقم (٢١ ص ١٢٩) ولفظه: عن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة [٢] قال : رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور ، فقـيل له : هذا قبر أم عمرو بنت عثمان ، فأمر به فسوي [٣] .

---

(١) هو عثمان بـن عفان بن أبي العاص بن أمـية بن عبد شمس القـرشي الأموي أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين ، وكـان يلقب ذا النورين لأن النبي ﷺ زوجه رقية وأم كلثوم ابنتيه واحدة تلو الأخرى ، وبايـع عنه بشماله يوم بيعة الرضوان في الحديبية ، جهـز جيش العسرة في تبوك بثلاثـمائة بعير بأحلاسها وأقتـابها ، قتله الخوارج في ثامن عشـر ذي الحجة سنة ٣٥ رضي الله عنه وأرضـاه ، ودفن بحبش كوكب وعمره يومئذ ٨٢ سنة وأشهرًا . الإصابة (ج٢/ ٤٥٥) .

(٢) عبد الله بن شرحبيل بن حسنة القرشي . ترجمه ابن أبي حاتم في القسم الثاني من المجليد الثاني ص ٨١ وقال : روى عن عثمان ، وسكت .

(٣) عزاه في تحذير الساجد إلى ابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح .

وقال في المصدر المذكور عن أبي بردة [١] قال : أوصى أبو موسى[٢] حين حضره الموت فقال : إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ، ولا يتبعني مُجَمِّرٌ ، ولا تجعلوا في لحدي شيئًا يحول بيني وبين التراب ، ولا تجعلوا على قبري بناء ، وأشهدكم أني بريء من كل حالقة وصالقة أو خارقة. قالوا : أو سمعت فيه شيئًا ؟ قال : نعم من رسول الله ﷺ [٣] .

وعن أنس كان يكره أن يبنى مسجد بين القبور [٤] .

وعن إبراهيم [٥] أنه كان يكره أن يجعل على القبر مسجدًا [٦] .

---

(١) أبو بردة هو ابن أبي موسى الأشعري ، قيل : اسمه عامر وقيل : الحارث . ثقة من الثالثة ، مات سنة ١٠٤ وله فوق الثمانين . التقريب في الكنى حرف الباء الموحدة .

(٢) هو عبد الله بن قيس الأشعري ، قيل أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة ، وقيل لم يهاجر إلى الحبشة ولكن صادفت سفينته وقومه سفينة جعفر فقدموا بعد خيبر . تولى على بعض اليمن في عهد النبي ﷺ ثم استعمله عمر على البصرة ، ومات سنة ٤٤ وقيل ٤٢ . الإصابة (ج٢ ص ٣٥١) .

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧/٧) وإسناده قوي .

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ١٨٥) ورجاله ثقات رجال الشيخين ، ورواه أبو بكر الأثرم كما في فتح الباري لابن رجب .

(٥) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ، ثقة من الخامسة إلا أنه يرسل كثيرًا . مات سنة ٩٦ روى له الجماعة . تقريب ٤٦.

(٦) رواه ابن أبي شيبة (٤/ ١٣٤) بسند صحيح .

قال الشيخ الألباني ـ جزاه اللـه خيراً ـ بعد ذكر الأثر : وإبراهيم هذا هو ابن يزيد النخعي الإمام وهو تـابعي صغير مات سنة ٩٦ فقد تلقى هذا الحكـم بلا شك من بعض الصحابة أو ممـن أدركهم ، ففيه دليل قاطـع أنهم يرون بقاء هذا الحـكم واستمراره بعـده ﷺ فمتى نسخ ؟

وعن المعرور بـن سويد[(١)] قـال : خـرجـنا مـع عمر في حـجة حجهـا ، فقرأ بنا في الـفجر : ﴿ **ألم تر كـيف فعل ربك بـأصحاب الفيل** ﴾ و ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ فلما قضى حجه والناس يبتدرون فقال : ما هذا ؟ فقيل له : مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا قبور أنبيائهم بيعًا ، من عرضت له منكم فيها الصلاة فليصلِّ ، ومن لم تَعرِضْ له فيها الصلاة فلا يصلِّ[(٢)] .

وعن نافع قال : بلغ عمر بـن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها ، فأمر بها فقطعت[(٣)] .

---

(١) هو معـرور بن سويد الأسـدي ، أبو أمية الكـوفي ، ثقة من الـثانية ، عـاش مائة وعشرين سنة . تقريب ٢/ ٢٦٣ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة وسنده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) رواه ابن أبي شيبة أيضًا ورجاله ثقات كلهم ، لـكنه منقطع بين نافع وعمر ، ولعل الواسطة بـينهما عبد الـله بن عمر ، وقد ضعف الألـباني هذا الحديث في الـطبعة الثالثة من تحذير الساجـد بما رواه البخاري ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٤١٦٥ عن سعيد بن المسيـب عن أبيه ، وبما رواه عن عـبد الله بن عمـر رقم ٢٩٥٨ أنهم أنسوهـا فلم =

وعن قزعة [١] قال : سألت ابن عمر : آت الطور ؟ قال : دع الطور ولا تأتها ، وقال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد[٢] .

وروى أحمد مثله عن أبي بصرة الغفاري ، وهو صحيح أيضًا ، قلت : قد تقدم .

ورأى ابن عمر فسطاطًا على قبر عبد الرحمن [٣] فقال : انزعه يا غلام فإنما يظله عمله [٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أوصى أن لا يضربوا على قبره فسطاطًا [٥] . وروي مثله عن أبي سعيد الخدري وسنده ضعيف .

يعرفوها في العام المقبل . قلت : وتضعيف هذا الأثر عن نافع ليس بصواب . لأنه قد صح عنه كما هنا وكما ذكر الحافظ في الفتح أنه صح عنه عند ابن سعد أيضًا . انظر الفتح (ج٧ ص ٤٤٨) والجمع في رأيي ممكن أن جماعة من الصحابة اختلفوا في تعيينها ، وجزم بعضهم بتعيينها فأخذ ذلك عنه وفشا في الناس فعظموها وجعلوا يصلون تحتها ، ولما أخبر عمر بذلك توعد فاعليه وأمر بقطعها .

(١) هو قزعة بن يحيى ، ويقال ابن الأسود أبو الغادية البصري . ثقة من الثالثة ، روى له البخاري حديثًا واحدًا وسائر الجماعة ، تهذيب ٨/ ٣٧٧ . تقريب ٢/ ١٢٦ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة وإسناده صحيح (ص ٣٠٤) .

(٣) هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أسلم متأخرًا ، شهد الفتوحات ، ولما أراد معاوية أن يبايع لابنه يزيد أبي عبد الرحمن أن يبايع وذهب إلى مكة فتوفي بها سنة ٥٣ .

(٤) رواه البخاري تعليقًا (ج ٢ ص ٩٨) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٤/ ١٣٥) ورواه الإمام أحمد في المسند بترتيب الساعاتي (٨/ ١٠٧ رقم ٢٠١) جنائز .

وعن محمد بن كعب [1] قال : هذه الفساطيط التي على القبور محدثة [2] .

هذه الآثار نقلتها عن كتاب (تحذير الساجد) للشيخ الألباني جزاه الله خيراً .

والذي يظهر لي من هذه الآثار أن عمل الفساطيط على بعض القبور بعد موت الميت قد وقع في آخر عصر الصحابة ، وبعد أن مات عامة الصحابة ، وأن بقايا الصحابة الذين عمروا إلى ذلك الزمن كانوا ينكرون ذلك ، والذي يتبين أنهم كانوا يعملون هذه الفساطيط لأمور ثلاثة ، أو لواحد من أمور ثلاثة :

أولاً : إما لقصد إيناس الميت ليقيم الأحياء فيه لقراءة القرآن والدعاء لهذا الميت .

ثانيًا : لقصد إظلال القبر ، كما يظهر من أثر ابن عمر وقوله إنما يظله عمله .

ثالثًا : لإظهار الحزن على الميت .

---

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة المدني ، ثقة عالم من الثالثة ، روى له الجماعة . كان أبوه من سبي بني قريظة . مات سنة ١٢٠ ، وكانت ولادته في سنة ٤٠ . تقريب (٢/٢٠٣) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات . قال أبو حاتم وأبو زرعة : لا أعرفه .

وهذا يظهر من الأثر الذي رواه البخاري في باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور من صحيحه بقوله : ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ ضربت امرأته القبة على قبره سنة !! ثم رفعت فسمعوا صائحًا يقول : ألا هل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه الآخر : بل يئسوا فانقلبوا .

وقال الحافظ في الفتح في كلامه على الأثر (ج ٣ ص ٢٠٠) : ومناسبة الأثر لحديث الباب ـ قلت : حديث الباب هو حديث عائشة الذي سبق ذكره بلفظ : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره ـ أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك . فيلزم منه اتخاذ المسجد عند القبر ، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهة .

وقال ابن المنذر : إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت !! تعليلاً للنفس وتخييلاً باستصحاب المألوف من الأنس !! ومكابرة للحس كما يُتَعَلّلُ بالوقوف على الأطلال البالية والمنازل الخالية ، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا ، وكأنهما من الملائكة أو من مؤمني الجن ، و إنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا أنه دليل برأسه . أهـ

فصل

في بيان ما يستفاد من الآثار

قلت : ويستفاد مما ذكر في هذا الوجه من الآثار وما ذكر في الوجه الأول من الأحاديث الأمور الآتية :

١ ـ تحريم بناء المساجد على القبور ولو كانت قبور أنبياء أو صالحين ، لأنه ذريعة إلى الشرك .

٢ ـ أن ذلك من فعل اليهود والنهصارى .

٣ ـ أنه موجب للعنة الله عليهم ، وهو موجب للعنة الله على من فعل مثلهم من هذه الأمة .

٤ ـ تحذير النبي ﷺ أمته لئلا يفعلوا كفعلهم .

٥ ـ إخباره بأن الذين يتخذون القبور مساجد هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة .

٦ ـ أن من أكثر التردد على مكان أو قبر فقد اتخذه عيداً ، لأنه اعتاد الذهاب إليه .

٧ ـ أن السبب في عدم إظهار قبر النبي ﷺ هو خشية أن يتخذ مسجداً .

٨ ـ أن من توَخّى الصلاة عند القبر النبوي أو غيره من القبور والدعاء عنده فقد اتخذه مسجداً واتخذه عيداً .

٩ ـ وجوب هدم كل قبر مشرف « أي : مرتفع وعَالٍ » .

١٠ ـ أن نصبَ الخيام على القبور بعد الموت بدعة .

١١ ـ أن هذه البدعة من أقدم البدع التي أحدثت في الإسلام ، حيث أحدثت في آخر عهد الصحابة ، وهو مِصْداق لحديث :

« **تدور رَحَى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين**(١) **فإن يهلكوا فسبيل من هلك** » . الحديث .

أي : تتحولُ من النمو والزيادة والقوة إلى الضَّعْف والنقص .

١٢ ـ أن الصحابة أنكروا على من صنع ذلك من العامة .

١٣ ـ أن القبابَ التي أحدثت في أول الإسلام كان المقصود منها نفع الميت لا الانتفاع منه أو بواسطته . بخلاف ما حدث بعد القرون الثلاثة من بناء المساجد على القبور والتوسل بأهلها ـ بل والاستغاثة بهم في الشدائد والذبح لهم والنذر وطلب ما لا يطلب إلا من الله تعالى منهم ـ فكان مقصودهم من بناء المساجد على القبور هو طلب النفع من صاحب القبر أو بواسطته .

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٢٥٤ ، ورواه أحمد (١/ ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٥١) .

١٤ ـ أن القباب التي أحدثت في أول الإسلام من بعض العامة كانت بصورة مؤقتة ، بخلاف المساجد المحدثة فيما بعد ، فإنها بصورة مستديمة .

١٥ ـ أن الإجماع انعقد في القرون الثلاثة المفضلة على تحريم بناء المساجد على القبور والدعاء عندها والتوسل بها ، وذلك يبين كذب المؤلف في زعمه أن الإجماع منعقد من عصر الصحابة على جواز زيارة القبور للصلاة والدعاء عندها والتقرب إلى الله وابتغاء الزلفى إليه بإتيان تلك المشاهد .

ويتضح ذلك جيداً من إنكار أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ على من قصدوا الصلاة تحت الشجرة التي في الحديبية ، وأمره بقطعها وتعمية مكانها (١) وإنكاره على من توخى الصلاة في المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ (٢) .

وأمره ـ رضي الله عنه بتعمية قبر دانيال ، وإنكار علي بن الحسين والحسن بن الحسن على من قصد الدعاء عند قبر النبي ﷺ وكلهم أخذوا من سيرة النبي ﷺ ونهيه المؤكد بلعن من اتخذ القبور مساجد .

---

(١) تقدم تخريجه في (ص ٤٧) .

(٢) سيأتي تخريجه في آخر الكتاب .

١٦ ـ تحريم الغلو في الصالحين وأن الغلوّ هو سبب الشرك في بني آدم من عصر نوح إلى عصرنا هذا ، وإلى يوم القيامة .

١٧ ـ أن من أعظم أسباب الغلوِّ في الصالحين والعظماء هو تصوير صورهم وبناء المساجد على قبورهم .

١٨ ـ إن عدم الغلو في الصالحين من أمة محمد ﷺ في حال استقامتها على الجادة وذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، هو السبب في عدم معرفة قبور كثير من عظمائها وصلحائها ، وذلك أعظم دليل على إجماعهم على تحريم اتخاذ المساجد على القبور .

أما المشاهد المعروفة الآن في العراق ومصر وغيرهما فمعظمها مكذوب ومحدث من بعد القرن الرابع الهجري .

١٩ ـ إنه لا يجوز إنشاء السفر وشد الرحيل لغير المساجد الثلاثة، وأن من نذر الصلاة في مسجدٍ غير الثلاثة لا يحتاج في الوصول إليه إلى شدِّ رَحْلٍ ، وجب عليه الوفاء بذلك النذر ، أما إن كان يحتاج إلى شد الرحل إليه فإنه يحرم عليه الوفاء به لحديث : **« من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »** [1] .

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان رقم الحديث ٦٦٩٦ ، ومسلم في النذر ، وأبو داود في الأيمان ٢٢ رقم ٣٢٨٩ ، والترمذي في النذور ١٧ ، والنسائي في الأيمان ٣٢، ٣٣، وابن ماجه في الكفارات رقم ٢١٢٦ ، وأحمد في مواضع .

٢٠ - أنه لا ينبغي للمسلم أن ينشيء السفر لقصد زيارة القبر النبوي، ولكن بقصد زيارة المسجد النبوي، ومتى وصل المسجد شرع له زيارة القبر والبقيع وقباء؛ لأن صاحب القبر ﷺ هو الذي نهى عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة..

كلام المؤرخ الشهير رفيق بك

وقال الشيخ الألباني في كتابه المذكور ص١١٤ - ١١٨:

وقال الكاتب القدير والمؤرخ الشهير الأستاذ المحقق رفيق بك العظم[1] في خاتمة ترجمة أبي عبيدة رضي الله عنه تحت عنوان (كلمة في القبور): لا نريد بهذا العنوان البحث عن تاريخ القبور كالنواويس والأهرام وما شكلها من معالم الوثنية الأولى؛ وإنما نريد الوقوف بفكرة القاريء عند اختلاف المؤرخين في مكان قبر أبي عبيدة كاختلافهم في تعيين كثير من قبور جلة الصحابة الكرام، الذين دوَّخوا هذا الملك العظيم ، وتحلوا بتلك الشيم الشماء، وبلغوا من الفضل والتفضل

(١) رفيق بك العظم هو رفيق بن محمود بن خليل العظم، عالم بحاث من رجال النهضة الفكرية في سوريا ، ولد في دمشق ونشأ مقبلاً على كتب التاريخ والأدب ، صنف أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة وغيره، كانت ولادته سنة ١٢٨٤ وتوفي سنة ١٣٤٣ رحمه الله .

وأهدى خزانة كتبه إلى المجمع العلمي بدمشق وهي نحو ألف جزء . قال : وكان أبي النفس لين الطبع مهذب الأخلاق شريف السيرة والسريرة . انتهى من الأعلام للزركلي جـ٣ ص٣٠.

والتقوى والصلاح غاية لم يبلغها أحد من الأولين والآخرين، وقد بط المؤرخون أخبار أولئك الرجال العظام وعنوا بتدوين آثارهم العظيمة في فتوح الممالك والبلدان ، حتى لم يتركوا في النفوس حاجة للاستزادة ، ونعم ما خدموا به الأمة والدين.

إن القاريء إذا وقف بفكره عند هذا الأمر وقفة المتأمل، لم يلبث أن يأخذه العجب لأول وهلة من ضياع قبور أولئك الرجال العظام ، واختفاء أمكنتها عن نظر نقلة الأخبار وتدوين الآثار، على جلالة قدر أصحابها وشهرتهم التي طبقت الآفاق وملأت النفوس، إعظامًا لفضلهم وإقرارًا لفضيلة سبقهم بالإيمان ونشرهم لدعوة القرآن. لا جرم أن القاريء أقل ما تحدثه به النفس عند التأمل في هذا الأمر، أن أولئك الرجال ينبغي أن تعلم قبورهم بالتعيين. . . وتشاد عليها القباب العاليات ذات الأساطين، إذا لم تكن لشهرتهم بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان وصحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام، فلما أتوه من كبار الأعمال التي تعجز عنها أعاظم الرجال، فكيف غابت قبورهم عن نظر المؤرخين ودرست أجداثهم التي تضم أكابر الصحابة والتابعين؟ حتى اختلف في تعيين أمكنتها أربابُ السير، وعفى على أكثرها إلا ما علموه بالحدس والتخمين، وأظهروا أثره بالبناء عليه بعد ذلك الحين

مع أن المشاهد عند المسلمين صرف العناية إلى قبور الأموات بما

يبلغ الغاية في التأنق في رفـعها وتشييدها ورفع القبـاب عليها واتخاذ المساجد عندها ، لا سيمـا قبور الظالمين الذين لم يكن لهم أثر يشكر في الإسلام والمتمـشيخة والدجالين الذين كان أكـثرهم يجهل أحكام الإيمان، ولا نسبة بينهم وبـين أولئك الرجال العظام كأبي عبيـدة عامر ابن الجراح وإخوانه من كبار الصـحابة الكرام الذين تلقوا الدين غضًا طريًا ، و بلغوا بالتقوى والفضيلة مكانًا قصيًا .

والجواب عن هذا أن الصـحابة والتابعين لم يكونوا في عـصرهم بأقل تقديرًا لقـدر الرجال وتعظيـمًا لشأن من نبغ فـيهم من مشـاهير الأبطال وخيار الأمة ، إلا أنهم كانوا يأنفون من تشـييد قبور الأموات وتعظيم الرفات، لتحققهم النهي عن ذلك من صاحب الشريعة الغراء والحنيفـية السمحة، الـتي جاءت لاستئصـال شأفة الوثنيـة ومحو آثار التعظيم للرفات أو العكوف على قبور الأموات، ويرون أن خير القبور الدوارس، وأن أشرف الذكـر في أشرف الأعمال، لهذا اخـتفت عن من أتى بعد جيلهم ذلك قـبور كبار الصحـابة وجلة المجاهدين إلا ما ندر، ثم اخـتلف نقلة الأخـبار في تعـيين أمكنتـهـا باختـلاف الرواة وتضارب ظنون الناقلين، ولو كان في صدر الإسلام أثر لتعظيم القبور والحفاظ على أماكـن الأموات بتشييد القباب والمساجـد عليها لما كان شيء من هذا الاخـتـلاف، ولما غـابت عنا إلى الآن قـبـور أولئك الصـحابة الكرام كـما لم تغب قـبور الدجـاجلة التي ابتدعـها بـعد

العصور الأولى مبتدعة المسلمين وخالفوا فعل الصحابة والتابعين؛ حتى باتت هذه القباب تمثل هياكل الأقدمين وتعيد سيرة الوثنية بأقبح أنواعها وأبعد منازعها عن الحق وأقربها إلى الشرك.

ولو اعتبر المسلمون بعد باختفاء قبور الصحابة الذين عنهم أخذوا هذا الدين وبهم نصر الله الإسلام، لما اجترأوا على إقامة القباب على القبور وتعظيم الأموات تعظيمًا يأباه العقل والشرع، وخالفوا في هذا كله الصحابة والتابعين الذين أدوا إلينا أمانة نبيهم فأضعناها؛ وأسرار شريعته فعبثنا بها، وإليك ماروواه - في شأن القبور - مسلم في صحيحه: عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[1].

وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة[2] بن شفي، قال: كنا مع فضالة[3] بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو ثمامة بن شفي الهمداني أبو علي الأحرجي، المصري، سكن الإسكندرية. قال النسائي: ثقة. مات في خلافة هشام قبل سنة ١٢٠. ترجمة في التهذيب جـ٢ ص٢٨.

(٣) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، صحابي، أول ما شهد أحد، ثم نزل دمشق وولي قضاءها.
مات سنة ٥٨، وقيل قبلها. الإصابة ٣/ ٢٠١.

فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[١] .

هكذا بلغونا الدين وأدوا إلنيا أمانة الرسول ﷺ ثم تأكيداً لعهد الأمانة بدأوا بكل ما أمرهم به الرسول ﷺ في أنفسهم لنستن بسنتهم ونهتدي بهدي نبيهم؛ ولكن قصرت عقولنا عن إدراك معنى تلك الجزئيات، وانحطت مداركنا عن مقام العلم بحكمة التشريع الإلهي والأمر النبوي القاضي بعدم تشييد القبور اتقاء التدريج في مدارج الوثنية ، فلم نحفل بتلك الحكمة وتحكمنا بعقولنا القاصرة بالشرع فحكمنا بجواز تشييد القبور استحبابًا لمثل هذه الجزئيات. حتى أصبحت كليات وخرقًا في الدين وإفسادًا لعقيدة التوحيد، إذ ما زلنا نتدرج حتى جعلنا عليها المساجد وقصدنا رفاتها بالنذور والقربات، ووقعنا من ثم فيما لأجله أمرنا الشارع بطمس القبور، كل هذا ونحن لا نزال في غفلة عن حكمة الشرع، نصادم الحق ويصادمنا حتى نهلك مع الهالكين . اهـ.

(١) أخرجه مسلم ٧/ ٣٥,٣٦ نووي . والإمام أحمد في المسند بترتيب الساعاتي جـ٨ ص ٧٤ و٧٥ وأبو داود ٣٢١٩ .

فصل

في كلام صاحب (معارج الألباب) في مسالة البناء على القبور

وقال الشيخ حسين[1] بن مهدي النعمي في كتابه (معارج الألباب) بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في تحريم بناء المساجد على القبور، قال: ولو ذهبنا نستقريء ما ذكره أئمة السنة وحفاظ الحديث في هذه المسألة وماورووه في المسانيد والمجاميع والمعاجم والجوامع والسنن والأجزاء والتفاسير الأثرية، لاتسع النطاق وضاق عن الاستيعاب الخناق، وتصدى المرء لما يتعسر أن يطاق، وفيما ذكرنا وفاءٌ بالمقصود ووفاق، وأقل منه يكفي عند الفطناء الحذاق، فإذا تصفحت ما قلناه وما ذكرناه من هذه المشاهد والقباب ومصارع الموتى وأهل دار البرزخ من الأبنية والتجصيص والكتابة والتشريف واتخاذها مساجد؛ ووضع المحاريب والفرش وإعداد الماء والمصاحف والتردد عليها، والاعتكاف والصلاة والتلاوة عندها... وجدت جميع ما نهى عنه فردصا فردًا ، قد أبرز في عالم التحصيل والإيجاد، وهذه كتب

---

(١) هو السيد العلامة الحسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني، وفد من مدينة صبياء بتهامة إلى صنعاء لطلب العلم، ثم تزوج من هناك وبقي في صنعاء إلى أن توفي في عام ١١٨٧ رحمه الله .لم أجد له ترجمة في البدر الطالع وأخذت ترجمته من مقدمة كتابه معارج الألباب.

الإسلام وعمدة الأعلام معول ذوي الأحلام ومعاهد الشريعة التي جاء بهـا خاتم الرسل الكـرام عليه وعليـهم أزكى صـلاة وسلام- نطاقـة طافحـة منادية بضلال من خـالف مارسمت - وتفـارط غيه وطغـيان فساده وليه.

هذا بالنظر إلى أعـيان تلك المناهي، مـع الإغماض عـما يتـرتب على مخالفتها أيضًا مما لا يدان للأقـلام بحصره وعده ولا قدرة للبشر أن يقفوا على نهـايته وحده، كتـوافد الجموع الغفـيرة لهذه الزيارات ، واقتـحام أنـواع المفاسـد الوثنية والمنكرات، ومـا في طي إحيـاء هذه المشاهد من القبـائح المتوافرات ، فإنه بمجرده مؤذن بتحـتم تدمير هذه المشاهد والقباب والأبنية التي صارت معتكف كل طامة ، ومناخ فجور أهل الفسوق والعقوق من العامة.

ومن لا يعرف مـا ذكرنا أو هو مرتـاب في وقوع شيء منه أو لا يستقـبحه فأمره أطرف من أن يوصـف . . . إلى أن قال : فقل لي يا موفق : أي كلمة من الشارع أو أي خبر أبانوه أو سنة آثروها أو شبهة تمسكوا بها في تجويزهم البناء على القبور واتخاذها مساجد وما يلحق بذلك . . . ؟ اهـ.

فصل

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[١] في شرحه (فتح المجيد) الذي شرح به كتاب التوحيد الذي ألفه جده المجدد الكبير والمصلح العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ قال في شرح حديث أبي الهياج الذي سبق ذكره [٢] : فيه تصريح بأن النبي ﷺ بعث عليًا لذلك، أما الصور فلمضاهاتها، وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته، ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًا لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذر، وغير ذلك من كل شرك محذور. قال العلامة ابن

(١) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد في سنة ١١٩٣ وأخذ عن جده قبل وفاته - إذ توفي جده في سنة ١٢٠٦ وله ثلاث عشرة سنة ، وبعد وفاة جده أخذ عن علماء نجد ، ولما سقطت الدرعية في أيدي الأتراك رحل إلى مصر مع عائلته فمكث فيها ثمان سنوات يقرأ على علمائها ، ثم عاد إلى نجد بعد إجلاء الأتراك عنها في سنة ١٢٤١ وبقي ينشر العلم حتى توفي عام ١٢٨٥ . راجع مشاهير علماء نجد ص٥٨ .

(٢) راجع فتح المجيد ص ٤٣٩ .

القيم[1] رحمه الله: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما كان عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها وإليها، ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مساجد مضاهاة لها ببيوت الله، ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون على إيقاد القناديل عليها، ونهى أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها.. وذكر حديث أبي الهياج الأسدي وحديث ثمامة بن شفي عند مسلم أيضاً قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فمات صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[2] وهؤلاء يخالفون

---

(١) ابن القيم هو العالم العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم فبرع في علوم شتى ، ولما رجع شيخ الإسلام ابن تيمية من مصر في سنة ٧١٢ لازمه حتى مات ، فأفاد منه علمًا جمًا ، وتوفي سنة ٧٥١ ترجمه في البداية جـ١٤ ص٢٣٤.

(٢) راجع الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني جـ ٨رقم ٢٦٢ جنائز، ومسلم في باب الأمر بتسوية القبر من كتاب الجنائز.

هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه [1] ، ونهى عن الكتاب عليها كما روى أبو داود في سننه والترمذي عن جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها، قال الترمذي : حديث حسن صحيح[2] ، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ، ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر وأن يكتب عليه وأن يزاد عليه[3]، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم ، والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور والمتخذين أعيادًا والموقدين عليها الذين يبنون عليها ، مناقضون لما أمر رسول الله ﷺ محادون لما جاء به ، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء من أصحاب

---

(١) أخرجه مسلم جـ٧ ص ٣٧ وأبو داود رقم ٣٢٢٥ جـ٣ باب في البناء على القبر.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ٥٧ رقم ١٠٥٨ .

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٣٢٢٦ والترمذي وزاد **«وأن توطأ»** وقال هذا حديث حسن صحيح وزيادة **«وأن يزاد عليه»** لأبي داود بالرقم المشار إليه ، حيث قال أبو داود : زاد عثمان يعني ابن أبي شيبة **« أو يزاد عليه »** .

أحمد وغيرهم بتحريمه. قال أبو محمد المقدسي [١] : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، ولأن فيه تضييعًا للمال بغير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام، قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ثم ذكر حديث عائشة السابق إلى أن قال : وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا سماه (مناسك حج المشاهد) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عبادة الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما ضرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه،ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره اهـ.

---

(١) هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ـ أبومحمد صاحب التصانيف المشهورة ، منها الكمال في أسماء الرجال ، والأحكام الكبرى والصغرى ، ولد بجماعيل في ربيع الآخر من سنة ٥٤١ وارتحل هو والموفق بن قدامة إلى بغداد سنة ستين ، وكان ميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه ، وكانت وفاته رحمه الله سنة ٦٠٠ بعد مطاردة عنيفة لحقته بسبب إعلانه للعقيدة السلفية، انظر البداية جـ ١٣ / ٣٨/ ٣٩ .

فصل

في كلام ابن الأمير الصنعاني في البناء على القبور وزيارتها والاعتقاد فيها

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني[1] المتوفي سنة ١١٨٢في كتابه (تطيهر الاعتقاد) فإن قلت : هذا أمر عم البلاد وأجمع عليه سكان الأغوار والأنجاد وطبق الأرض شرقًا وغربًا ويمنًا وشامًا وجنوبًا وعدنًا، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها، وينذرون لها ويهتفون بأسمائها، ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها، ويلقون عليها الوردود والرياحين ويلبسونها الثياب، ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها، من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه أؤ مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة، يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر ، ولا يتسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ من الشناعة ما ذكرت، ويسكت علماء الدنيا الذين ثبتت لهم الوطأة

---

(١) الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل ، ولد سنة ١٠٩٩ في كحلان ونشأ بصنعاء له مؤلفات كثيرة منها : سبل السلام ، شرح بلوغ المرام والعده .. وغيرهما، وكان محدثًا سنياً إلا أن فيه تشيعًا . توفي سنة ١١٨٢ رحمه الله . البدر الطالع ٢/ ١٣٣ .

في جميع جهات الدنيا عليه.

قلت : إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف، وعرفت أن الحق ماقام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل، ينشأ الواحد منهم فيجد أهل قريته وبلدته يلقنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون له ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره، ويلطخونه من ترابه ويجعلونه طائفًا على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير وشاخ عليه الكبير، وما يسمعون من أحد عليهم من نكير ، بل ترى ممن يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة معظمًا لما يعظمونه ومكرمًا لما يكرمونه ، قابضًا للنذور آكلاً ما ينحر على القبور، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالم على وقوع المنكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر... إلى أن قال: فإن قلت: يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة قلت : حقيقة

الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على أمر بعد عصره ، وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد بعد الأربعة وإن كان هذا قولاً باطلاً، وكلام لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا إجماع أبدًا من بعد الأئمة الأربعة، فلا يرد السؤال، فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة.

وعلى ما نحققه فالإجماع وقوعه محال، فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم ، وعلماؤها المحققون لا ينحصرون ، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة علماء المسلمين فإنها دعوى كاذبة كما قاله علماء التحقيق:

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر ، وما أنكروه، بل سكتوا عن إنكاره، لما دل سكوتهم على جوازه ، فإنه قد علم من القواعد الشرعية أن وظائف الإنكار ثلاثة:

أولها: الإنكار باليد.

وثانيها : الإنكار باللسان.

وثالثها: الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة الإنكار باليد واللسان.

فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر. . . إلى أن قال: فما كان

سكوت رضى، فإن هذه المنكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه، وقلمه، وأعرضاهم تحت قوله وكلامه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد.

فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام، وخراب بنيانه غالب، بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه... إلى أن قال: فإن قلت: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت عليها الأموال، قلت: هذا جهل عظيم بقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ولا من أصحابه ولا من تابعيهم ولا من تابع تابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور[1] في سنة ٦٧٨ هـ. ذكره في «تحقيق النصرة بتخليص معالم الهجرة» فهذه أمور دولية لا دليلية. ا.هـ.

---

(١) الملك المنصور قلاوون بن عبد الله التركي الصالحي، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار، وكان من أكابر الأمراء عنده، وبعده، ولما تزوج الملك السعيد ابن الظاهر بابنته غزية خاتون عظم شأنه جداً وما زال يترفع في الدولة حتى صار أتابك، ثم استقل بالملك في سنة ٦٨٤ وفتح طرابلس سنة ٦٨٨ وعزم على فتح عكة وبرز إليها فعاجلته المنية في ٢٦ ذي القعدة عام ٦٨٩ ترجمته في البداية جـ ١٣ ص ٣١٦، ٣١٧.

الوجه الرابع : ما هو الإجماع المعتبر

عند علماء الإسلام

بالحق والدليل لا بالقال والقيل والدجل والتضليل؟

تعريف الإجماع:

هو اتفاق أهل الحل والعقد أو مجتهدي أمة محمد ﷺ من بعد عصره على حكم شرعي . وهذا تعريفه عند أهل السنة، أما تعريفه عند الرافضة فهو قول علي وحده أو أئمتهم وحدهم. ولا يخفى أن إجماع الشيعة وحدهم لا يعد إجماعًا.

الدليل على أن الإجماع حجة

أما الدليل على أن الإجماع حجة يجب اتباعها ، فهو قول الله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ [١] .

فالوعيد مرتب في هذه الآية على أمرين:

أولهما : مشاقة الرسول ﷺ بعد تبين الهدى واتضاح الحق.

الثاني: اتباع غير سبيل المؤمنين [٢] وهذا داخل في الأول من

(١) سورة النساء الآية ١١٥.

(٢) راجع شرح الكوكب المنير للشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، المتوفي سنة ٩٧٢. جـ٢ ص ٢١٥.

حيث المعنى، لأن سبيل المؤمنين هو طاعة رسول الله ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتصديق أخباره والانقياد له وعدم مخالفته.

أما المشاقة فهي المخالفة، أن يكون رسول الله ﷺ في شق وأنت في شق آخر، واتباع غير سبيل المؤمنين هو اتباع أعدائه، وتلك هي نفس المشاقة له، فتبين من هذا أن اتباع سبيل المؤمنين واجب إذا اجتمعوا على أمر فيه طاعة لله ولرسوله، أي سلوك طريقهم الذي اجتمعوا عليه.

ثالثًا: يؤخذ من الآية أن سبيل المؤمنين واحد وهو طاعة الله ورسوله.

رابعًا: يؤخذ من الآية أن إجماع المؤمنين معصوم، لأن الله تعالى أمر باتباعه، وتوعد بالنار على تركه واتباع غيره، ولا يأمر الله إلا باتباع معصوم، ولا يتوعد بالنار إلا على ترك اتباع من ثبتت عصمته ووجبت متابعته، فلزم من ذلك أن إجماع المؤمنين معصوم إذا علم إجماعهم جميعًا وثبت بشروطه.

خامسًا: يؤخذ من الآية أن الإجماع المعتبر هو إجماع الأمة كلها أو مجتهدي أمة محمد كلهم، ولا يكون ذلك لواحد دون غيره ولا لجماعة دون جماعة ولا لمذهب دون مذهب، وذلك ما سجله الحديث المشهور «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**».

وهو حديث مشهور على الألسنة وفي أسانيده مقال، لكنها ترتفع بمجموعها إلى درجة الحسن لغيره.

قال السخاوي[١] رحمه الله في (المقاصد الحسنة): وبالجملة فهو حديث مشهور المتن وأسانيده كثيرة وشواهده متعددة في المرفوع وغيره وأخرجه ابن ماجه[٢] والحاكم[٣].

سادسًا: يؤخذ من الآية أن الإجماع المعتبر هو إجماع المؤمنين المنقادين لله ولرسوله ﷺ دون أهل الأهواء الذين انقادوا لشيوخهم من أصحاب الأهواء ودعاة الضلال وأرباب الكلام، تاركين كتاب الله وسنة رسوله وراءهم ظهريًا.

---

(١) راجع المقاصد الحسنة ص ٤٦٠ رقم ١٢٨٨.

(٢) راجع سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ١٣٠٣ رقم ٣٩٥٠ وفي سنده أبو خلف الأعمى وهو متروك. أفاده في التقريب جـ ٢ ص ٤١٧.

(٣) المستدرك جـ١ ص١١٥، وانظر شواهد الحديث في شرح الكوكب المنير ص ٢١٨، ٢١٩. وما بعدها إلى ٢٢٣.

شروط الإجماع

والإجماع لا يكون معتبرًا عند أهل العلم إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية:

أولاً: أن يكون الإجماع معتمدًا على نص[١] والنص الذي يعتمد عليه الإجماع إما أن يكون قطعيًا وإما يكون ظنيًا:

فالقطعي كقوله تعالى: ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم**﴾[٢] إلى آخر الآية.

والظني كقول النبي ﷺ : «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها**»[٣] فالإجماع قائم على أن الأمهات حرام على أبنائهن والبنات حرام على آبائهن، ومستند الإجماع نص قطعي وهو الآية.

---

(١) راجع ص ٢٥٩ من جـ٢ شرح الكوكب المنير طبع جامعة الملك عبد العزيز، ولا ينظر إلى خلاف بعض المتكلمين في قولهم أن يكون مصادفة ، أي : عن توفيق من الله من غير مستند ، والجواب أن التوفيق لا يحصل إلا عن تقوى ، والتقوى لا تكون إلا باتباع الرسول ﷺ ويحضرني الآن قول النبي ﷺ : « **سووا صفوفكم ، لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم** »فيلزم من اختلاف الوجوه اختلاف الاتجاهات، ويلزم من ذلك اختلاف الكلمة ، ويلزم من اختلاف الكلمة عدم الإجماع، والله أعلم، وتقليد بعض الناس لبعض على الباطل لا يعد إجماعاً؛ لأن الإجماع هو ما حصل عن نظر واجتهاد.

(٢) سورة النساء ص٢٣.

(٣) مخرج في الصحيحين مسلم رقم ١٤٠٨ والبخاري رقم ٥١١٠ عن أبي هريرة.

والإجماع أيضًا قائم على تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة واخالتها، ومستند الإجماع نص ظني.

ثانيًا: يشترط في الإجماع أن لا يخالف نصًا صحيحًا، فإن وجد إجماع على خلاف نص صحيح، فالنص منسوخ وإ لم يعلم ناسخه، قال شيخنا حافظ ابن أحمد الحكمي رحمه الله [1] :

وليس لإجماع على ترك العمل بناسخ لكن على الناسخ دل

وما ذكره الشيخ هنا هو ما قرره علماء المصطلح والأصول.

ثالثًا : يشترط في الإجماع الصحيح أن لا يسبقه خلاف مستقر، فإن سبقه ذلك فلا إجماع، لأن الأقوال لا تبطل بموت قائليها [2] وخرج بقولنها (مستقر) الخلاف غير المستقر، فإنه لا يخرق الإجماع [3] والله أعلم.

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) مثل له في شرح الكوكب المنير بقتال أهل الردة ، لأن بعض الصحابة عارض فيه أولاً ثم اتفقوا على قتالهم ، وبدفن النبي ﷺ انظر ص ٢٧٤المرجع المذكور. ويمكن أن يمثل أيضًا بنكاح المتعة ، حيث خالف فيه ابن عباس ثم رجع ، وانعقد الإجماع على تحريمه إلا عند الرافضة، ولا يعتد بخلافهم.

(٣) راجع شرح الكوكب المنير جـ٢ ص٢٧٢.

فصل

من هم الذين يعتبر إجماعهم حجة؟

أما من هم الذين يعتبر إجماعهم حجة فهم أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والذين ابتعوهم بإحسان من علماء المسلمين، الذين يسوغ اجتهادهم شرعًا؛ كأن يكونوا على علم باللغة وعلوم الآلة، كالأصول والمصطلح والنحو والصرف وغير ذلك مما يعرفون به مواقع الكلام، من منطوق ومفهوم ونص وظاهر ومؤول ومطلق ومقيد وعام وخاص ومجمل ومبين... وقد أشارت إلى ذلك الآيات من سورة الحشر حيث قال الله تعالى: ﴿ **للفقراء المهاجرين**﴾ الآية ثم، قال: ﴿ **والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم**﴾ ثم قال: ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا**» [1] الآية.

فالقسم الأول المهاجرون، والقسم الثاني الأنصار، والقسم الثالث الذين اتبعوهم بإحسان، فلم يسبوا ولم يكفروا ولم يفسقوا، ولم يحملوا لهم غلاً من ضغينة أو عداوة، فلم يدخل في القسم الثالث

(١) الآيات، ٨، ٩، ١٠ من سورة الحشر.

من انتقص الصحابة أو فسقــهم أو كفرهم كالرافضة والخوارج ، ولذا قــال مــالك : ليس لرافــضي في الفــيء حق. . . مــستــنبطًا من هذه الآية[1].

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ تفسير سورة الحشر.

فصل

هل الإجماع ممكن بعد عصر الصحابة وتفرق الأمة في أصقاع الأرض؟

ومن المعلوم أن الإسلام انتشر بعد عصر الصحابة، وتفرقت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وجنوب الأرض وشمالها، وفي كل مكان من أصقاع الأرض، وليس ذلك بالفتوح فحسب، ولكن بالهجرة والتجارة، ومما يدل على ذلك وجود المسلمين في بلدان لم يفتحها المسلمون، كالصين وجاوة وماليزيا والفلبين ومدغشقر وغيرها...

وإذا كان كذلك فهل يستطيع أحد حصر مجتهدي أمة محمد ﷺ ومعرفة وفاقهم وخلافهم؟ فذلك مستحيل عقلاً وبالأخص في الأزمنة الماضية، حين كانت المواصلة على الجمل والحمار والبغل والفرس، وحتى من وجدوا في عرصة الإسلام كالشرق الأوسط مثلاً ورأوا القباب على القبور وشاهدوا من يزورها ويتمسح بها، من يعلم أنهم كلهم أقروا ذلك ولم ينكروه؟ فيصح أن يكون بعضهم قد أنكر ذلك ولم يقبل منه العامة، وقد يكون أن بعضهم اقتصر على الإنكار بالقلب خوفًا من سلطان أو تجنبًا لأذى العامة، بل هذا هو المقطوع

به، ومع هذا فهل يستطيع مسلم صادق اللسان مؤمن القلب أن يقول إن هؤلاء العلماء قد أجمعوا على شرعية بناء المساجد والقباب على القبور والتطوف بها والدعوة لأصحابها؟ هذا لا يقوله إلا جاهل ومفتون ، ولهذا فقد قرر كثير من العلماء إحالة الإجماع بعد عصر الصحابة، كما أشار إلى ذلك العلامة الصنعاني فيما نقلته عنه سابقًا.

نقاش مع الرافضي في إجماعه المدعى

وإذ قد عرفناك ما هو الإجماع بالحق والدليل لا بالكذب والدجل والتضليل، وأبنا لك ذلك بالبرهان الساطع والحجج القواطع، فإنا نريد الآن أن نناقشك فيما ادعيته من الإجماع المطرد على جواز البناء على القبور والصلاة عندها والتبرك بها، والتوسل بأهلها إلى آخر ما قلت . . . فنحن نقول لك أثبت لنا ما تدعيه من الإجماع والسيرة

المطردة التي لم يخالفها إلا ابن تيمية في آخر القرن السابع وأول الثامن، أثبت لنا ذلك عن أصحاب رسول الله ﷺ بأسانيد صحيحة أنهم قالوا ذلك أو فعلوه أو أفتوا به، ولا يتم لك ذلك حتى ترويه عن عامتهم وجمهورهم مع عدم المخالف لهم، ثم عن التابعين كذلك، ثم عن أتباع التابعين كذلك ، ولا يتم لك ذلك حتى يكون هذا الإجماع معتمداً على نص أو نصوص من الكتاب والسنة ، فأين النص؟ وأين فتاوى الصحابة والتابعين وأتباع التابعين؟ دون ذلك خرط

القتاد كما يقولون.

أما نحن فقد أوجدناك الأحاديث الصحيحة وأقوال صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، إجماعاً منهم على ما صح عن نبيهم ﷺ من تحريم البناء على القبور والصلاة عندها والتبرك والتوسل بأهلها ، وإذا كان كذلك فقد تبين أن إجماعك هذا مكذوب ومختلق، سيطالبك به كل عالم من علماء المسلمين افتريت عليه هذه الدعوى الكاذبة.

فإن قلت : أريد الإجماع عندنا فنحن نقول لك على سبيل التنزل - وإلا فعبارتك واضحة أنك تريد إجماع المسلمين عامة وليس أهل مذهبك، وحدهم - نقول لك: إن كان الإجماع عندكم هو إجماع أهل البيت فقد عرفت إنكار علي بن الحسين والحسن بن الحسن على الذي كان يجيء إلى القبر النبوي ليدعو عنده، وذلك يخرق عليكم الإجماع إن وجد.

وإن كان الإجماع عندكم هو النص عن علي بن أبي طالب وحده، فها هو النص عن علي بإسناد صحيح عند مسلم أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفًا إلا سويته. فإن كنتم تتبعون علي بن أبي طالب فاتبعوه في هذا النص ، وإن كنتم تتبعون أهواءكم فلا نملك لكم الهداية إذا أضلكم الله ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير

هدى من الله ؟

الوجه الخامس: إن شيخ الإسلام بني قوله هذا وغيره على الكتاب والسنة ولم يقل شيئاً عن هوى.

ونقول خامسًا : إن شيخ الإسلام قد بنى قوله هذا وجميع مارد عليكم فيه - كما هو مبين في كتابه- بنى ذلك على كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين وجلة علماء الدين، ولم يخالف إجماعًا قط ، وما شوش به أعداؤه ضده منه ما هو مكذوب عليه ولا يصح عنه، ومنه ما هو مبالغ فيه من علماء عصره الذين أرادوا الحط من قدره حسدًا وبغيًا وظلمًا وعدوانًا، ولا يضره ذلك شيئًا ما دام مقتفيًا للحق وقافًا مع النصوص.

ومشاهير المسائل التي ادعي عليه أنه خالف الإجماع فيها ثلاث ، والحقيقة أنه ليس فيها إجماع.

أولها: إنكاره لشد الرحيل إلى قبر الخليل، مستنده في ذلك الحديث الصحيح: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[1] الحديث، وقد عرفناك أن الإجماع قائم على تحريم ذلك ، وقد نقلنا أقوال الصحابة والتابعين في ذلك ، وقول ابن تيمية - رحمه الله - يوافق ذلك ولا يخالفه، ومن زعم عليه أنه خالف في هذه المسألة إجماعًا

(١) تقدم تخريجه..

فقد كذب، فالإجماع معه لا عليه.

ثانيًا: إنكاره إنشاء السفر لزيارة القبر النبوي دون المسجد هو فيها المحق أيضًا، ودليله الحديث السابق، وأسوته في ذلك إمام دار الهجرة مالك - رحمه الله - ولم يؤثر عن غيره ما يخالفه.

أما الزيارة السنية فلم ينكرها، ومن ادعى عليه أنه أنكرها فقد كذب عليه.

ثالثًا: مسألة طلاق الثلاث وأنها واحدة ... هذه المسألة دليلة فيها حديث ابن عباس المروي في صحيح مسلم بلفظ: **«كانت الثلاث واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من خلافة عمر»** [1] إلخ.

ومن شنع عليه بذلك وزعم أنه خالف الإجماع فقد كذب، فليس هناك إجماع، بل الخلاف جار في هذه المسألة من عصر عمر رضي الله عنه إلى الآن وإلى يوم القيامة.

الوجه السادس: في بيان مخالفات الرافضة للإجماع وهي كثيرة.

وها أنتم يا معشر الرافضة خالفتم الإجماع والنصوص الصريحة في مسائل كثيرة، وكان الأولى بكم أن تشتغلوا بعيوب أنفسكم قبل أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٠/ ٧٢، ٧٣، ٧٤نووي).

تعبيوا غيركم، ونحن نذكر بعض المسائل التي خالفتم فيها الكتاب والسنة والإجماع فنقول:

أولاً: قال الله تعالى : **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾**[1] .

فقد أجمع المسلمون على أن الثاني هو أبو بكر الصديق ﷺ وذلك يتضمن فضله، وقد أنكرتم فضله هذا وسببتموه ونسبتموه إلى الخيانة وأنتم في ذلك كاذبون ظالمون، وخالفتم القرآن وخالفتم إجماع الأمة. قال القرطبي في تفسير هذه الآية ، قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو واحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر، لأنه رد نص القرآن، وقال أيضًا: : جاء في السنة أحاديث صحيحة يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده ، وقد انعقد الإجماع على ذلك، ولم يبق منهم مخالف، والقادح في خلافته مقطوع بخطئه وتفسيقه. وهل يكفر أم لا؟ يختلف فيه، والأظهر تكفيره، وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الفتح إن شاء الله تعالى[2].

(١) سورة براءة الآية ٤٠ .

(٢) هذا كلام القرطبي رحمه الله .

والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ، ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة : فضل الصديق على جميع الصحابة، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع، فإنهم بين مكفر تضرب عنقه وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته، ثم بعد الصديق عمر الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين ، روي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان [1] اهـ.

ثانيًا : أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على خلافة أبي بكر، ومنهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم جميعًا- الذي بايعه، وأشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في قوله: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» [2] فأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وأبيت أنتم يا معشر الروافض أن تقروا له بالخلافة بعد رسول ﷺ فلم تكونوا من المؤمنين.

---

(١) أخرجه البخاري في فضل أبي بكر الصديق بعد النبي ﷺ رقم ٣٦٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع رقم ٥٦٦٦ ولفظه «**لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**» وأخرجه في الأحكام ٧٢١٧ وأخرجه مسلم في الفضائل ١٥/ ١٥٥ولفظه : قال لي رسول الله في مرضه : «**أدعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » وأخرجه أبو داود في كتاب السنة من سننه.

ثالثًا : أجمع المسلمون على أن أفضل الناس بعد أبي بكر عمر، وهو الخليفة بعده بصريح النصوص وإجماع الأمة ومنهم علي بن أبي طالب، وحديثه في صحيح البخاري ومسلم في قوله الذي قاله لما طعن عمر ونقله عنه ابن عمه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم جميعًا- ولفظه : وضع عمر على سريره فاكتنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم، قال: فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ، فالتفت إليه فإذا هو علي، فترحم على عمر وقال : «ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك»(١) الحديث.

وقد خالفتم هذا الإجماع وزعمتم بأن عمر بن الخطاب خان الله ورسوله(٢) ﷺ وهو وجميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً.

رابعًا : ويقال في عثمان ما قيل في عمر، فقد أجمع الصحابة على البيعة له بعد التشاور، وعرض عبد الرحمن الخلافة بالشرط على علي

---

(١) أخرجه البخاري في فضل عمر رقم ٣٦٧٧ وأخرجه مسلم أيضًا جـ١٥ ص١٥٨ شرح النووي.

(٢) ولذلك فإنهم يسمون أبا بكر وعمر صنمي قريش ! ويسمونهما الجبت والطاغوت! ويتعبدون بلعنهما ولعن ابنتهيماه أمي المؤمنين عائشة وحفصة ! ويعظمون قاتل عمر المجوسي الملعون أبا لؤلؤة، ويسمون يوم قتله يوم العيد الأكبر والزكاة العظمى! انظر الخطوط العريضة ص ١٧، ١٨، ١٩ .

فلم يقبل، وقبل عثمان الشرط[١] وبايعه عبد الرحمن [٢] ثم بايعه الناس وفيهم علي بن أبي طالب نفسه، وكان ذلك إجماعًا وأنتم تخالفون هذا الإجماع، وتزعمون أن الصحابة كلهم خانوا وحادوا وخرجوا عن دائرة الحق.

خامسًا : أثنى الله تعالى على الصحابة في غير ما آية، كقوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾[٣] الآية . وكقوله تعالى: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنها خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم**﴾[٤] وكقوله تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهجارين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ**

---

(١) هذه رواية، ورواية أخرى تقول: إن عبد الرحمن حين آل إليه الأمر في اختيار الخليفة جلس ثلاثة أيام يستشير الصحابة، ثم أخذ على الشيخين أن يقبل كل منهما اختياره ولا يخالفه، ثم بياع عثمان وبايعه علي بعده، فكان إجماعاً منهم رضي الله عنهم.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين إلى الإسلام ، كانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وله من العمر ٧٥ سنة . سير أعلام النبلاء ١/ ٦٨.

(٣) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٤) سورة براءة الآية ١٠٠.

قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ليتوبوا إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾[١] الآيات.

هذه الآيات كلها تتضمن الثناء على أصحاب رسول الله، ومعها الأحاديث النبوية وإجماع الأمة بأسرها ما عدا الروافض والخوارج، فإنهم يسبون أصحاب رسول الله ﷺ كافة، ويطعنون في عدالتهم ويخرجونهم من دائرة الحق، بل إن الخوارج وبعض الروافض يكفرونهم، فطعنوا في الإسلام الذي ينتسبون إليه ويزعمون أنهم من أهله، وحاشا وكلا! لأنهم إذا طعنوا في حملته الذين بلغوه إلينا فقد طعنوا فيه.

سادسًا: قال الله تعالى في حق أهل الإفك، الذين رموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾**[٢].

إلى آخر الآيات الخمس عشرة. فبرأ الله تعالى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به أصحاب الإفك، والرافضة يرمونها بما برأها الله منه ويكذبون الله تعالى في خبره ويدنسون فراش رسول الله ﷺ فاستحقوا بذلك غضب الله عليهم ومقته لهم وسيلقون جزاء ذلك عنده

---

(١) سورة براءة الآيتان ١١٧ ، ١١٨.

(٢) سورة النور الآية الحادة عشرة وما بعدها.

يوم القيامة[1] .

سابعًا : حرم رسول الله ﷺ نكاح المتعة بعد الفتح، وأجمع المسلمون على تحريمها إلا شيء يروى عن ابن عباس وقد ثبت رجوعه عنه وموافقته لإجماع الأمة والشيعة تبيح ذلك إلى يومنا هذا تاركة لما ثبت عن رسول الله ﷺ ولإجماع الأمة كلها.

ثامنًا : أجمعت الأمة على أن المعجزات لا تكون إلا مع الأنبياء ولا تظهر إلا على أيديهم، والرافضة أو جمهورهم يزعمون أن المعجزات تكون مع الأئمة وتظهر على أيديهم، وهم في ذلك كاذبون ومفترون.

تاسعًا: يقول الله تعالى: ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا**[2] .

ويقول تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض**

(١) نقل في كتاب (وجاء دورس المجوس) ص١٤٨ عن الدكتور تقي الدين الهلالي أنه كفر الرافضة بعد مناظرته لإمامين مجتهدين شيعيين ، بدأ من أسمائهم عبد الحسين، عبد العلي ، عبد الزهراء ، ثم يتحدث عن مناظرته لشيخهم عبد المحسن الكاظمي في المحمرة ، وكان هذا الشيخ بين عدد من أصحابه يزيدون على ثلاثمائة ، وسمع الهلالي منهم جميعًا قولهم عن عائشة ﵂: (لا يا ملعونة) كما سمع من الكاظمي شتيمة وضيعة لأبي بكر نعف عن ذكرها . انتهى .

(٢) سورة الجن الآيتان ٢٦، ٢٧.

ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[١] .

وقال لنبيه : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾** [٢] الآية. وقال عنه أيضًا : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾**[٣] . ويقول النبي ﷺ : «**إنما أنا بشر ، وإنما يأتيني الخصم ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فليعلم أني إنما أقتطع له قطعة من نار، فإن شاء فليحملها وإن شاء فليذرها**» [٤] متفق عليه.

وأجمعت الأمة على أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله عز وجل ، وأنه لا ينبغي لأحد أن يدعي شيئًا من علم الغيب لنفسه أو يدعيه لغيره، وجمهور الرافضة قد ذهبوا إلى أن الإمام يعلم أمر الدنيا والدين.

ومن أراد الاطلاع على مثالب الرافضة وعيوبهم وما خالفوا فيه

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم ٣٤٥٨ و ٢٦٨٠ ، ومسلم في الأقضية ، والنسائي في الأقضية جـ٨ ص٢٣٣ .

الكتاب والسنة وإجماع الأمة فليقرأ كتب الملل والنحل ككتاب (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري[١] و(الملل والنحل) للشهرستاني [٢] ، و (الملل والنحل) لابن حزم الظاهري [٣] ولنكتف بهذا القدر في الرد على المؤلف في زعمه أن السنة مطردةوالإجماع قائم من لدن عصر الصحابة إلى أن ولد الدهر ابن تيمية الحراني على جواز البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها وقصد تلك المشاهد والتوسل بأهلها. . إلى آخر ما قال من كذب وزور ومين وفجور، والله يعلم أنه في ذلك كذاب مغالط دجال مضلل، ولولا خوف

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري المتكلم الناظر الشهير البصري . من مؤلفاته : مقالات الإسلاميين ، والأسماء والصفات والرد على المجسمة . اشتهر عنه تأويل الصفات وتابعه على ذلك خلق لا يحصون، وكتابه الإبانة يدل على أنه رجع عن كثير من أقواله الأولى ، ومقلدوه ، ينكرون ذلك . مات سنة ٣٢٤ ومما يدل على رجوعه أنه لما ذكر عقيدة السلف في المقالات قال : وبقولهم نقول . شذرات ٤/٣٠٣.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني ، كان إمامًا فقيهًا متكلمًا، له كتاب الملل والنحل وغيره. . . توفي سنة ٥٤٨ وقيل ٥٤٩ . شذرات جـ٤/ ١٤٩.

(٣) هو ا لعلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي بالولاء الأندلسي القرطبي . له كتاب المحلى والفصل في الملل والنحل ، ظاهري في الفروع مخلط في العقيدة، رحمه الله كان مولده في سنة ٣٨٤ ، وتوفي سنة ٤٥٦ . تذكرة الحفاظ ص١١٤٦.

الانخداع بما كتب لم أشتغل بالرد عليه، فقد تولى الرد على هذه الفئات الضالة من هو أطول مني باعًا وأدرى بهم علمًا واطلاعًا، ولكن رجاء مرتبة المجاهدين الذَّابِّين عن الدين الناصرين للحق وأهله، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

فصل

وما إن ختمت هذا الكلام الآنف الذكر وجلست أتصفح الرسالة التي عنيت بالرد عليها في عصر يوم ٤رمضان عام ١٤٠٠ هـ . حتى دخل علي صديق لي وفي يده مجلة (المجتمع) الصادرة في ٢٤ شعبان من العام المذكور الموافق ٨ يوليوا ١٩٨٠ العدد ٤٨٨ ، وإذا به يريني ما نشرته المجلة عن الخميني تحت عنوان: أقوال خطيرة لقائد الثورة الإيرانية الخميني[1] .

ونصه : نشرت الرأي العام بتاريخ ٣٠/٦/ ١٩٨٠ م لقائد الثورة الإيرانية الخميني كلامًا خطيرًا لم يقل به أحد من المسلمين من قبل بمناسبة عيد مولد المهدي المنتظر الذي يوافق الخامس عشر من شعبان من كل عام قوله : بأن الأنبياء جميعًا جاؤوا من أجل إرساء قواعد العقيدة في العالم لكنهم لم ينجحوا، وحتى إن النبي محمداً

(١) قائد الثورة الإيرانية هو عبد الله الخميني ، نفاه الشاه رضا بهلوي إلى فرنسا، بدأت القلاقل تسيطر على أنحاء إيران ، ومازالت تستفحل يومًا فيومًا حتى أدى ذلك إلى فرار الشاه رضا بهلوي بنفسه وعائلته ، وجاء الخميني من فرنسا فاحتل عرش إيران ، وجاء بمجيئه دور المحاكم والمحاكمات والمشانق لأهل السنة وكل من يرتاب فيه ، وأخذ يعلن عقيدته في كتبه التي برزت مؤخرًا ، ومنها تفضيله للأئمة على الرسل والملائكة، وتفضيله للمهدي المزعوم على نبينا محمد رسول الله ﷺ وهو ما زال على قيد الحياة إلى حين كتابه هذا التعليق في ٢٠/ ١٠/١٤٠٣ .

ﷺ خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة لم ينجح في ذلك في عهده، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم ويقوم الانحرافات هو الإمام المهدي عليه السلام كما أضاف أن غيبة الإمام المهدي أرواحنا له الفداء ! هي مسألة هامة تعلمنا أشياء كثيرة، ومن بينها أنه لا يوجد في العالم أحد سواه من أجل تنفيذ العدالة بمعناها الحقيقي! وأن الله تعالى قد أبقاه ذخرًا من أجل البشرية!!

واستطرد يقول: إن الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ سيعمل على نشر العدالة بجميع أنحاء العالم، وسينجح فيما فشل في تحقيقه الأنبياء والأولياء!! بسبب العراقيل التي كانت في طريقهم! وأن السبب الذي أطال الله - سبحانه وتعالى - من أجله عمر الإمام المهدي عليه السلام هو أنه لم يكن بين البشرية من يستطيع القيام بمثل هذا العمل الكبير حتى الأنبياء والأولياء!!

وأجداد المهدي عليه السلام لم ينجحوا في تحقيق ما جاؤوا من أجله، ولو كان الإمام المهدي قد التحق إلى جوار ربه لما كان هناك أحد بين البشرية لإرساء العدالة وتنفيذها في العالم.

وقال : إن الإمام المهدي المنتظر قد أبقي ذخرًا لمثل هذا الأمر! ولذلك فإن عيد ميلاده - أرواحنا فداه- هو من أكبر أعياد المسلمين وأكبر عيد لأبناء البشرية ، لأنه سيملأ الأرض عدلاً وقسطًا !!

ولذلك يجب أن نقول: إن عيد ميلاد المهدي هو أكبر عيد للبشرية بأجمعها ، وعند ظهوره فإنه سوف يخرج البشرية من الانحطاط ويهدي الجميع إلى الصراط المستقيم، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وأضاف يقول : إن المقصود من هذه العدالة ليست كما نفهمها، بل إن المعنى هو أكبر وأرفع من ذلك !! فالعالم مليء بالظلم، والنفوس فيها انحرافات، والأعمال فيها انحرافات، والعقائد والأفكار فيها انحرافات، ولذلك فإنه مهمة الإمام المهدي عليه السلام هي تقويم جميع هذه الانحرافات وتصحيح المسارات.

ومن أجل ذلك فإن هذا العيد هو عيد جميع أبناء البشرية، لأنه سيهدي جميع أبناء البشرية ، ويقضي على الظلم والفساد!!

وقال : إن هذا العيد الذي هو عيد كبير بالنسبة للمسلمين، يعتبر أكبر من عيد ميلاد النبي ﷺ من جهة واحدة، ولذلك فإن علينا في أيام الله هذه أن نعد أنفسنا من أجل مجيء الإمام المهدي عليه السلام. واستطرد يقول: إني لا أتمكن أن أسميه بالزعيم، لأنه أكبر وأعظم وأرفع من ذلك!! ولا أتمكن من تسميته بالرجل الأول، لأنه لا يوجد أحد بعده وليس له ثان ، ولذلك لا أتمكن من التعبير عنه بأي كلام سوى المهدي المنتظر الموعود ، وهو الذي أبقاه الله - سبحانه وتعالى- ذخراً للبشرية، وعلينا أن نهييء أنفسنا لرؤياه في حالة توفيقنا بهذا الأمر ونكون مرفوعي الرأس. فعلى جميع الأجهزة في بلادنا -

ونأمل أن تتوسع في سائر الدول - أن تعد نفسها من أجل ظهور الإمام المهدي سلام الله عليه . انتهى نص ما نشرته وكالات الأنباء ونسبته إلى قائد الثورة الإيرانية .

ثم علقت المجلة على ما نسب إلى الخميني بقولها: ونحن لا نريد أن نخوض في هذه القضية من الناحية العقائدية ، فإن هذا كلام يطول ويتشعب فيه الحديث، ولكن نريد أن نسجل أسفنا العميق لما صدر عن الخميني بهذا الصدد، ونحب أن يعلم المسلمون في كل مكان أنه لا يجوز أن يفضل أحدًا على رسول الله ﷺ كائنًا من كان أو يساويه به. لقد كنا ننظر بارتياب إلى ما كتبه الخميني في الحكومة الإسلامية من تفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة، ولكن هذا الكلام جاء يعزز مقولته في الكتاب المذكور في ص٥٢ من كتاب الحكومة الإسلامية تحت عنوان : الولاية التكوينية: وإن لأئمتنا مع الله مقامًا لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. فهل يوافق الخميني حقًا على أن يكون آحاد الناس أفضل من رسول الله ﷺ أو مساويًا له وقد بعثه الله رحمة للعالمين؟! فتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ؟ اهـ تعليق المجلة .

هل يستغرب من الخميني ما صرح به هنا؟

وأقول: ليس بدعًا في عقيدة الروافض ما سجل عن الخميني هنا، فهو واحد منهم يدين ويعتقد عقيدتهم، وإن من عقيدتهم أنهم يقولون بأفضلية الأئمـة - وليس كل الأئمة، ولكن أئمتهم الاثـنا عشر- على الرسل والملائكة، وهذا قول جماعـة منهم ، وإليك ما ذكره عنهم أبو الحسن الأشـعري في هذا الموضوع في كـتاب (مقالات الإسـلاميين) ج١/ ١١٥) قال: واختلف الروافض في الأئـمة: هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء أم لا يجوز ذلك؟ وهم ثلاث فرق:

الفـرقة الأولـى منهم يزعمـون أن الأئمـة لا يكونون أفـضل من الأنبيـاء، بل الأنبياء أفـضل منهم ، غيـر أن بعض هؤلاء جووزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

والفرقة الثانية منهم يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة، وأن لا يكون أحد أفضل من الأئمة وهذا قول طوائف منهم... اهـ.

قلت : وهو الذي صرح به الخـمـيـني ، ولا أدري كـيف يصح إسلام من زعـم أن أحدًا من الناس أفضـل من رسول الله ﷺ وإن قائل هذا القول ملزم بأن يحذف الشـطر الثاني من الشهادتين ، أعني شهادة أن محمدًا رسـول الله، فليحذفها من الأذان وليضع مكان اسم رسول الله اسم مـن فضله عليـه. ألا لعنة الله على الكاذبين ﴿ ومن

أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾[١].

﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون﴾ [٢].

﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[٣].

وقال أبو الحسن: الفرقة الثالثة منهم - وهم القائلون بالاعتزال والإمامة- يزعمون أن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة، ولا يجوز أن يكون الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة. اهـ.

قلت: ومن عجيب عقائدهم ومذاهبهم الفاسدة أنهم يرون وجوب معرفة الأئمة، واختلفوا في وجوب العمل بالشريعة: هل يجب مع معرفة الأئمة أم لا؟ فقالت فرقة منهم: يجب معرفة الأئمة ويجب إلى جانب ذلك العمل بالشريعة.

وقالت فرقة ثانية: إن معرفة الإمام إذا أدركها الإنسان لم تلزمه شريعة ولا تجب عليه فريضة، وإنما على الناس أن يعرفوا الأئمة، وإذا عرفوهم فلا شيء عليهم.

قلت: ويرد قول هذا القائل ويظهر بطلانه قول الله تعالى:

---

(١) سورة الصف الآية ٧.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٥.

(٣) سورة النحل الآية ١١٦.

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (١) فهو قال إنما ليعبدون ولم يقل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفوا الأئمة.

ولقد حمى الله كتابه أن يدخل فيه ما ليس منه فقال : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** (٢) .

وقالت فرقة ثالثة : قد يسع الجهل بالأئمة وهم بذلك لامؤمنون ولا كافرون. ومنها أن جمهور الروافض يرون جواز ظهور الإعلام- أي - المعجزات على أيدي الأئمة، ولكن اختلفوا: هل ينزل عليه الوحي أم لا ؟ وإذا جاز نزول الوحي عليهم هل يجوز أن ينسخوا الشرائع أم لا ؟

فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الأئمة تظهر عليهم الأعلام والمعجزات كما تظهر على الرسل، لأنهم حجج الله - سبحانه وتعالى- كما أن الرسل حجج الله تعالى. ولم يجيزوا هبوط الملائكة عليهم بالوحي.

والفرقة الثانية يزعمون أن الأعلام تظهر عليهم وتهبط الملائكة عليهم بالوحي ولا يجوز أن ينسخوا الشرائع.

والفرقة الثالثة تقول بقول الثانية إلا أنها تجيز لهم أن ينسخوا

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الحجر الآية ٩.

الشرائع ويبدلوها ويغيروها.

قلت: وعلى هذا القول فإنه يجوز أن يوحي إلى الإمام أن الصلاة فريضتان بدلا من خمس، وأن يكون الصيام عشرًا بدلاً من شهر.. ولكن لا تسأل عن مصدر هذا الوحي ولا عمن جاء به!!

أما الفرقة الرابعة فهي تقول: إن الأعلام لا تظهر إلا على الرسل، ولا ينزل الله الوحي إلا عليهم، ولا ينسخ الله شريعتنا على ألسنتهم، بل إنما يحفظون شرائع الرسل ويقمون بها. اهـ من المصدر المذكور من ص ١١٥ - ١١٧.

أسطورة المهدي المنتظر عند الروافض

ومنها وهي معضلة زباءُ ذاتُ وبر وزعمهم أن إمامهم الثاني عشر - وهو المهدي المنتظر الذي عبر عنه قائدهم الخميني- دخل سردابًا في بيت أبيه، لأن أباه مات وهو ابن أربع سنين، فدخل السرداب بعد موت أبيه في سنة ٢٦٠هـ، ولم يزل باقيًا في السرداب من ذلك الحين، وسيظهر فيملأ الأرض عدلاً وقسطًا، وإلى ذلك يشير الخميني بقوله: إن مسألة غيبة الإمام المهدي - أرواحنا له الفداء- هي مسألة هامة، وقال: إن السبب الذي من أجله أطال الله سبحانه وتعالى غيبة الإمام المهدي عليه السلام، هو أنه لم يكن بين البشرية من

يستطيع القيام بمثل هذا العمل الكبير، وحتى الأنبياء والأولياء وأجداد الإمام المهدي عليه السلام، ولو كان المهدي قد التحق إلى جوار ربه لما كان هناك أحد من البشر لإرساء العدالة وتنفيذها في العالم .اهـ.

ولم تزل الرافضة منذ أكثر من ألف ومائة وأربعين عامًا ينتظرون خروجه من السرداب، وها هو قائد الثورة في إيران الذي نظر إليه الناس بمنظار مكبر ألف مرة، لأنه ثار على الظلم وحطمه وأخرج الشاه من مملكته وهو جالس على سريره في أحد فنادق باريس ... ها هو ذا يقرر هذه السخافة ويعتقدها ويدين بها ... فتبًا وسحقًا لعقول تصدق مثل هذا الهراء وهذه السخافات الكاذبة.

كشف أسطورة المنتظر

قال الشيخ محب الدين الخطيب[1] في كتابه(الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة) بعد أن ذكر أسطورة المنتظر وذكر

---

(١) هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب ، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني ، من الكتاب الإسلاميين ، ولد في دمشق سنة ١٣٠٣ وتعلم بها وبالآستانة ، أنشأ عدة جرائد إسلامية وله حياة كلها كفاح ، حكم عليه الأتراك بالإعدام غيابيًا ، ولما دخل الفرنسيون الشام فر إلى مصر فاستوطنها وأنشأ مجلتين : الزهراء والفتح . ثم أنشأ المطبعة السلفية، توفي سنة ١٣٨٩ . الأعلام للزركلي جـ٥ ص٢٨٢.

عن أهل العلم أن الحسن العسكري الحادي عشر من الأئمة مات عقيمًا، فصفى أخوه جعفر تركته، وكان له - أي الحسن العسكري- وكيل يقبض له الزكوات من أتباعه فرأى وكيله أن المال الذي كان يجبيه سيمنع عنه، فاخترع أكذوبة مخرق بها على عقولهم من أجل أن تستمر له جباية المال باسم ذلك الغائب، فقال : إن للحسن ولدًا يدعى محمد بن الحسن، مات عنه أبوه وهو صغير وإنه دخل سردابًا في بيت أبيه.. وقال - بعد أن ذكر ما تقدم-: ولكن تبين أن ظهوره سيدعو إلى التكذيب من نقابة العلويين وجميع العلويين وبني عمومتهم من خلفاء بني العباس وأمرائهم، فزعموا أنه بقي في السرداب، وأن له غيبة صغري وغيبة كبرى... إلى آخر هذه الأسطورة التي لم يسمع بمثلها ولا في أساطير اليونان! ويريدون من جميع المسلمين الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل أن يصدقوا بمثل هذه الأكذوبة ليتسنى التقريب بينهم وبين الشيعة وهيهات هيهات!! إلا أن يتحول العالم الإسلامي إلى مارستان لمعالة الأمراض العقلية، والحمد لله على نعمة العقل فإنها مناط التكليف، وهي بعد صحة الإيمان أجل النعم وأكرمها[1] اهـ.

ومنها أنهم زعموا أن القرآن محرف، وأنه قد زيد فيه ونقص! فكفروا.

---

(١) انظر ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦من كتاب الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة.

بقوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [١] قال محد الدين في المصدر المذكور: وقد ألف في ذلك كتابًا أحد علماء النجف، وهو الحاج مرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي سماه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)[٢] جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم من مختلف العصور أن القرآن قد زيد فيه ونقص منه، فخالفوا بذلك كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، بل خالفوا علي بن أبي طالب نفسه حينما سئل: أخصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا . قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «**لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثًا**»[٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ عبدًا مأمورًا بلغ والله ما أمر به وما اختصنا دون الناس بشيء ليس ثلاثًا: أمرنا أن

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) راجع الخطوط العريضة للخطيب ص٩ .

(٣) كتاب الأضاحي من صحيح مسلم رقم الحديث ٤٥ والنسائي طهارة ١٠٥ ، وأحمد جـ ص ١١٨ ، ١١٩، ١٥١ ، ١٥٢ وأخرجه البخاري في باب حرمة المدينة وفي باب الجزية رقم ٣١٧٢ بلفظ : خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة . . . الحديث . وراجع أيضًا صحيح البخاري رقم ٣٠٤٧ جهاد ورقم ٦٩١٥ ديات ، وليس فيه تختصون ولا خصكم ، بل في صحيح مسلم.

نسبغ الوضوء، وأن لا نأكل الصدقة، وأن لا ننزي حماراً على فرس[٢]، وبالتالي فقد تبين أن الشيعة قد خالفوا الكتاب والسنة والإجماع في معظم اعتقاداتهم، ولو تصدى أحد لجمع المسائل التي خالفوا فيها الإجماع لبلغ ذلك عدداً كبيراً، مما يدل دلالة واضحة أن عقيدتهم قامت من أساسها على الكذب والتخريف والدس والتزييف.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

---

(٢) أخرجه الإمام أحمد جـ ١ ص ٢٢٥ ، و٢٤٩ وأبو داود صلاة ١٣١ والترمذي جهاد ٢٣.

فصل

قال الرافضي: فخالفه (أي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-) أعلام عصره ورجالات قومه، فقابلوه بالطعن والرد الشديد، وأفرد هذا بالوقيعة عليه تأليفًا حافلاً، وجاء ذلك يزيف آراءه ومعتقداته في تآليفه القيمة، وهناك ثالث يترجمه بعجره وبجره ، ويعرفه للملأ ببدعه وضلالاته.. إلى آخر ما قال. وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي ويبالغ في زجره حسب ما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد.

جـ - قد كان بعض ذلك من العلماء الذين غلب عليهم حب المال والجاه، ولم يكن في ذلك إزراء بشيخ الإسلام - رحمه الله -، بل كان ذلك إزراء بهم وقدحًا في عدالتهم. ولقد كانت تعقد مجالس للمناظرة بينهم وبينه فيفحمهم ويتغلب عليهم، فإذا غلبهم بالحجج رجعوا إلى استغلال سلطتهم ضده وحملوا السلطان على سجنه، وذلك هو جواب العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة في كل زمان ومكان ... كما ذكر الله تعالى عن فرعون أنه قال لموسى حين عجز عن رد حجته بمثلها : ﴿لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين﴾[1] .

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٩.

أما المؤلفات فقد ألف في الرد عليه ابن السبكي، وحشى مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والحكايات الباطلة، فلم يزد على أن برهن على قلة بضاعته في العلم ، ولقد تصدى له إمام عظيم عرف بمواقفه الشجاعة في نصرة الحق ، وهو محمد بن أحمد بن عبد الهادي، فألف في الرد عليه كتابًا سماه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) فأجاد وأفاد - رحمه الله تعالى - .

ولقد كان من علماء زمانهم من هم أطول باعًا من هؤلاء الذين تصدوا للرد عليه ومعارضته، كالذهبي [١] وأبي الحجاج المزي[٢] وابن عبد الهادي [٣] وابن دقيق العيد وابن كثير وابن سيد الناس وابن الحريري وغيرهم. . بل كانوا في صفة ومن أنصاره.

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان ابن قايماز التركماني الذهبي . ولد سنة ٦٧٣ سمع من ابن عساكر والدمياطي وابن بدران وغيرهم ، له مؤلفات كثيرة ومفيدة تقارب المائة ، مات سنة ٧٤٨ رحمه الله ترجمه في ذيل التذكرة ص ٣٤ وترجمه في البداية ج١٤ ص ٢٢٥.

(٢) أبو الحجاج المزي هو الإمام العالم والحبر الحافظ الأوحد أبو الحجاج يوسف بن خليل بن الزكي عبد الرحمن القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي . ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٦ بدع في علوم شتى ، أما علم الحديث فهو حامل لوائه ، ألف تهذيب الكمال في ٢٥٠ جزءًا والأطراف في بضعه وثمانين جزءًا توفي في ١٢ صفر سنة ٧٤٢.

(٣) ستأتي ترجمته .

فصل

في كذبهم على الذهبي أنه كتب له ينهاه عن غيه على حد زعمهم الكاذب

قال الرافضي: وكان من معاصريه من ينهاه عن غيه كالذهبي، فإنه كتب إليه ينصحه ، وإليك نص خطابه إياه:

الحمد لله على ذلتي ! رب ارحمني وأقل عثرتي واحفظ علي إيماني، واحزناه على قلة حزني، واأسفاه على السنة وأهلها!! إلى أن قال: يا رجل كف عنا!! فإنك رجل مجاج! عليم اللسان! لا تقر ولا تنام؟ !!

إياك والأغلوطات في الدين ، كره نبيك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال، وقال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان**»[1] وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كانت في الحلال والحرام، فكيف إذا كانت في أقوال اليونسية والفلاسفة وتلك

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٩/ ٢٣٢ بترتيب الساعاتي عن أبي عثمان النهدي قال : إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب إذ قال في خطبته : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**» حكى الساعاتي عن الهيثمي قال : رجاله موثوقون.

الكذبات التي تعمى القلوب؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لترد عليها بعقولنا؟ يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات، وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن -والله- في البدن. واشوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بل عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيبتهما!!

بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ودبوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد !! ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار!

ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون وتعد النصارى مثلنا والله في القلوب شكوك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد... إلى أن قال : يا مسلم أقدمّ حمار شهوتك لمدح نفسك! إلى كم تصادقها وتعادي الأخبار؟ إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار؟ إلى كم تعظمها وتصغر العباد؟ إلى كم تخللها وتمقت الزهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح والله بها أحاديث الصحيحين؟ ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار.. إلى آخر ما ذكره في هذا الكتاب من كلام متهافت ساقط متضارب.

قلت: إن الذي أقطع به وأعتقده جازمًا أن هذا الكلام مكذوب على الذهبي، لم يقله ولم يكتبه بيده ولم تسمعه أذنه أبداً، ولو أقسمت بالله تعالى على ذلك لما حنثت ، وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن عامة كلام هذا الكتاب كلام ملفق تظهر عليه الصنعة والكذب والاختلاق، ويدل على أن كاتبه جاهل من الناحية اللغوية ومن الناحية الدينية. وهذه كتب الذهبي موجودة وكلامه موجود، وليس يشبه هذا الكلام شيئاً من كلامه، ومن عارض في هذا فليطلع على كلام الذهبي في كتبه وليقارن بينه وبين هذا الكلام ليرى أنه لا يشبهه البتة لا في أسلوبه ولا في معناه.

الوجه الثاني: أن هذا الكتاب لم يذكر شيخ الإسلام لا بتعريض ولا تصريح، فأثبت أنه كان موجهًا إليه.

الوجه الثالث: ذكر في الكتاب المذكور أن الذهبي قال : خلونا من بدعة الخميس وأكل الحبوب ودبوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد، من لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون وتعد النصارى مثلنا.

أخي القاريء: تفكر في هذا الكلام المتناقض هل يصح أن يصدر هذا من عالم سني كالذهبي ؟ وهل يمكن أن يقول الذهبي : إن البدع

التي كانت من أساس الضلال تحولت فصارت محض السنة وأساس التوحيد؟ وإنما مثل ذلك كمثل من قال: تحول السم فصار عسلاً!!

إن هذا كلام متناقض عقلاً وشرعًا. أما من الناحية العقلية فإن الخبيث يبقى خبيثاً ولا يتحول إلى طيب، فالسم يبقى سمًا ولا يتحول إلى عسل، والقطران يبقى قطرانًا ولا يتحول إلى لبن، فكل شيء يبقى على وصفه الذي خلقه الله عليه. وأما من الناحية الشرعية فما يعتبره الشرع ضلالاً فهو ضلا ل إلى يوم القيامة، وما يعتبره الشرع حقًا وتوحيدًا فهو كذلك إلى يوم القيامة، فشرع الله باق لم ينسخ ، وكتابه وسنته لم تتبدل، وبالتالي هل يمكن أن يصدر هذا الكلام المتناقض المتهافت عن الذهبي؟ لا والله !

ويبقى معنا تناقض آخر وهو قوله : ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار.

ونقول: متى كان الجهل بالضلالات كفرًا؟ إنه لا يكتب هذا إلا من لا عقل له ولا دين، أما الذهبي فإنه يتنزه أن يقول مثل هذا المخارق الساذجة.

وتناقض آخر أيضًا وهو قوله : ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون!!

سبحانك ربي ! أي منطق هذا؟ أيكون هكذا منطق العلماء أو

يكون هكذا منطق العامة؟ لا بل يكون هكذا منطق العيارين والزنادقة الذين لا يقيمون للكلام وزناً ولا يرجعون إلى أي رادع من دين أو عقل؛ ففي أي شريعة وأي دين وفي أي منطق سليم وعقل حكيم أن من لم يكفر فهو أكفر من فرعون؟!

إذ أن نفي الكفر يستلزم وجود الإيمان ونفي الإيمان يستلزم وجود الكفر! أما قوله: وتعد النصارى مثلنا! فهو إن قصد به مثل المسلمين، عموماً فهو كذب لأنه لا مماثلة بين مؤمن وكافر ومهتد وضالٍ، وإن قصد به مثلهم هم ـ أعني الرافضة ـ فهو صحيح؛ لأن بين دين الرافضة ودين النصارى تشابه قوي... وذلك من حيث تقديس الأشخاص الذين يعبدونهم ويرفعونهم فوق منزلتهم، فكل من دين الرافضة ودين النصارى مبني على التقديس والتخريف.. وبالتالي فقد اتضح كذب المؤلف في نسبة هذا الكتاب إلى الذهبي، وتحقق ما قرره عنهم العلماء أنهم أكذب الناس في النقليات، وأجهل الناس في العقليات.

أما من نقله عنهم ممن يعتنقون المذهب الصوفي ويقرون الشرك والخرافات مع أنهم ينتمون إلى المذهب السني على حد زعمهم ـ كالكوثري وأضرابه ـ فهؤلاء لم يحملهم على نقله في كتبهم إلا العداء لشيخ الإسلام وأمثاله ممن ينتمون إلى علم الحديث ويدينون بالعقيدة الصحيحة.

الوجه الرابع: إن الذهبي اختصر كتاب شيخ الإسلام المسمى

(منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) وسمى مختصره (المنتقى من منهاج الاعتدال) وسأنقل لك ما استهل به مختصره هذا، قال: الحمد لله المنقذ من الضلال، المرشد إلى الحق، الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أما بعد: فهذه فوائد نفائس اخترتها من كتاب (منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) تأليف شيخنا الإمام العالم أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى.

فهذا مستهل كتابه (المنتقى) كما سبق أن نقلت منه ما هو أطول من هذا، كما صرح هنا بأنه شيخه.

فقابل بين هذا الذي وصف فيه الإمامية بأنهم أجهل الناس وبأنهم أكذب الناس في النقليات وأجهلهم بالعقليات، وبأنه قد دخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، وبين الكتاب المذكوب.. تجد الحقيقة الناصعة على مجازفة من نسب هذا الكتاب إلى الذهبي وكذبه وجهله، فالذهبي لو لم يكن راضياً عن منهج شيخه لم يعتكف على دراسة كتابه واختصاره وتقريبه لضعاف الهمم، فهذا أعظم دليل على أن هذا الكتاب مكذوب.

الوجه الخامس: أن الذهبي ترجم لشيخ الإسلام في كتابه (تذكرة الحفاظ) ج٤ ص٤٩٦) تحت رقم ١١٧٥ فقال : ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام ، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقد مع أهله سنة سبع ، فسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر والكمال بن عبد وابن الصيرفي وابن أبي الخير وخلق كثير؛ وعني ابالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ، وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك ، وكان من بحور العلم ، ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد، وأثنى عليه الموافق والمخالف ، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاثمائة مجلد.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية: وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخوبي [1] .

---

(١) الخوبي هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أحمد ابن خليل الشافعي الخوبي ، اشتغل وحصل علومًا كثيرة وصنف كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فنًا ، وله نظم علوم الحديث . وكفاية المتحفظ ، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء نزيهًا عفيفًا بارعًا محبًا للحديث وعلمه وعلمائه توفي سنة ٦٩٣ عن سبع وستين سنة اهـ. ش جـ ٥ ص ٤٢٣ والبداية ص ٣٣٧ ج١٣ .

وابن دقيق العيد[١] وابن النحاس [٢] والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري[٣] وابن الزملكاني[٤] وإنه قال: اجتمعت في شروط الاجتهاد على وجهها، وإن له حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

---

(١) هو الإمام الفقيه المحدث المجتهد محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي. ولد سنة ٦٢٥ وتوفي سنة ٧٠٢ رحمه الله وثناؤه على شيخ الإسلام نقلته في ترجمته . شذرات جـ٦ والبداية ج١٤ /٢٧.

(٢) هو الصاحب محيي الدين أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله ابن طارق الأسدي الحلبي الحنفي المعروف بابن النحاس . ولد سنة ٦١٤ واشتغل وبرع وسمع الحديث ، وأقام بدمشق ودرس بمدارسها ، ثم ولي قضاء ، حلب ثم كان وزيرًا بدمشق . توفي سنة ٦٩٦. ترجمه في البداية ج١٤ ص٥ وترجمه في الشذرات جـ٥ ص٤٤٢.

(٣) ابن الحريري أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن عبد الوهاب الأنصاري . ولد سنة ٦٥٣ وطلب الحديث واشتغل ، وكان فقيهًا جيدًا ، ولي قضاء دمشق ثم خطب لقضاء مصر واستمر فيه مدة طويلة موفورًا لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه في الحكم لومة لائم، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن ؟ وقال لبعض أصحابه : أتحب الشيخ تقي الدين ؟ قال : نعم . قال: والله لقد أحببت شيئًا مليحًا ؟ توفي سنة ٨٢٨ قبل شيخ الإسلام بأشهر ، رحمه الله البداية لابن كثير ١٤/ ١٤٢.

(٤) ابن الزملكاني شيخ الشافعية بالشام وغيرها . انتهت إليه رياسة المذهب تدريسًا وإفتاء ، ولد في سنة ٦٦٦ وتوفي سنة ٧٢٦ ترجمه في البداية ج١٤ ص ١٣١ وص ١٣٢ وذكر أنه انحرف مؤخرًا عن شيخ الإسلام وحمله الحسد على عداوته ، وترجمه ش٦/ ١١ وسماه محمد بن علي بن عبد الواحد ٦/ ٧٨.

ماذا يقول الواصفـــون له وصفـاته جلت عن الحصر

هو حجـــة لله قاهـــرة هو بيننـــا أعجـوبة الدهـر

هو آية في الخلـــق ظاهرة آياتها أربـت على الفجــر

قال : وهذا الثناء عليه وعمره لم يتجاوز الثلاثين سنة .اهـ. نقلاً عن البـداية لابن كثيـر ١٤/ ١٣٧ وبالجملـة فقد ذكـر في الرد الوافي لابن ناصـر من أثنى على شيخ الإسـلام وسمـاه بشيخ الإسـلام ممن عاصروه ومن بعدهم بقليل من الجهابذه الأعلام ونجوم المعرفة والأفهام ممن لهم اليـد الطولى في استيعـاب علوم الإسلام فـبلغـوا خمـسة وثمانين عالمًا بالوفا والتمام فكـيف ممن جاء بعدهم في سائر العصور ممن يصعب حـصرهم في كتـاب مسطور ويتـعذر جمـعهم في ديوان منشـور ولا يحـيط بهم إلا عـلام الغيـوب وقـابض الأنفس ومـقلب القلوب وهذا يدل على إجماع أهل العلم على إمامته في الدين إلا من خذله الله .

الوجه السادس: أما قـوله : يا مسلم أقـدم حمار شـهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعـادي الأخبار؟ إلى كم تصادقها وتزردي الأبرار؟ إلى كم تعظمـها وتصـغر الـعبـاد؟ إلى كم تخاللهـا وتمقت الزهاد؟

أقول: إن هذا الكلام كذب وفرية على ذلك العالم المؤمن المجاهد

التقي ، الذي وقف نفسه على دراسة الكتاب والسنة لمعرفة الحق والرد على من خالفه أيا كان؛ ولو كان قدم حمار شهوته لمدح نفسه كما زعم هذا. لتزلف إلى الأمراء والملوك ليمنحوه المناصب العالية حتى يكون مرموقًا بين الناس معظمًا لديهم، فإن المعظمين لأهل الدنيا وأرباب الولايات أكثر من المعظمين لأهل الدين والعلم والعبادات ولما رضي بالبقاء في السجن عاد إلى الصدع بالحق غير مبال بما يحصل له في ذلك من عراقيل وعقبات، مما يؤدي إلى إدخاله السجن مرة ثانية، فهذا يدل دلالة واضحة أنه لا يريد من وراء ذلك إلا رضى الله سبحانه وتعالى وإن أسخط جميع الناس.

وأما قوله: إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار.. إلى آخر ماقال، فهذا كذب واضح وفرية كبيرة، فإنه لم يعاد أحدًا من الأخيار والأبرار إلا أن تكونوا أنتم الأخيار والأبرار لأنكم تسبون أصحاب النبي ﷺ وتعتقدون فسقهم أو كفرهم، فلعله قد فعل ذلك من أجل ذلك!! ويكفي ما ذكر في تحليل كلام هذا الكتاب وبيان تهافته وتساقطه وأنه مختلق مكذوب مفتري على الذهبي ... وبالله التوفيق .

فصل

الرافضي يزعم أن تعظيم القبور تعظيم لشعائر الله

قال الرافضي : ثم قيض الله المولى سبحانه في كل قرن وفي كل قطر رجالاً نصروا الحقيقة وأحقوا كلمة الحق وأماتوا بذرة الضلال، وقابلوا تلكم الأضاليل المحدثة بحجج قوية وبراهين ساطعة، وجاءت الأمة الإسلامية تتبع الطريق المهيع وتسلك جدد السبل تباعًا وراء الكتاب والسنة تعظم شعائر الله [1] .

ج - يرى المؤلف أن الذين ردوا على شيخ الإسلام بمؤلفات، أو ردوا عليه ضمن مؤلفات وتكلموا فيه وطعنوا في حقه من أمثال ابن السبكي[2] وابن حجر الهيتمي[3] والقسطلاني[4] .

---

(١) الآية رقم ٣٢ من سورة الحج . ويزعم أنه يقتبس الآية لتعظيم القبور لأنه عنده من تعظيم شعائر الله حسب زعمه الفاسد.

(٢) ابن السبكي علي بن عبد الكافي الشافعي المذهب ، ولد سنة ٦٨٣، وتوفي سنة ٧٥٦ . ولي القضاء في حياته وأوصى أن يولي ابنه مكانه عند وفاته . ش٦/ ١٨٠ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر . ولد سنة ٩٠٩ ونشأ يتيماً فدرس وحصل، استوطن مكة فقيل له المكي، توفي سنة ٩٧٣ ش جـ ٨ ص ٣٧٠.

(٤) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني . ولد في ١٢/ ١١/ ٨٥١ بمصر وتوفي سنة ٩٢٣ ش/٨/ ١٢١ .

والكوثري ودحلان[١] هم الذين نصروا الحق والحقيقة، وما ذاك إلا أنهم قد وافقوا هواه في هذا، وإن كانوا يخالفونه في الاعتقاد، ولو كانوا هم على باطل وشيخ الإسلام ومن معه على الحق، ونسى هذا المخذول أنه يقابل هؤلاء من العلماء من هم أكثر منهم عدداً وأوسع علماً وأعلى منزلة في العلم ودعوة الخير قد ردوا على هؤلاء وأيدوا الحق الذي نصره شيخ الإسلام، وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي[٢].

وليس يضر شيخ الإسلام وهو على الحق أن يخالفه أقوام أو يرد عليه أقوام ما دام معه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) أحمد زيني دحلان فقيه مكة، مؤرخ ، ولد بمكة سنة ١٢٣٢ تولى فيها الإفتاء والتدريس ، أنشأت في أيامه أول مطبعة بمكة . توفي بالمدينة سنة ١٣٠٤ الأعلام للزركلي ١/ ١٢٩.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم ٤٥٩٦ و ٤٥٩٧ وليس فيه : قالوا من هم . وأخرجه ابن ماجه في الفتن رقم ٣٩٩١ و ٣٩٩٣ وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٨رقم الحديث ٢٧٧٨ تحفة. وأحمد جـ٢ ص٣٣٢ وجـ٣ ص١٢٠ و ١٤٥ .

أما قوله: تعظيم شعائر الله ! فهل من تعظيم شعائر الله تعظيم القبور والأضرحة والعكوف عليها والتبرك بها؟ هذا ما يعتقده المؤلف وتدين به الصوفية الزائغة والشيعة المنحرفة التي قاد أصحابها بعض أمة محمد ﷺ إلى الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، وعادوا بها إلى الخرافة التي كان قد تحرر منها آباؤهم حين اعتنقوا الشريعة السمحة واستضاؤوا بالقرآن على يدي رسول الله ﷺ ثم على أيدي أصحابه ، فلم تلبث الأمة طويلاً بعد ظهور هاتين الفئتين: الشيعة والصوفية حتى ضربت الوثنية في جسم الأمة أطنابها وأرست فيها جذورها، بدعوى تعظيم الأولياء والتماس البركة منهم ، ثم بالتالي قداهم الشيطان كما قاد الأمم قبلهم إلى دعوة المقبورين والتماس النفع ودفع الضر منهم ، فساقوا من أجل ذلك النذور والقرابين للموتى وذحبوا لهم النسائك، وطافوا بالقبور كما يطاف بالكعبة، بل اعتقدوا أن تراب تلك القبور ترياق نافع وشفاء ناجع! فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وتحقق بذلك ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تقوم الساعة حتى تضرب اليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان رقم ٧١١٦ ومسلم في الفتن أيضًا جـ١٨ ص٣٢ نووي.

فصل

الرافضي يزعم أن التوحيد ضلال وغي وصد عن سبيل الله ويعرض بالشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية ممثلة في الأمير محمد بن سعود - رحمه الله - .

قال: إلى أن ألقى الشر جرانه وجاد الدهر بولائد الجهل وربتهم أيدي الهوى وأرضعتهم أمهات الضلال وشاخلتهم رجالات الفساد، وتمثلوا في الملأ بشرًا سويًا سجيتهم الضلال، فجاسوا خلال الديار وضلوا وأضلوا واتبعوا سبيل الغي وصدوا عن سبيل الله !

ومن هؤلاء الجماهير (القصيمي) صاحب (الصراع) حذا حذو ابن تيمية واتخذ وتيرته واتبع هواه فجاء في القرن العشرين كشيخه يموه ويدجل ويتحرش ويتسذج!!

ج - أراد المؤلف بهذا الكلام دعوة الشيخ محمد بن عبد الواهاب والدولة السعودية على ما يظهر من فحوى كلامه، أي: في شمال الجزيرة العربية عامة وفي نجد خاصة، حيث ظهرت دولة التوحيد التي قضت على الشرك والخرافات والخزعبلات، وأحلت محلها التوحيد وإخلاص العبادة لله رب السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما وفي الكون كله، حيث زعم هذا الجاهل أن التوحيد شر. أما قوله :

وجاء الدهر بولائد الجهل . . فهذا من شركهم في القضاء والقدر، حيث يزعمون أن الله تعالى يخلق الخير ولا يخلق الشر، وأنه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا أن يضل من يشاء، وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم ، والعجب هنا أنه قد زعم أن التوحيد والسنة واتباع مما جاء به النبي ﷺ وإفراد الله تعالى بالعبادة شر!! ثم نزه الله تعالى عن تقدير ذلك فقال : وجاد الدهر بولائد الجهل! فنسب إيجاد محمد بن عبد الوهاب[1] وهدايته إلى الخير وتوفيقه لطلب العلم

---

(١) الشيخ محمد عبد الوهاب هو شيخ الإسلام ومجدد العقيدة السلفية ، الداعية الكبير والعلم الشهير . ولد في العيينة حين كان أبوه قاضيًا فيها ، فنشأ في كنف أبيه فعلمه الفقه ، وكان كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث ، فنور الله بصيرته وفتح قلبه لمعرفة الحق، وكان في ذلك الزمن قد فشا الشرك فشواً منكراً فدعا أهل بلده فأنكروا عليه ، فسار للحج ثم ذهب إلى المدينة وقرأ على بعض علمائها ، ثم رجع إلى نجد فتجهز وسافر إلى البصرة ، فجلس فيها يقرأ على بعض علمائها وجعل ينكر ما هم فيه من الشرك، فاجتمعوا عليه وآذوه وأخرجوه في شدة الحر ماشيًا ، وفي طريقه إلى الزبير كاد أن يموت من العطش، فأنقذه الله برجل مكاري، فسقاه وحمله إلى الزبير، وكان يريد أن يتجه إلى الشام فضاعت نفقته فرجع إلى نجد ، وعاد إلى إنكار الشركيات عليهم، وكان أبوه حينئذ قد انتقل إلى حريملاء ومكث مدة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأراد فساقها الغدر به وقتله ولم يتم لهم ذلك لمانع من الله ثم انتقل إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن معمر ، وبقي بها مدة من الزمن يقطع الأشجار التي تعبد ويهدم القباب بمساعدة الأمير عثمان بن معمر ، ولما كثر أتباع الشيخ وشاع ذكره وذاع في نجد وما حولها ، كتب أمير الأحساء إلى عثمان ابن معمر يهدده بقطع المساعدة السنوية التي يعطيه إن لم يقتل الشيخ ، فدعا الشيخ=

الصحيح وتنويربصـيرته لرؤية الحقائق الإسلاميـة الناصعة. . كل ذلك منسوب عنده إلى الدهر لا إلى الله عز وجل، فـأتى بجهلين واكتسب

=وأخبـره بذلك فقـال : إنك إذا نصرت لا إله إلا الله نـصرك الله ، فلا يهـولنك وعيده.

ولكن غلب عليه حب الدنـيا فأخرجـه من العيينة مع فـارس أمره أن يسير مـعه إل يحيث يريد ، ويقال إنه أمره بقـتله فخرج يمشي على قدميه والفـارس يسير وراءه ، ولما هم بقتله أحس بخوف شديد ومنعه الله من ذلك ، ولما وصل الدرعية عند محمد ابن سويلم أحس صـاحب البيت الخطر فهـدأه ، فجاء أصحـاب الشيخ إليه خفـية وأرادوا أن يكلموا الأمير مـحمد بن سعود في استقبـاله ونصرته فهابوه ، ثم رأوا أن يوعزوا إلى امرأته بذلك ، فأشارت عليه أن يأتيـه وأن ينصره ففعل، وتم العهد بين الشيخ والأمير على نصرة دين الله ، وكان ذلك في سنة ١١٥٨فتسلل إليه شيعته من أهل العيينة وقوي أمره وانتصر ببركة دعوته محمد بن سعود واتسع سلطانه حتى عم نجدًا كلها ، بل وتجاوزها إلى بلاد عسـير ، وقد حفظ الله الملك في هذه الأسرة إلى اليوم ببركة الدعوة الإسلامية ، وسيحمـيهم الله ما حموها. أما الشيخ فقد بقي يدعو ويعلم ويدير أمـور الدعوة ويؤلـف الكتب المفيـدة ويعلم الناس وينفق كل مـا وصل إليه، ويستدين ويضيف الوافدين من طلبه العلم والمسـتجيبين للدعوة حتى وفاه الأجل في سنة ١٢٠٦ بعد أن أسس الدعوة الإسلاميـة ووطدها وخلف بعده علماء وجهابذة من أبنائه وطلابه، ومن مؤلفاته المفيدة : كتـاب التوحيد والثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات وغيرها ، وسيرته تحتاج إلى مجلد ضخم ، رحمه الله ورفع درجته في الجنة راجع عنوان المجد في تاريخ نجـد ص٦ وما بعدها ، إلى نهـاية ص٩٤ ، راجع أيضًا كتاب المملكة العربية السعودية لعبد الكريم الغزال ص٣٨ وما بعدها والأعلام للزركلي جـ٦/ ٢٥٧ ومشاهير علماء نجد ص١٦ وما بعدها.

جرمين وحمل وزرين.

وأما قوله: شاخلتهم رجالات الفساد، فهو يشير بذلك إلى محمد بن سعود الكبير[١] الذي حمل على كاهله نصرة الدعوة الإسلامية، فجعل الله النصر حليفه حتى كون دولة إسلامية محترمة، وإلى ذلك يشير الرافضي بقوله: وتمثلوا في الملاء بشرًا سويًا سجيتهم الضلال، فجاسوا خلال الدياروضلوا وأضلوا... أي: نمت دولتهم حتى كبرت وعظمت وأصبحت دولة محترمة، ونقول له: وعلى رغم أنفك يا عدو الله أبي الله إلا أن يظهر الحق ويعلى كلمته وإن رغمت أنوف الظالمين، فقد حفظ الله الملك في أحفاد هذا الرجل الذي سخي بنفسه لله عز وجل وأيد دعوة الحق من حين أن قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فآواه إليه ونصره حتى زماننا هذا، خلا فترة أو فترات ضعف استعادوا فيها قوتهم بتوفيق من الله على يد الملك الراحل عبد العزيز[٢] بن عبد الرحمن، حيث توسعت في عهده

(١) هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن مانع المنسوب إلى بني ذهل بن شيبان، وكان أميرًا على الدرعية فقط، فوفد إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١١٥٨ فعاهده على نصرة الإسلام فجعل الله النصر حليفه، وقد توفي سنة ١١٧٩، وقد توسعت رقعة دولته ثم نمت في عهد ولده عبد العزيز وحفيده سعود، حتى وصلت إلى اليمن وعسير وتخوم. الشام والعراق.

راجع عنوان المجد لابن بشر ص١٣١ وما بعدها، والأعلام للزركلي ٦/ ١٣٨.

(٢) الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن=

مملكتــهم ، وفتح الله لهم من خــزائن الأرض مــا جعل مملكتــهم من أغنى الدول وأرغــدها عــيشًــا وأفــضلها أمنًا وإيمانًــا، وهذا ما يدعــو القــائمين على هذه الدولة- بل ويجــوب عليهم- الــتمــسلك بأحكام

= فيصل بــن تركي رحمه الله الملقب بقصــر الجزيرة، الذي استعــاد ملك آبائه للمرة الثالثة في ٥شوال سنة ١٣١٩ اهـ ووحد الجزيرة العربية بعد كفاح طويل وجهاد مرير دام زهاء أربعة وثلاثين عامًا ، توطدت بعدها الأمور واستــتب الأمن وشاع فيها الخير والراحة والنعــمة ، وفشــا التوحيــد واختفى الــشرك وأصحــابه والضلال وأذنابه ، وماذلك إلا بسبب تحكيم الشريعة وإظهار التــوحيد وإعلاء كلمة الله وقد وافاه الأجل في ٢/ربيع الأول عام ١٣٧٢هـ .

وإنا لننصح القائمين على هــذه ا لدولة من أبنائه وأحفاده أن يحكموا شــريعة الله في أنفسهم ومن تحت أيديهم لكي تبقى لهذه المملكة هيبــتها وعزها وسلطانها ، ولنتذكر دائمًا قول الصحابي الجليل أبي الدرداء ﷺ: ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه. وقبل ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعــدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين** ﴾ القصص ٥٨ ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قــومًا آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركــضوا وارجعوا إلى ما أترفــتم فيه ومساكنكم لعلــكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناها حــصيداً خامدين ﴾ الأنبياء من آية ١١- ١٥.

إن نعمة الأمن والاستــقرار ورغد العيش جاءت بسبب تحكيم كــتاب الله وسنة رسوله ﷺ في العقيــدة وفي الــدمــاء وفي الأمــوال والأعــراض والتحــاكــم إليهمــا في كــل خــلاف، وتطبيق شريعة الله تــطبيقًا كليًا في عهد الملك الراحل عــبد العزيز وإن هذه النعم لا تستبقى إلا بذلك وفق الله ولاة أمورنا لكل خير وجنبنا وإياهم كل شر.

الشريعة الإسلامية الصافية والثبات عليها ، كما يوجب عليهم تلافي الأخطاء التي تنأى بأصحابها عن معين الشرع الصافي، والتي نجمت عن الاحتكاك بغير المسلمين وتقليدهم، أو عن الترف وفشو المال، أو عن تقليد الشباب المبتعث لما يجري في الدول الكفارة التي ابتعثوا إليها للدراسة، أو عن وسائل الإعلام التي بلغت في عصرنا الحاضر مبلغًا لم يعهد مثله، وأخيرًا انظر أيها القاريء الكريم إلى عبارة هذا الرافضي الخبيث! الذي يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ولائد الجهل والضلال، وأن الإمام محمد بن سعود من رجالات الفساد! ومن لازم ذلك أن التوحيد الذي دعا إليه ونشره هذان الإمامان، ذلك بدعوته وتعليمه واجتهاده، وذلك بسلطانه وعتاده وجهاده، أنه جهل وضلال وفساد! وتلك ردة عن الإسلام إن كان قد دخل فيه! فأين هذا الكلام من قول ذلك المنافق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ : لم أر مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء[1] ؟ فأنزل الله تعالى في حقه: ﴿ **ولئن سألتهم ليقون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة**﴾ [2] الآية.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٦٨ تفسير الآيتين ٦٥ ، ٦٦من سورة براءة وتفسير ابن جرير الطبري جـ١٠ ص١٧٢ ، ١٧٣ ، وتفسير القرطبي ١٩٧/٨ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

قاتل الله الهوى مـاذا فعل بأهله؟ وما مثل هذا الـرافضي إلا مثل فرعـون حيث قـال عن موسى عليـه السلام: ﴿**إني أخاف أن يـبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾ (١).

ومن هذا يتبين أن أسلوب البـاطل وأهله متحد في جـميع الأزمنة ﴿**أتواصوا به بل هم قوم طاغون**﴾ (٢).

وقد قـرر العلماء أن المسرة بـانخفاض دين الله والاسـتياء بفـشوه واستعلائه من موجبات الردة التي تخرج الإنسان من الملة السمحة وإن لم يتكلم؛ فكيف بمن زعم أن الدين ضلال وفساد؟ فإنه يكفر من باب أولى.

---

(١) سورة غافر الآية ٢٦.

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٣.

فصل

في محاولته تنقص شيخ الإسلام ابن تيمية إذ ساوى بينه وبين القصيمي المرتد(١)

قال: ومن أولئك الجماهير (القـصيمي) صاحب (الصراع) حذا

(٤) ترجمة القـصيمي عن كتاب (دراسـة عن القصيمي) للدكتـور صلاح الدين المنجد قال: أسرة القصيمي وأصله : ما سأذكـره في هذا الفصل بعضه روي عن الشيخ عبد الرحمن آل عثمـان القرعاوي الأمير السابق لخب الحلوة في منطقـة القصيم بنجد في السعـودية ، وبعضـه الآخر مما يتـحدث به القـصيمـي عن نفسه ، ثم قـال : ليس للقصيمي نسب عربي معروف وليس لأسـرته اسم تعرف به . والقصيمي اسم جديد اتخذه عـبد الله فـعرف به ، ذلك لأن أسـرته ليست من نجـد ولا من أي مكان في الجزيرة العربية . بل هي مصرية أخرجها صعيد مصر .

قلت : لو كان على الحق ما كان يضره من أين جاء.

قال : واسم أبيه علي ، جاء إلى القصيم أيام ابن ضـبعان أو محمود الزيد ، وكان من بقايا حـملة إبراهيم باشا على نجـد ، وعرف بالقصـيم باسم علي الصعـيدي ، وطاب المقام لعلي في قصيم نجـد أكثر من صعيد مصـر ، فسكن خب الحلوة التابعة لمدينة بريدة، وتزوج بموضي بنت عبـد العزيز الملقب عبده بكسـر العين ، فولدت له ابنه عبد الله الذي نتحدث عنه.

نشأته وتركه القـصيم : قضى عبد الله طفـولته في القصيم في حـجر والدته موضي بخب الحلوة ، ثم نراه صـبيًـا يشتغـل أجيرًا في فـلاحة عـبد الرحـمن آل عثـمان القرعـاوي ، ولما انتقل أبوه إلى عمـان للاشتغـال باللؤلؤ انتقل معـه، وقرأ هناك=

حذو ابن تيـمية واتخذ وتيـرته وأتبع هواه، فجاء في القرن العـشرين

=القرآن، ثم رحل إلى الشيخ الشنقـيطي في جنوب العراق فلازمه أيامًـا ، ثم سافر إلى الهند وانتقل بالمدرسة الرحمانيـة ، ثم عاد من الهند بعد سنة ونصف إلى الزبير في جنوب العـراق إلى الشنقيطي المـذكور ، ثم ترك الزبيـر وجاء إلى بغـداد ليلقي الأوسي فوجده قد مات، ثم قصد الكاظيمـة فلازمها شهوراً ، ثم تركها إلى الشام ، ثم إلى مـصر والتحـق بالأزهر ، وبعد مـدة تخاصم يومًـا هو وأحد شـيوخ الأزهر المسمـي بـالـدجـوي، فـألـف عنـه كتـابـاً أسمـاه (البروق النجـديـة في اكتسـاح الظلمـات الدجوية) وما ترك طعنًا إلا لصقه به ، ولذلك فقد فصل بسببه من الأزهر ، ولذلك كان ناقمًا على الأزهر وعلمائه ، وقـال في ص٢٤ : وقدآلم القصيمي أن يطرد من الأزهر ألمًا عمـيقًا ، ولعل هذا الطرد كان من الـعوامل الأولى التي دفعت القصـيمي لازدراء الأزهر ورجاله ، ثم دفـعته فـيما بعـد للتحول عن نهج الدين كـما وقع لطه حسين . . . إلى أن قال : وأتبع القصيمي مؤلفه الأول بمؤلف ثان أراد أن يتحدى به الأزهر وعلماءه جميعًا سمـاه (الصراع بين الإسلام والوثنية) صدر في ثلاثة أجزاء ، بلغت ألفين وخمـسمائة صفـحة، دافع به عن الإسلام والتوحـيد أمجد دفـاع، وكان دافعه مملوءًا بالقـوة والحرارة والحجة ، وسـارع الكثيرون من العلماء لتـقريظ الكتاب والثناء عليه شـعرًا ونثرًا فـمما قـاله إمام الحرمي المكي يومـذاك-قلت هو أبو السمح رحمه الله - من قصيدة طويلة:

صراع بني إسلام وكفر ... يقوم به القصيمي الشجـاع

ألا لله ما خط اليـــراع ... لنصر الدين واحتدم النـزاع

قال : وشعر الـقصيمي بعـد كتابه هذا بكثيـر من الزهو والفخر ٢٥٠٠ صفـحة في الدفـاع عن الدين والإيمان ، وتحطيم الوثنيـة والكفر ، تكـفي لأن تجعل منه الشـيخ الذي ينظر إليـه بعين الرضى في كل مكـان ، والذي يحق له أن يتـصدر المجـالس والحلقات.

كشيخه يموه ويدجل ويستذج ويتحرش بالسباب المقذع ويقذف مخالفيه

نقطة التحـول : وكانت الحـرب العالمية الثـانية قد قـامت ، وقد نشطت في مـصر العناصر الشيوعـية تبث أفكارها تحت شعار الهـجوم على النازية الفاشستية، وكانت مـؤلفـات فـلاسفـة الغـرب وأدبـائـه تنقـل كـل يـوم في الصحـف أو المجـلات أو الكتـب الخاصة، ويذكر القصـيمي أنه كان مغرمًا بأمرين : بالقراءة ، فـدفعه فشله المتواصل وتعبه الطويل إلى اللجوء إلى القراءة، ومن الطبـعي أن يقرأ الإنسان ما يلذ لنفسه أو ما يوافق الحالة النفسية التي هو فيها ، فكانت قراءته كلها ثورة أو ما يدعو إلى ثورة، وهبت عاصـفة الشك في نفسه ، لأن الأقـدار لم تعطه ماه أعطت غيـره، وجاء عام ١٩٤٦ م فكان نقطة التـحول في حـياة القـصيـمي ، فقد أصـدر كتـابه « هذي هي الأغلال» ثار فـبه على كل شيء مما سـماه عادات وتقـاليد وعقـائد وخرافـات، فأثار الكتاب ضجـة عنيفة في صفوف الجـمعيات الدينية ورجـال الأزهر ، ورأوا في مؤلفه مستهتـرًا ملحدًا ، وقد قابل العلماء انقلاب القصيـمي رأسًا على عقب فألف الشيخ إبراهيم السويح كتابًا رد فيه على القصيمي سماه : (بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغـلال) ظهر في عام ١٣٦٨ وألف الشيخ مـحمد عبـد الرزاق حمزة كتـابًا سماه : (الشواهد والنصـوص من كتاب الأغـلال على ما فيه من زيغ وكـفر وضلال) .

وهذه قصيدة داليه أنشأها الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله لرد أبي السـمح على المدعو / عبد الله بن علي القصيمي :

الحـمـــد لله لا بالخط مـــعـــدوداً	حـصـراً ولا بمدى الأزمـان مـحـدودا
لمالك الحمد مـــوليـــه وملهـــمـــه	مـا زال ربي على التـحمـيـد محمـودا
ســبـحـــانـه من إله لا ســـمـي له	الكل عــبـد وكـان الله مــعـبـودا
لقــد حـمى الذكـر حـفظًا منذ أنزله	وهكـذا لم يزل بالحــفظ مـــوعـــودا

حماه بالشهب ترمي كل مسترق ... ما رامه قط إلا عاد مطرودا
كذاك في الأرض يرميهم بأنجمها ... هم الرجوم بهم ما زال مرصودا
أئمة العلم والتقوى أولئك هم ... بيت القصيد قصدت أعلمه مقصودا
فهم مصابيح دين الله قيضهم ... يجلوا بهم ظلمات الحيرة السودا
من كل مستبصر لله منتصر ... بالله مقتدر في الله محمودا
هم الجبال ثبوتاً والبحار علوما ... ما والشموس ضياء والسما جودا
فلا يزال كتاب الله معتصمًا ... حبلاً متينا لباغي الحق ممدودا
ولم تزل سنة الهادي لطالبها ... وعذب منهلها ما زال موردًا
ولا تزال رجال العلم تحرسه ... ولا يزال لواء الحق معقودا
فلم يرم ملحد كيدًا لملتنا السمحاء ... إلا وألفى الثغر مسدودا
وللقصيمي رجس قد سمعت به ... ذكرًا ولم أره لا زال مفقودا
لكن تواتر وصف المشرفين ... عليه من ثقات بأن قد ساء مقصودا
وقد حكوا عنه أقوالاً شناعتها ... تكفيك في كون ما ألقاه مردودا
فظيعة ضمنت كفرًا وزندقة ... بل رد أن يفرد الرحمن معبودا
فقلت إن صح ما قالوه فيه فمن ... إيمانه انحل ما قد كان معقودا
وصار من ربقة الإسلام منسلخًا ... وكان بالنصر للتوحيد معهودا
أبعد أن كان في أعداد ناصره ... يعود من أخبث الأعداء معدودا
أشقوة من كتاب سابق نفذت ... هذا وربك أمر ليس مردودا
وظلت أتلو لآيات العقود وما ... قد جاء في خلف المرتد موعودا
من أنه سوف يأتي الله جل بأنصار ... يكون بهم ذا الدين محفوظا
مستيقنًا أن سيقضي الله موعده ... أن لا يزال نصير الدين موجودا
وبينما الفكر في ذا الأمر منتظر ... اتيان شرح يجلي الغيث مشهودا

إذ اطلعت على رد عليه وفي عندي بتحقيق ما قد كان منشودا
من لوذع جهبذ للدين منتصر يا حبذا نصر دين الله مقصودا
أبان فيه بأن الخب زاغ عن الحق المبين وعنه ظل مصدودا
وفارق الدين والوحيين والسلف الماضين بل كل شرع كان موجودا
وأنه فوق ما قد قيل فيه وما قالواه من بعض ذاك الشر معدودا
وأنه رام أمراً لا يحاوله محاول قط إلا عاد محصود
وأنه نابذ الإسلام مؤتفكًا عن كل حكم أتى في الشرع محدودا
يقول هذه هي الأغلال مانعة لأهلها من رقي كان محمودا
ولا رقي غيرهم من مرتق بسوى نبذ الشريعة أن ينقاد مصفودا
وقام يدعو لنبذ الدين مجتهداً بكل جهد له قد خاب مجهودا
وعنده الرب والمخلوق متحد بل قد يفوه بليس الرب موجودا
بل الطبيعة ما زالت مدبرة لكل أمر يرى أو كان مفقودا
وأنه انتقص الرسل الكرام وأهل العلم منقرضًا منهم وموجودا
بل لا نبي ولا وحي ولا ملك بل كيف دين ولا يرجون معبودا
وقام يثني على الإلحاد ممتدحا أئمة الكفر فرعونا ونمرودا
معظمًا للملاحيد الفلاسفة الطبائعيين ساء الرفد مرفوداً
وأنكر الوعد والإيعاد بل جحد الأخرى وكون مقام الحشر مشهودا
محرفًا لنصوص الوحي منحرفًا عنها وكان لديه الوحي مجحودا
بأخبث الرأي كي يرتاد مقعده من الجحيم إذا ما تاب مرصودا
وقد أضاف إلى تحريفها وإلى التكذيب كذبا وهزلا ليس محدودا
وقد تراه بنصر الدين مستترا حباله تحتها قد خد أخدودا
من أين هذا وما أملاه ينبؤنا بأنه شر أهل الأرض مولودا

ظن الخبيث بأن العارفين بأمر ... الله لم يفهموا للرجس مقصودا
واضرب له مثل الغوي فأتبعه الشيطان ... وأقرأه في الأعراف مسرودا
نفسي الفداء لقرم قام محتسبًا ... يهد أرصاده لا زال مهدودا
ونزه الدين عن أرجاس ما كتب ... الغاوي المضل إلى أن صار مهدودا
ورد أغلاله السوأى بلبته ... قسرًا فباء بها المخذول مشدودا
ردًا جليلاً جليًا ما تكلف بل ... من بحر علم خضم ليس مثمودا
على اختصار بأنصاف ومعرفة ... مطهرًا ليس بالأفحاش محشودا
بل البيان وإرشاد السبيل على ... علم وكان بري العلم يمدودا
فالله يجزيه عنا كل صالحة ... دنيا وأخرى ثوابًا ليس محدودا
وإن يثبتنا فضلاً بقدرته ... بثبات القول في الدارين ممدودا
والأبعد القاصي نرجو الله توبته ... أن لا يموت على الألحاد ملحودا
ثم الصلاة مع التسليم دائمة ... على النبي المصطفى حيًا ومفقودًا
والآل والصحب والأتباع قاطبة ... والحمد لله حمدًا ليس محدودا

وكتب إبراهيم آل عبد المحسن في حوادث سنة ١٣٦٦ من تاريخه تذكرة أبي النهر والعرفان بعنوان ذكر ردة عبد الله بن علي القصيمي الصعيدي إلى أن قال : ثم كانت فترة استجمام عند القصيمي من سنة ١٩٤٦ حتى ١٩٦٧ عندما أصدر كتابه (العالم ليس عقلاً) ثم أتبعه بعد سنتين بكتابين آخرين هماه : (كبرياء التاريخ في مأزق) و (هذا الكون ماضميره) قال : وفي هذه الكتب الثلاثة انطلق القصيمي في اتجاهه الجديد إلى أبعد الحدود (ص٣١) ، هويته في اتجاهه الأخير .

وقال في (ص٣٣) : لا يجد الباحث الذي يقرأ كتب القصيمي عناد كبيرًا في التعرف على هوية أرائه التي بثها في كتبه، فلقد أعدت قراءة كتاب (هذا الكون ما ضميره) مرتين وأصبح عندي كاليقين أن ما ملأ به صفحات الكتاب ما هو إلا ترداد لآراء

بالكفر ويرميهم بكل معرة ومسبة ، ويرى المجتمع أن هاتيك الأعمال

ماركس والشيوعيين وإن كان قد هاجم الشيوعين من قبل اهـ ثم أورد نصوصاً من كتابه (هذا الكون ما ضميره) تؤيد أنه أخذها عن ماركس فارجع إليه من ص ٣٣ إلى ٥٣ .

والذي أعقب به على ترجمة هذا المارق أنه يجب على أهل العلم أن يأخذوا منها عبرة وعظة ، وتتلخص مواطن العبرة منها في أمور :

أولها : الإخلاص لله في كل عمل، وذلك أن عواقب النفاق والمقاصد السيئة قبيحة ووخيمة ، إذ لو كان القصيمي مخلصًا عند تأليف كتابه لحماه الله عن الردة .

ثانياً: أن الواجب على العبد ألا يعجب بنفسه أو يفخر بعمله، فالفضل لله على العبد فيما أنجزه من أعمال ، وكل نعمة على العبد تستوجب شكرًا ، وشكرها نعمة تستوجب شكرًا آخر .

ثالثًا : أن هذه القصة تعطينا درسًا أن من أعرض عن القرآن بعد أن علمه واتجه إلى دعاة الضلال ليأخذ ثقافته ووعيه منهم ، عاقبه الله بالخذلان واستولى عليه الشيطان . ولنأخذ مثلاً على ذلك الذين تركوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وزعموا أنها لا تكفي في العقيدة دون المنطق المأخوذ عن اليونان كيف ضلوا في العقيدة ، فعطلوا صفات الله ، وآل بهم ذلك العلم إلى الحيرة ، حتى صار بعض فحولهم عند موته يتمنى أن يموت على دين العجائز . والآن من ترك كتاب الله وسنة رسوله وذهب يقرأ كتب الملحدين الضالين حتى ولو كان بقصد النقد ، يخاف عليه إذا أكثر من ذلك أن لا يخرج منها سليمًا . . . وهذا حال هذا الرجل فيما نعتقد ، كما قرر ذلك صلاح الدين المنجد .

رابعًا : أن العبد بحاجة إلى أن يكثر الابتهال إلى الله في أن يثبته على الصراط المستقيم، ولذلك شرع الله قراءة الفاتحة في كل ركعة ، لأن فيها الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم . وقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه كثيرًا ما يقول : « يا

من الزيارة والدعاء عند القبور المشرفة والصلاة لديها والتبرك والتسول والاستشفاع بها كلها من آفات الشيعة، وهم بذلك ملعونون خارجون عن ربقة الإسلام ، وبسط القول في هذه كلها بألسنة حداد مقذعة مستهترًا خارجًا عن أدب المناظرة والجدل.

ج - : والكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول: لحاجة في نفسه اختار هذا المؤلف القصيمي من بين أهل السنة الذين ردوا على الشيعة في مؤلفات أو ضمن مؤلفات،

مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

خامسًا : أخذ الحذر من كل ما يؤدي بالإنسان إلى الهلكة وإحباط العمل من الرياء والعجب ، ومخالطة الأشرار ، وقراءة كتب الضلال والانحراف ، ومطالعة القصص الخليعة، والنظر إلى الصور الفاتنة بواسطة وسائل الإعلام المرئية، من سينما وفديو وتلفاز وغير ذلك ، ومثل ذلك سماع التمثيليات والقصص الماجنة وأكل الحرام والوقوع في الكبائر ، من سكر وزنا وغير ذلك . . . كل هذه الأشياء يخشى على من وقع فيها أن يتغير قلبه ويضعف إيمانه أو يضمحل حتى يذهب بالكلية ، فيشك بعد اليقين ويكفر بعد الإيمان والشأن كل الشأن في اللجوء إلى الله أن يحفظ عليك دينك ويصرف عنك كل ما ينقصه ، فإن بدرت منك بادرة بحكم بشريتك فالجأ إلى الله أن يغفر ذنبك لعلك أن تقطع سفر الدنيا سالمًا فإن حصل لك ذلك فتلك هي الغنيمة ، وإنما الأعمال بالخواتيم ، ذلك أن لنا عدواً متربصًا نغفل ولا يغفل ونسهو ولا يسهو ، ونتعب ، ولا يتعب، فإن استعنا عليه بالله غلبناه، وإن غفلنا عن ذكر الله غلبنا . اللهم أعنا على أنفسنا وعلى الشيطان ، واغفر لنا ما بدر منا إنك أنت الغفور الرحيم .

وهو يعلم وكل الناس تعلم أن القصيمي بعد أن ألف (الأغلال) الكتاب الذي أعلن فيه ردته عن الإسلام وحربه على أهله وإلقاء الشبه حوله، رد العلماء عليه وكفروه وبرؤوا منه.

ولكن لحاجة في نفسه يريد أن يوازن بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلكم البطل المؤمن المجاهد الفذ، ليسوي بينهما في الكفر زاعمًا أن ذلك سيشين شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خبث المؤلف ودجله وتضليله، أو بالأحرى على سذاجة عقله وبلادة حسه وضحالة تفكيره، فهو يظن أن الناس من الغباء بالدرجة التي يدجل فيها عليهم ويلعب على عقولهم.

الوجه الثاني: أن القصيمي كان قد ألف (الصراع) وكان كتابه هذا قد سجل فيه حقًا زاعمًا للناس بأنه ينتصر للحق، ولهذا فإن العلماء قد أعجبوا بكتابه هذا وأقبلوا على مطالعته، ولكن حينما ألف (الأغلال) كفروه وبرئوا منه وأصبح لا يقام له وزن في المجتمعات الإسلامية، ولا ينظر إليه إلا بعين الاحتقار والازدراء، منبوذًا كالنعل المقطع الذي لا فائدة فيه... ولقد اختفى بعد ذلك إلى غير رجعة.

وأما (الصراع) فالحق الذي فيه يبقى كما هو حقًا، ولا يضره إن ارتد مؤلفه، فالحق حق من أين جاء وبأي صورة جاء، والناس يحاسبون بين يدي علام الغيوب على نياتهم، ولا يكفي من تلبس بالحق ونيته مدخولة تلبسه به.

أقول هذا وأنا لم أر (الصراع) ولم أقرأه ، ولكني سمعت بعض العلماء يثنون عليه، وقد قال النبي ﷺ لما سئل عن الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل للمغنم أي ذلك في سبيل الله فقال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** »[1] وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام : « هذا من أهل النار» . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه، فقال : « **قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر**»[2] ، وفي معناه حديث سهل بن سعد عنده أيضًا وفيه : فقال رسول الله ﷺ عند ذلك :

---

(١) أخرجه مسلم بشرح النووي (٣/ ٤٩ باب فضل الجهاد، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . وأخرجه البخاري في العلم ١٢٣ وفي الجهاد رقم ٢٨١٠ وفي الخمس ٣١٢٦ وفي التوحيد ٧٤٥٨ وأبو داود في الجهاد رقم ٢٥١٧ و ٢٥١٨ والنسائي جهاد باب ٢١ وابن ماجه في الجهاد باب النية في القتال ٢٧٨٣ وأحمد في مواضع والترمذي في الجهاد رقم ١٦٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي رقم ٤٢٠٣ وأخرجه أيضاً رقم ٦٦٠٦ وفيه إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيمها يبدو للناس وهو من أهل الجنة» [1] .

وفي الحديث: «الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها أخذها»[2]

ونقول : إن كفر القصيمي لا يضر طائفة الحق لكونه كان ينسب إليها، فكفر أبي لهب لم يضر ابن أخيه محمدًا رسول الله ﷺ بل ولم يضره كفر من كفر من قريش، ولم يضر من آمن معه كفر من كفر من قراباتهم ، وهذا بين لا يخفى والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الوجه الثالث: قوله: فجاء في القرن العشرين كشيخه يموه ويدجل ويتسدج ويتحرش. ونقول : إن شيخ الإسلام لم يموه ولم يدجل ولم يتسدج، ولكنه قال الحق وأبان العدل ونصح لله فنزه الدين عما لوثه به شيوخكم من المزاعم الباطلة والمخارق التافهة والخزعبلات

(١) أخرجه البخاري أيضًا رقم ٤٢٠٢ فتح . وأخرجه أيضًا رقم (٦٦٠٧وليس فيه « **فيما يبدو للناس**» وبدل « **وهو** » «**وإنه من أهل الجنة** » وفي آخره « **وإنما الأعمال بالخواتيم** » وأخرجه مسلم جـ١٦ وص ١٩٩ في القدر من شرح النووي.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم من سننه رقم الحديث ٢٨٢٧ بلفظ الكلمة «**الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها** » وقال : هذا حديث غريب ، وإبراهيم بن الفضل المخزومي ضعيف في الحديث . وأخرجه ابن ماجه من طريقه في الزهد رقم الحديث ٤١٦٩ .

الساذجة، من أمثال المامقاني[١] والكراجكي[٢] والنصير الطوسي[٣] وابن المطهر[٤] والقمي[٥] وأمثالهم، حتى أظهر الحق واضحًا كالشمس، وصافيًا كالمحض، ونقيًا كالفضة الخالصة، نصحًا لله ونصيحة للمسلمين بما آتاه الله من علم واسع وبصيرة نافذة وخبرة تامة، فند بها ضلال المضللين وبدع المبتدعين، وشبهات الزائغين، مما جعله شجي في حلوق المبتدعين وقذي في عيونهم، فلا غرابة أن رموه بالعداء ووصموه كذبًا ومينًا بالكفر ومحاربة الحق والهدى، وصدق عليهم بذلك المثل العربي القائل: (رمتني بدائها وانسلت) وستحتكمون وإياه عند الملك العدل، وسيأخذ حقه وحق غيره من أئمة الهدى الذين

(١) المامقاني عدة أشخاص . ا نظر معجم المؤلفين ١٥/ ٢٠٠.

(٢) الكراجكي شيعي نحوي لغوي منجم طبيب متكلم . توفي سنة ٤٤٩ . من مؤلفاته: « الاستطراف في كذر ما ورد في زمن الغيبة من الأنصار» معجم المؤلفين ٨/ ٤٩.

(٣) الطوسي هو محمد بن محمد بن الحسن النصير الطوسي ، ولد سنة ٥٩٧ . رياضي فلكي منجم . كانت له وجاهة عند هولاكو التتري ، وكان معه في وقعة بغداد . شيعي خبيث . مات سنة ٦٧٢ معجم المؤلفين ١١/ ٢٠٧. البداية ١٣/ ٢٦٧.

(٤) ابن المطهر يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، من أعيان الشيعة في القرن السابع الهجري ، معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٩.

(٥) القمي هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، شيعي كبير مؤلف توفي سنة ٣٨١. معجم المؤلفين ١١/ ٣.

تسبونهم وتكفرونهم بدءًا بأبي بكر - رضي الله عنه وانتهاء بكل مؤمن ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ (٤) .

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧وهي آخر آية فيها.

فصل

والرافضي يزعم أن عقيدة التوحيد كفر وسفسطة

قال الرافضي: لعل القاريء يزعم من شدة الرجل وحدته في التكبر والجلبة قال واللغط في القول، التي هي شنشنة يعرف بها ابن تيمية شيخ البدع والضلالات، والمرجع الوحيد في هذه الخزايا والخزعبلات ، أن لمقاله مقيلاً من الحقيقة ورمزًا من الصدق، ذاهلاً عن أن أعلام المذاهب الإسلامية في القرون الخالية منذ القرن الثامن من يوم ابن تيمية وبعده يوم محمد بن عبد الوهاب الذي أعاد لتلكم الدوارس جدتها وحتى العصر الحاضر، أنكروا على هذه السفسطات والسفاسف وحكموا بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلة والمعتقدات الشاذة عن سيرة المسلمين، وشنوا عليها الغارة وبالغوا في الرد عليها.

ج - مازال هذا الرافضي الخبيث الدجال المضلل الكذاب المستهتر يسب دعاة الخير ورجال الفكر الإسلامي وعلماء السنة المجددين، والذين أحيا الله بهم معالم الحق وجدد بهم ما اندثر من السنن، فهو سمى شيخ الإسلام شيخ الضلال والمرجع الوحيد في الخزايا والخزعبلات! ولست أدري ما هي الخزايا التي حملها شيخ الإسلام؟ وما هي الخزعبلات التي روج لها ودعا إليها ؟ أما الرافضة فمن

خزاياهم - وكم لهم من خزايا وعقائد منحرفة وخرافات لاتصدقها العقول إلا إذا كانت في عالم البله والمجانين والمهسترين والمعربدين- من خزاياهم ما ذكرناه سابقًا، ومنها إيمانهم بالرجعة في الدنيا، فتارة يقولون أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سيعود إلى الدنيا، ويزعمون أنه الآن في السحاب، وأن الرعد صوته أو تسبيحه والبرق سوطه. وفرقه يقولون: إن الذي سيرجع هو محمد بن الحنفية، وإنه الآن برضوى عنده عسل وماء! وتارة يقولون: إن الذي سيرجع هو الإمام الثاني عشر الذي لم يولد! والذي يزعمون بأنه دخل سرداب أبيه وهو في الثانية أو الثالثة أو الرابعة من عمره ، ولم يزل فيه منذ ألف ومائة وأربعين عامًا!

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثَلَّثْتُمو العنقاء والغيلانا

ومنها زعمهم أن قائم أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قام أحيا الله له كل من أخذوا الملك بغير حق خمسمائة، خمسمائة فيحاكمهم ويحكم عليهم بالقتل ، وفي مقدمة هؤلاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، يفعل ذلك ست مرات.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التي رد بها على الرافضة: مطلب في الرجعة : ومنها أنه ما (كذا ولعله مما) قاله

أضلهم (أي أكثرهم ضلالة) محمد بن بابويه القمي في عقائده في مبحث الإيمان بالرجعة، فإنهم قالوا عليهم الصلاة، من لم يؤمن برجعتنا فليس منا وإليه ذهب جميع علمائهم قالوا: إن النبي ﷺ وعليًا ﷺ والأئمة الاثنا عشر يحيون في آخر الزمان ، ويحشرون بعد خروج المهدي وبعد قتله الدجال، ويحيى كل من الخلفاء الثلاثة وقتلة الأئمة، فيقتل النبي ﷺ الخلفاء حدًا ، والقتلة قصاصاً، ويصلبون الظالمين ، ويبدأون بصلب أبي بكر وعمر على شجرة، فمن قائل إن تلك الشجرة تكون رطبة فتجف بعد أن يصلبا عليها . . إلى أن قال:

وقيل : ذكروا في كتبهم أن تلك الشجرة نخلة ، وأنها تطول حتي يراها أهل المشرق والمغرب، وأن الدنيا تبقى بعد ذلك خمسين ألف سنة، وقيل: مائة وعشرين ألف سنة ، لكل إمام من الاثني عشر اثنا عشر ألف سنة ، وقال بعضهم : إلا المهدي ، فإن له ثمانين ألف سنة ثم يرجع من آدم، ثم شيث ، ثم إدريس ، ثم نوح ، ثم بقية الأنبياء. . . إلى أن تنتهى إلى المهدي، وأن الدينا غير فانية ، والآخرة غير آتية كذا نقل عنه والله أعلم.

فانظر أيها المؤمن إلى سخافة رأي هؤلاء الأغبياء، يختلقون ما يريده، بديهة العقل وصراحة النقل، وقولهم هذا مستلزم تكذيب ما ثبت قطعاً في الآيات والأحاديث من عدم رجوع الموتى إلى الدنيا،

فالمجادلة مع هؤلاء الحمر تضييع للوقت، لو كان لهم عقل لما تكلموا أي شيء « كذا ولعله في شيء » يجعلهم سخرة للصبيان ، ويمج كلامهم أهل الإيقان، لكن الله تعالى سلب عقولهم وخذلهم في الوقيعة في خلص أوليائه لشقاوة سبقت لهم[١] اهـ.

ومنها تسميتهم لأبي بكر وعمر بصنمي قريش، وتفسيرهم للجبت والطاغوت بأنه أبو بكر وعمر، وغير ذلك من المخازي والفظاعات التي يستحي من ذكرها أو نسبتها حتى إلى أبسط البسطاء، فضلاً عن أصحاب رسول الله ﷺ .

ومن أراد أن يطلع على معظم خزاياهم، فليرجع إلى كتاب « الأسس العريضة التي قام عليها دين الشيعة) لمحب الدين الخطيب - رحمه الله تعالى - بالإضافة إلى كتب الملل والنحل وأفظعها ما نقله في ص٦ [٢] ، ومرة أخرى نقول: ما هي المخازي والخزعبلات التي

(١) راجع رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رده على الرافضة ص ٣٢.

(٢) أتدري ماذا قالوا في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وافقه القرآن في ستة مواضع ؟ والذي قال فيه النبي ﷺ ما سلك عمر فجًا إلا سلك الشيطان فجاً آخر؟ وقال فيه : « **إن ممن كان قبلكم محدثون ، فإن كان في أمتي أحد فمنهم عمر** »؟ أتدري ماذا قالوا عن هذا المؤمن البطل؟ قالوا: كان به داء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال!! أفترون هؤلاء يصح أن ينسبوا إلى الإسلام أو يحسبوا من أهله ؟ لا والله .

ألا لعنة الله على من قال ذلك ، ولقد ترددت في أثبات هذا الكلام لفضاعته وقبحه وعظم بشاعته ثم عزمت مؤخراً على إثباته لكي يعلم المسلمون ما ينطوي عليه هؤلاء من خبث الطوية للمسلمين عامة ولأصحاب رسول الله ﷺ خاصة .

روجها ابن تيمية وجددها محمد بن عبد الوهاب؟ فسروها لنا!!

نقول هذا ونحن لا نأمن أن تكذبوا وتفتروا عليهما كما افتريتم على من هو أجل منهما من كبار الصحابة، غير أن كتب هذين الإمامين موجودة بين أيدي المسلمين ، فإن رمتم كذبًا عليهما فإن في كتبهما ما يقرع وجوهكم ويبين كذبكم للعالم أجمع؛ فإن قلتم... إنه منع الزيارة للقبر النبوي وجعلها معصية فإنا نقول: إن هذا ليس بصحيح، فإنه لم يمنع الزيارة المشروعة لا لقبر النبي ﷺ ولا لقبر غيره،ولكن منع الزيارة البدعية، وهي أن ينشيء العبد سفرًا إلى زيارة القبور، فأما إن كانت القبور قريبة بحيث لا تحتاج إلى إنشاء سفر وكانت زيارتها سنية ، فإنه لم يمنعها، ومن أنشأ السفر لزيارة مسجد النبي ﷺ ثم زار القبر بعد أن يصل إلى المسجد فذلك شيء لم يخالف فيه أحد، بل حكى الإجماع عليه كل من القاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذه فتاواه تبين كذب من ادعى عليه خلاف ذلك ، أما إنكاره لشد الرحال إلى زيارة قبور الأنبياء والأولياء فهذا شيء تبع فيه الحديث ، وقال بما أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، فإن كان اتباع السنة وما جاء عن سلف الأمة مخازي وضلالات وخزعبلات، فأعلنوا الحرب على الإسلام وتبرأوا منه كما تبرأتم من حملته ودعاته، ودعوا النافق الذي يقوم دينكم عليه وتسمونه التقية، ولا تتستروا على عقائدكم الفاسدة، بل أظهروها

حتى يقتنع المسلمون - كل مسلم - أنكم لستم من الإسلام في شيء، فيرمونكم عن قوس واحدة.

ثم نقول للمؤلف المذكور: من هم أعلام المذاهب الإسلامية الذين قرروا جواز الزيارة البدعية والشركية من بعد القرن الثامن؟ وماذا كان عليه أعلام المذاهب قبل أولئك ؟ وما هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون وأتباعهم قبل أعلام المذاهب بل وأئمة المذاهب؟ فأتوا ببراهين ونقول عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين في القرون الثلاثة المفضلة، ائتوا عنهم بنقول صادقة ونحن نتحداكم أن تأتوا بحرف واحد أو كلمة واحدة أو نقل واحد بسند صحيح عن أحد من الصحابة أو أحد من التابعين أنه أجاز الزيارة البدعية أو الشركية، أو قال بشد الرحال إلى القبور، سواء كانت قبور أنبياء أو أولياء، أو أجاز البناء عليها، أو الصلاة عندها، أو الدعاء لديها، أو التبرك والتوسل بأهلها.

أما إن أتيتم بنقول عمن هم منحرفون مثلكم، فهذا شيء لا نقبله ولا ندين الله تعالى به أبدًا.

فصل

في زعمه أن لهجة أهل السنة ليست لهجة من أسلم وجهه لله ، ومفهومه أن لهجتهم كذلك..

قال المؤلف : والقاريء جد عليم بأن هذه اللهجة ليست من شأن من أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالنبي الطاهر، واعتنق بما جاء به من كتاب وسنة « هكذا قال بما جاء به» ولا تسوغها مكارم الأخلاق ومباديء الإنسانية، ولا يحبذها أدب الإسلام المقدس . اهـ.

ج - يقول الولف هذا الكلام وقد قالوا في أصحاب النبي ﷺ من البهت البشع ، الذي يستحي الإنسان من التفوه به ونسبته حتى إلى السوقة، أفكان هو وأهل عقديته ممن أسلم وجهه لله وهو محسن؟ كلا والله أفكان هذا من مكارم الأخلاق؟ كلا والله ومن هنا تعرف أن هذا الرافضي يريد أن يعيد الخصم إلى مبدأ هو أول من خالفه وترك الالتزام به ، مع العلم أن علماء السنة إن قسوا عليهم في اللهجة فإنما يحملهم على ذلك لغيرة على دين الله وعلى حملة دين الله وأصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان من حملةالعلم ودعاته المجددين، الذين بذلوا أنفسهم لله جهاداً في سبيله وابتغاء لمرضاته، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من**

القــول إلا من ظلم﴾ [١] ويقول: ﴿ **وجزاء سيئة سـيئة مثلها﴾**[٢] فإذا ظلم الدين وحملة الدين ومـبلغوه وقادته وأصحاب المكانة فـيه، فمن يدافع عنهم غـير علمـاء الإسـلام؟ فلو لم يتفوهوا بمـا تفوهوا به من الكذب في دين الله والبـهت والسـب لأصـحاب رسـول الله ﷺ ماتكلم فـيهم أحد إلا بخير ، فلـما فعلوا ما فعلـوا كان ذلك ضرورة يمليها الدين ويحـتمها الجهاد في سـبيل الله تعالى، ومن هنا تعلم أن المؤلف قرر أصلاً لم يلتزمه ولم يعبأ به لا هو ولا أهل عقيدته، فكان استدلاله عليه لا له.

قال الشاعر:

لاتنــه عن خلق وتأتي مثله　　　عار عليك إذا فعلت عظيم

وقبل ذلك . . القـرآن يقرر أكبر المقت على من فـعل ذلك، فقد قال الله تعـالى: **﴿يا أيهـا الذين آمنوا لم تقـولون ما لا تفـعلون كبـر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** [٣].

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٨.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٣) سورة الصف الآيتان ٢, ٣.

فصل

قال المؤلف: أيجوز لمسلم أن يسوي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية النبي ﷺ في حال حياته؟ أيسوغ له أن لا يرى لزيارته حياً وميتًا قيمة ولا كرامة ولا يعتبر لها فضلاً ما وينعق بذلك في الملأ الديني؟ أليست من السيرة المطردة بين البشر أن كل ملة من الملل تستعظم زيارة كبرائها وزعمائها، وتراها فضلاً وشرفًا، وتعدها للزائر مفخرة ومحمدة، وتكثر إليها رغبات أفرادها لما يرون فيها من الكرامة؟ وقد جرت على هذه سيرة العقلاء من الملل والنحل، وعليه تصافقت الأجيال في أدوار الدنيا، وكان يقدر الناس سلفًا وخلفًا أعلام الدين بالزيارة والتبرك بها . اهـ.

ج - والرد على المؤلف في هذا المقطع من وجوه:

الأول: قوله أيسوغ لمسلم أن يسوي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية النبي ﷺ ونقول: هذه مغالطة وكذب على أهل السنة، فأهل السنة يعتبرون لرؤية النبي ﷺ في حال حياته من الكرامة والاحترام ما يجعلهم يقطعون بعدالة من رأي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فهم يقولون في تعريف الصحابي: هو من رأي النبي ﷺ مؤمِناً به ومات على ذلك، ولو تخللت ردة في الأصح،

ويقطعون بعدالة من ثبت له ذلك ، فهل بعد ذلك من كرامة؟

الوجه الثاني: أما من رآه كافراً ولم يؤمن به فإنه كان يمكنه أن ينتفع برؤيته ليستدل بذلك على صدقه فينتفع بمتابعته، وعلى هذا فلم يقل أحد إن رؤية النبي ﷺ ورؤية الأحجار سواء. وقد قال الله تعالى: ﴿**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**﴾ (١)، وقال أيضًا: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**﴾ (٢).

ثالثًا: وقد تبين مما ذكر سابقًا من سبكم لأصحاب النبي ﷺ الكرام وبهتكم لهم وافترائكم عليهم وتبرئكم منهم وتكفيركم أو تفسيقكم لهم أنكم أنتم الذين لم تعتبروا لصحبته ونصرته مدة حياته ﷺ قيمة ولا وزنًا ، ولم تقيموا لذلك اعتبارًا، ومن لازم ذلك أنكم أنتم الذين سويتم بين رؤيته وبين رؤية الحجارة ، وهذه عادتكم أن ترموا أهل السنة بدائكم وتتبجحوا بالكذب أنكم على حق وأهل السنة على باطل، والله يعلم أنكم لكاذبون.

رابعًا : وأما زيارته في حياته فلا يشك مسلم في فضلها، ولذلك سجل المؤرخون وفادة كل وافد وعرفوا له حقه فيها، وأما زيارته ميتًا - على حد تعبير المؤلف- فإن ذلك لا يعتبر زيارة له لا في اللغة ولا

---

(١) سورة الأعرف الآية ١٨٤.

(٢) سورة سبأ الآية ٤٦.

في العرف ولا في الشرع، فمن زار قبر أحد لا يقال في اللغة إنه زاره، ومن زار ابنه أو صاحبه أو زوجته فلا يقال : إنه زاره، وما عرف ذلك في اللغة ـ انظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان[١].

أما في الشرع، فإن النبي ﷺ يقول : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة**» فهو قال : «**عن زيارة القبور**» ولم يقل عن زيارة أصحاب القبور، فأضاف الزيارة إلى القبور ولم يضفها إلى أصحاب القبور ، ومن حلف أن يزور فلانًا فزار قبره لم يبر في قسمه ولزمه الحنث.

أما في العرف فكذلك أيضًا، فلا تعتبر زيارة قبره ميتًا كزيارته حيًا، لأن الزيارة مقصودها المشاهدة والمفاهمة والمكالمة، وهي غير حاصلة من الميت، فتبين كذب المؤلف ومغلطته وجهله.

خامسًا : وأما زيارة قبر ﷺ فلا ينكر مسلم مشروعيتها لمن قدم من سفر أو وصل إلى المسجد أو إلى المدينة في سفر لحاجة أخرى أو خارجًا لسفر من أهل المدينة، كما تقدم ذلك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وكما سيأتي، ولكن كره السلف لأهل المدينة التردد على القبر ونهوا عنه، كما تقدم عن مالك وعن علي بن الحسين والحسن بن

---

(١) تقدم.

الحسن، لئلا يكون ذلك سببًا في تعظيـمه تعظيمًا يبلغ إلى حد العبادة واتخاذه عيـدًا ووثنًا، وهذا هو ما حذره النبي ﷺ وحـذر منه أمته ودعـا الله تعال بقـوله : **«اللهم لا تجعل قبـري وثنًا يعبـد»** (١) وكره السلف إنشـاء السـفر لزيارة القـبـر دون المسـجد امـتثـالاً للحـديث الصـحـيح: « لا تشـد الرحـال إلا إلى ثلاثة مـسـاجـد» . وتعظيم النبي ﷺ هو في اتبـاع أوامره وليس في زيارة قبـره. والله سبـحانه وتعالى يقول: **﴿ قل إن كنتم تحبـون الله فاتبعوني يحـببكم الله ﴾** (٢) ، ولكن يخاطـب بهذا من يفهم ، أمـا الذين لا يفهـمون فقـد قال الله تعالى : **﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾** (٣).

سادسًا : قـوله: أليست من السيرة المطردة بين البـشر أن كل ملة من الملل تستعظم زيارة كبرائها وزعمـائها وتراها فضلاً وشرفًا وتعدها

---

(١) هذا الحـديث أخرجـه مالـك في الموطأ من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسـار مرسلاً في باب جامع الصلاة ١/ ١٤٣ ط مصطفى محمد . وبعد هذا اللفظ : « **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . وذكر في (فتح المجيد) ٢٤٥ أنه أخرجه البزار عن زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ، وله شاهد في مسند الإمام أحمد من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» الفتح الرباني ٨/ ١٥٣ باب النهي عن اتخاذ المساجد على القبور . واستجود سنده الساعاتي.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٢.

للزائر مفخرة ومحمدة وتكثر إليها رغبات أفرادها لما يرون فيها من الكرامة؟

ونقول: ليس الفضل من حق الأمم ولا من حق الملل المنحرفة الزائغة، ولا من حق الأشراف والكبراء، ولكن الفضيلة حكم شعي يقررها الشرع وحده، ولم يجعل الشرع فضلاً في زيارة الكبراء والزعماء لمجرد كونهم كبراء وزعماء، ولكن رتب الشرع الفضيلة على التزاور في ذات الله والتحاب في ذات الله، ففي الحديث المتفق عليه: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**». ومنهم: «رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه» [(١)] وفي الحديث الآخر: «إن رجلا زار أخًا له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكًا فقال: أين تريد؟ فقال: أزور أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك علية من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحبه في الله، فقال له: إني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته» [(٢)]. وأما زيارة النبي ﷺ في حياته فقد سبق الكلام فيها، وأن أهل السنة يعتبرون ذلك

(١) راجع له صحيح البخاري رقم ٦٦٠ أو ١٤٢٣ أو ٦٤٧٩ أو ٦٨٠٦ وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة، وأخرجه الترمذي في الزهد رقم ٢٥٠٠ والنسائي في القضاء بعنوان: الإمام العادل جـ٨/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل الحب في الله وأحمد جـ٣ ص ٢٩٢ و ٤٠٨ و٤٦٢ و٥٠٨.

من أعظم الفضائل. وأما بعد موته فلا تسمى زيارة له ولكنها زيارة لقبره، وقد سبق بيان ذلك أيضًا ، وأما زيارة سواه فإن كان المزور عالمًا وكانت الزيارة مقصودة للاستفادة من علمه فإنها من الزيارة في الله ومن طلب العلم الذي أمر الله به ووعد عليه الثواب والجنة، كما في الحديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**»(١)، وكما في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام(٢) فإن ذلك كله مما رغب فيه الشرع وحث عليه، أما زعماء الدنيا وشرفاؤها وكبراؤها فليس لزيارتهم فضل لذاتها في الشرع، ولكن يترتب الثواب والعقاب عليها بحسب الدوافع التي تدفع إليها، فإن كان الدافع إليها خيراً كان للزائر من الثواب بقدر ذلك الخير، وإن كان الدافع إليها شراً كان عليه من الزور بقدر ذلك الشر، قال الله تعالى: ﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**﴾(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء رقم ٣٦٤١ و ٣٦٤٢ ومن حديث أبي هريرة ٣٦٤٣ ولفظ الأخير : «**ما من رجل سلك طريقًا فيه علمًا إلا سهل الله له به طريق الجنة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» رواه مسلم أي حديث أبي هريرة والترمذي. وحديث أبي الدرداء رواه ابن ماجه والترمذي وقال ليس إسناده بمتصل ، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة تعليقًا في كتاب العلم باب ١٠.

(٢) راجع صحيح البخاري كتاب العلم رقم ٧٨ وأخرجه في كتاب الأنبياء وفي تفسير سورة الكهف ٤٧٢٥ و٤٧٢٦ و٤٧٢٧.

(٣) سورة النساء الآية ٨٥.

وأما زيارة قبورهم- وهو ما يركز عليه المؤلف ويريد أن يقرر به الوثنية ويجعلها محسوبة على الشرع - فإن كانت زيارة سنية فهي جائزة لقول النبي ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة** »[١] وإن كانت زيارة بدعية فهي محرمة، وإن كانت زيارة شركية فهي شرك.

والفرق بين الزيارات الثلاث أن الزيارة السنية مقصودها الدعاد للميت والاتعاظ بمكانه، فهي لنفع الميت بالدعاء له ولنفع الزائر بالاتعاظ، لا لانتفاع الزائر بالميت كما يزعمه المؤلف. والزيارة البدعية مقصودة للدعاد عند قبر الميت إذا زعم الزائر أن الدعاد عند قبر المزور مستجاب.

والزيارة الشركية أن يدعو الميت نفسه، ويطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله تعالى فتبين من هذا أن زيارة الحي تختلف عن زيارة الميت، وكل منها له أحكام.

---

(١) تقدم تخريجه.

استدلال الرافضي على جواز التبرك بالحكايات

قال المؤلف: قال أبو حاتم[١] : كان أبو مسهر عبد الأعلى الدمشقي الغساني[٢] المتوفي سنة ٢١٨هـ، إذا خرج إلى المسجد اصطف الناس يسلمون عليه ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود. وقال ابن كثير في تاريخه : كان الناس يتبركون به ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود. وكان أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي [٣] المتوفي سنة٤٧٦ كلما مر على قرية خرج إليه أهلها يتلقونه بأولادهم ونسائهم يتبركون به ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا

---

(١) أبو حاتم هو الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام ، ولد سنة خمس وتسعين ومائة ، ورحل في هذا الشأن حتى قال : أحصيت ما ماشيت على قدمي حتى زاد على ألف فرسخ ثم تركت . توفى سنة٢٧٧ و له ٨٢ سنة .ش٢/ ١٧١.

(٢) أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي . ولد سنة ١٤٠ وتوفي سنة ٢١٨ وله ٧٨ سنة روى له الجماعة . ثقة فاضل من العاشرة . التقريب ص ٤٦٥ ج١ وفي التهذيب ٦ ص٩٩ وترجمه ابن أبي حاتم في ٦/ ٢٩ ولم يذكر شيئًا مما قاله هنا .

(٣) الشيرازي هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ولد سنة ٣٩٦ وقيل ثلاث وتسعين ، تفقه على مذهب الشافعي حتى صار إليه المنتهى في المذهب الشافعي، كان عابدًا ورعًا كبير القدر ، له المهذب والتنبيه والنكت في الفقه واللمع في أصول الفقه. ترجمه ابن كثير في البداية ج١٢ ص١٢٤ .

من تراب حافر بغلته، ولماه خرج إلى (ساره) خرج إليه أهلها وما مر بسوق إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم . . . إلى آخر ما ذكره من تبركات.

والجواب على هذا نقول أولا: هب بأن ما ذكر كان حاصلاً، فهل في ذلك دليل على جواز التبرك بالأشخاص والذوات؟ لا يقول هذا إلا جاهل لم يعرف حقيقة الشرع الإسلامي، فأعمال الناس توزن بالشرع وليس الشرع هو الذي يوزن بأعمال الناس، والشرع هو الحاكم على الناس وليس الناس هم الحاكمون على الشرع، ولقد انعقد الإجماع من أصحاب رسول الله ﷺ أن التبرك، خاص بشخص رسول الله ﷺ في حياته، فقد وردت نصوص كثيرة وصحيحة أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون ببصاقة ومخاطه وعرقه وما تساقط من وضوئه ﷺ ولم يعرف عن أحد منهم أنه تبرك بأحد من بعده أبدًا وذلك إجماع منهم، ومن ادعي خلاف ذلك فعليه الدليل الذي تقوم به الحجة، وليس يوجد عن الصحابة في هذا الباب حرف واحد فيما أعلم.

ثانيًا : إن هؤلاء الناس ابتدعوا التبرك بالأشخاص، وهؤلاء العلماء إن كان حقًا مانسب إليهم فإنهم مخطئون في قبول ذلك، وإقرار العوام عليه وسيسألهم الله عز وجل عن ذلك، وإن كان مكذوبًا عليهم فسيجزي الله من كذب عليهم بقبول هذه البدع بما

يستحقه من عقاب.

ثالثًا: إن هؤلاء قد بالغوا وتجاوزوا الحدود ، وتجارى بهم الشيطان إلى مهاوي الخزي والهلكة، فقد تجاوزوا التبرك بالشخص إلى التبرك بالبغلة، بل بالتراب الذي مسه حافر البغلة، فكانوا كعباد العجل، بل أردأ وأخس حالاً منهم.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتبركون بفضلات الرسول ﷺ ولكن لم يعرف أن أحدًا منهم تبرك بناقته أو ببغلته ، ولو حصل منهم ذلك لما أقرهم عليه، ومعاذ الله أن يحصل منهم وهم قد دخلوا في الإسلام فرارًا من الوثنية، ولقد طاف النبي ﷺ بالكعبة غير مرة ومعه أصحابه فلم يتركوا الحجر ويقبلوا يده، مع أن يده أفضل الأيدي على الإطلاق، وهي أفضل من الحجر الأسود ومن الأحجار التي بنيت بها الكعبة، ولكن العبودية لله تعالى هي امتثال أمره وترك نهيه، والله جل وعز أمر بالطواف بالكعبة وأمر بتقبيل الحجر الأسود، فتقبيله امتثالاً لأمر الله تعالى الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب وطاعة له، ومن ترك تقبيل الحجر وقبل يد فلان فإنه قد عصى الله تبارك وتعالى بترك أمره وتعديه إياه إلى مالم يأمر به تبارك وتعالى، ولقد سجل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن بعده قولاً لا ينساه له التاريخ أبدًا ، فقال حين جاء ليقبل الحجر: « **والله إني لأعلم**

أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» [1] ، فقد أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا إلى أن تقبيل الحجر مع أنه حجر لأمرين: الأول: الطاعة لله تعالى، والثاني: التأسي برسوله ﷺ وهذان الأمران هما مدار العبادة، فتبين من هذا أن الذين تركوا تقبيل الحجر وقبلوا يد فلان أو فلان قد تركوا العبادة التي أمر الله بها واخترعوا لأنفسهم عبادة لم يأمر الله بها، فكانوا بذلك عصاة مسرفين، ضالين، وإن العالم الذي يرضى لنفسه، بهذا قد رضي لنفسه بالتأليه والتقديس وسيحاسبه الله على ذلك ، فهل يكون عمل من هذا حاله حجة على غيره؟ لا وألف لا إلا عند الجهال البلداء !!

الرافضي يحتج بما ليس بحجة

قال المؤلف: فما ظنك بزيارة سيد ولد آدم، ومن نيطت به سعادة البشر ورقيه وتقدمه، وهذه ملائكة السموات تزور ذلك القبر الشريف كل يوم ، فما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفون بقبره ﷺ ويصلون عليه، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب تقبيل الحجر، ومسلم رقم ٤٢٨ حج/ ١٢٧٠ والنسائي ٥/ ٢٢٧باب تقبيل الحجر.

مثلهم!! وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض. عزاه للدارمي [١] !!

ج- قلت: أخرجه الدارمي في باب ما أكرم الله به نبيه بعد موته. بسند فيه عبد الله بن صالح [٢] كاتب الليث، وهو سيء الحفظ وسعيد بن أبي هلال [٣] وقد اختلط، ورواه إسماعيل القاضي [٤] من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة[٥] وقال الألباني: إسناده مقطوع ورجاله كلهم ثقات اهـ.

---

(١) هو أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدرامي السمرقندي الحافظ الثقة صاحب المسند المشهور، قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه. توفي سنة ٢٥٥ ترجمه ش ٢/ ١٣٠.

(٢) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح كاتب الليث. صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة. توفي سنة ٢٢٢ تقريب جـ ١ ص ٤٧١.

(٣) سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم أبو العلا المصري صدوق. لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفًا، إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط ترجمه في التقريب (١/ ١٩٥).

(٤) إسماعيل القاضي هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد صاحب التصانيف، شيخ المالكية في العراق وعالمهم ولد سنة ١٧٩ وتوفي سنة ٢٨٢ تذكرة ص ٦٢٥.

(٥) عبد الله بن لهيعة - بفتح اللام وكسر الهاء - ابن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري صدوق اختلط بعد احتراق كتبه. تقريب ١/ ٤٤٤.

قلت : هو من كلام كعب الأحبار[1] مما أخذه عن كتبهم ، ومثل هذا لا نصدقه ولا نكذبه، وعلى تقدير ثبـوته فليس فيه حجة للخصم على المدعي ، لأن حكم الملائكة غير حكم البشر، ولكنه ليس بثابت كما تقدم ، ولو كان كعب أخذه عن الصحابة لنقله عنهم غيره، فلما لم يؤثر عن أحد منهم دلنا ذلك أنه من الإسرائيلـيات، والإسرائيليات على ثلاثة أنواع:

١ - ما في كتابنا تصديقه يصدق.

٢ - ما في كتابنا تكذيبه يكذب.

٣- وماليس كذلك فلا يصدق ولا يكذب.

وهذا من هذا القبيل، وفي المسند عن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاء رجل من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ : « **الله أعلم** » قال اليهودي: أنا أشهـد أنها تتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : « **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقـوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فـإن كان حـقًا لم تكذبوهم، وإن كـان باطلاً لم تصدقـوهم** » الفتح الرباني ١/ ١٧٦ بإسناد علق عليه البنا بأنه جيد، ورواه أبو داود

(١) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميـري المعروف بكعب الأحبار ، ثقة من الثانية ، كان من أهل اليـمن فسكن الشام ، مات في خـلافة عثمـان وقد زاد على المائة . تقريب ٢/ ١٣٥ .

أيضًا بإسناد جيد.

قلت : وهذا الأثر مع أنه مما لا يصدق ولا يكذب فليس فيه دليل على محل النزاع وهو إنشاء السفر لزيارة القبور أو القبر النبوي مجردًا عن قصد المسجد للصلاة فيه والله أعلم.

ابن السبكي يزعم أن التبرك ببعض الموتى من سير السلف الصالحين والرد عليه في ذلك :

قال المؤلف: وشتان بين هذا الرأي القصيمي الفاسد، وبين قول الشيخ تقي الدين السبكي في الشفاء ص٩٦ : إن من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرًا عظيمًا نقطع ببطلانه، ومن حط من درجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين، وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر. اهـ.

ج - قلت : وهذه مجازفة عظيمة لا يقولها إلا جاهل بالشرع أو مفتون يريد أن يضلل الرأي العام للمسلمين عن حقائق الشرع الناصعة، ونحن نقول للمؤلف ونقول لابن السبكي ولمن يدين دينهما ويعتقد اعتقادهما: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ أو من إجماع الصحابة والتابعين على ما

تدعـون من جواز التبـرك ببعض الموتى مـن الصالحين، وإلا فـإنكم كاذبون فيما تدعون ظالمون مـخادعون؛ وهانحن قد قدمنا لكم الأدلة من السنة الصحيحة الناصـعة على أن النبي ﷺ نهى أن يجعل قبره عيداً، ونهى عن البناء على القبور، ولعن الذين يتخذون القبور مساجد، مسـاجد، وأخبر أنـهم من أشد الناس عذابًا ، وهي تصـفع وجه من زعم أن التبرك بالموتى من سيـر السلف الصالح وتنادي عليه بالكذب الصـريح والفـرية العظيـمة على الله ورسـوله ﷺ والصـالحين من عبـاده، وقد روى الإمام أحـمد من طريق أبي واقد الـليثي رضي الله عنه أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقـال الـرسـول ﷺ: «قلتـم والـذي نفسي بيـده كمـا قـال قـوم مـوسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إنها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»[1]. فهذا رسول الله ﷺ قد جعل التبرك بـالشيء تـأليهـاً لـه، فلمـا قـال أصحـابـه: اجعـل لنـا ذات أنـواط قال لهم: «قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة». وذات أنواط شجرة يعلقون بها أسلحتهم ويزعمون أنها تضفي عليها بـركـة تكـون سببـاً في النصر، فقـال النبـي ﷺ: قلتـم كمـا قـال بنـو

(١) أخرجه الإمام أحـمد بن حنبل ، وهو في الفتح الرباني بترتيب مسـند الإمام أحمد جـ١ رقم ٢٧ من كتاب الاعتصام ص ١٩٨ ، ١٩٩.

إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة. فسمى التبرك تأليهًا . ثم يأتي مغالط بعد سبعة قرون فيزعم أن التبرك بالموتى أمر معلوم من الدين وسير السلف الصالح، ونحن نقول: نعم معلوم من الدين منعه وتحريمه وجعله من التأله لغير الإله الحق الذي انفرد بالنفع والضر، ومن المعلوم أن الكفار حينما علقوا أسلحتهم بالشجرة زاعمين أنها تبارك هذه الأسلحة قد طلبوا البركة من غير مصدرها ، وطلبوا النصر من غير مالكه، وذلك تأليه للشجرة ، من تبرك بالموتى فقد طلب البركة من غير مالكها وواهبها جل وعلا، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتبركون بالنبي ﷺ كما ثبت أنهم تبركوا بما سقط من أعضائه من ماء الوضوء. رواه أبو جحيفة [1] في الصحيحين وغيرهما[2] وثبت أنهم أخذوا شعره حين حلق في حجة الوداع فاقتسموه كما رواه الشيخان وغيرهما [3] وثبت أنهم كانوا يتبركون

---

(١) أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ويقال له وهب الخير ، صحابي جليل له صحبة ورواية عن النبي ﷺ وكان على شرطة علي بن أبي طالب . توفي سنة ٧٤ . ترجمه في ش ١/ ٨٢ وترجمة في الإصابة ٣/ ٦٤٢.

(٢) فيه حديث أبي جحيفة عند البخاري في كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس، وحديث السائب بن يزيد عنده أيضًا ، وحديث أبي جحيفة عند مسلم واحمد أيضًا .

(٣) راجع صحيح البخاري باب ما يذكر في الشيب ، وفيه عن أنس في حلق النبي ﷺ وأخذهم شعره للتبرك ، وأخرجه مسلم رقم ١٣٠٥ باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق.

ببصاقه ونخامه وعرقه وجسده وثيابه [١] ولكن لم يؤثر عن أحد منهم أنه تبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ فمن يأتي أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ؟ بل من يأتي بعد هؤلاء أفضل من باقي العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم الستة؟ بل من يأتي بعد العشرة أفضل من أهل بدر؟ بل من يأتي بعد أهل بدر أفضل من أهل الشجرة بل من يأتي بعد أصحاب الشجرة أفضل من بقية أصحابه؟ ومع هذا فلم يؤثر عن مفضول منهم أنه تبرك بفاضل، ولا عن تابعي أنه تبرك بصحابي، وذلك إجماع منهم على اختصاص الرسول ﷺ بذلك في حياته، ولم يصح عن أحد منهم أنه تبرك به أو بقبره بعد موته، وكل ما ورد في ذلك فهو موضوع مفترى على أصحاب الرسول ﷺ على واضعيها ما يستحقون ، ومن زعم أن التبرك بالموتى وأضرحة الموتى ومشاهد الموتى من الدين وسير السلف الصالح ، فقد أعظم على الله الفرية وأوغل في الكذب والبهت ، وسيلقى جزاء ما اقترفه من جرم وعقوبة ما اختلقه من كذب لهدم الدين ، فتبين من هذا مغالطة ابن السبكي ومداجاته عن الحق، والله يجزي كل عبد بما عمل، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه ، وفيه حديث جابر بن سمرة ، وباب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به ، وفيه حديث أنس في قصة أم سليم رقم ٢٣٣١ و ٢٣٣٢ .

الرافضي تبعًا لابن السبكي يكفر شيخ الإسلام زاعمًا أنه حط من رتبة النبي ﷺ.

أما قوله : ومن ادعى أن قبور الأنبياء كغيرهم من قبور المسلمين فقد أتى أمرًا عظيمًا نقطع ببطلانه . . إلى أن قال : وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر.

والجواب عن هذا بأن هذه مغالطة وكذب على شيخ الإسلام رحمه الله ، وهذا كلامه موجود بين أيدينا، وليس في شيء من كلامه أنه جعل قبر النبي ﷺ وقبر غيره سواء . بل قد صرح بالفرق بين قبره ﷺ وبين قبر غيره ، وإلى القاريء نبذة من كلامه في الرسالة التي رد بها على الأخنائي [1] . قال في ص ٢٤٣ مجلد ٢٧ من الفتاوى : ومنها أنه احتج بإجماع السلف والخلف على زيارة قبره، وظن أن الجواب يتضمن النهي عما أجمع عليه ، وقد صرح في الجواب بأن السفر إلى مسجده طاعة مجمع عليها، وكذلك ما تضمنه مما يسمى بزيارة لقبره من الأمور المستحبة ، مثل الصلاة والسلام عليه والدعاء له بالوسيلة وغيرها، والشهادة له والثناء عليه بما فضله الله به ومحبته وموالاته وتعزيره وتقويره، وغير ذلك مما قد يدخل في مسمى الزيارة، فهذا كله مستحب، والمجيب يصرح باستحباب ذلك، وقد

---

(١) الأخنائي هو القاضي علم الدين محمد بن أحمد الأخنائي ، توفي ٧٧٦ . ذيل التذكرة ص١٦٤ .

تنازع العلماء هل يسمى هذا زيارة؟ وذكر تنازع العلماء فيما تنازعوا فيه من ذلك وإجماعهم على ما أجمعوا عليه ، فذكر جواز ما ثبت بالنص والإجماع من السفر إلى مسجده وزيارة قبره، وذكر بعض ما تنازعوا فيه من ذلك .

وهذا ظن أن السفر إلى زيارة نبينا كالسفر إلى غيره من الأنبياء والصالحين وهو غلط من وجوه:

أحدها: أن مسجده عند قبره، والسفر إليه مشروع بالنص والإجماع بخلاف غيره.

والثاني: زيارته كما يزار غيره ممتنعة، وإنما يصل الإنسان إلى مسجده وفيه يفعل ما شرع له .

الثالث: أنه لو كان قبر نبينا يزار كما تزار القبور لكان أهل مدينته أحق الناس بذلك، كما أن أهل كل مدينة أحق بزيارة من عندهم من الصالحين. فلما اتفق السلف وأئمة الدين على أن أهل مدينته لا يزورون قبره، بل ولا يقفون عنده للسلام إذا دخلوا المسجد أو خرجوا، وإن لم يسم هذا زيارة، بل يكره لهم ذلك عند غير السفر، كما ذكر ذلك مالك رحمه الله وبين أن ذلك من البدع التي لم يكن صدر هذه الأمة يفعلونها. علم أن من جعل زيارة قبره مشروعة كزيارة قبر غيره فقد خالف إجماع المسلمين.

الرابع: أنه قد نهى أن يتخذ قبره عيداً، وأمر الأمة أن تصلي عليه وتسلم حيثما كانت ، وأخبر أن ذلك سيبلغه ، ولم يكن تخصيص البقعة بالدعاد له مشروعًا بل يدعى له في جميع الأماكن وعند كل أذان وفي كل صلاة وعند دخول كل مسجد والخروج منه، وهذا لعلو قدره وارتفاع درجته، فقد خصه الله من الفضل بما لم يشركه فيه غيره لئلا يجعل قبره مثل سائر القبور، بل يفرق بينهما من وجوه، وبين فضله على غيره وما من الله به على أمته ، وقال أيضًا في ص٢٦٤ من المجلد المذكور : والمقصود هنا أن مسجد الرسول ﷺ وغيره من المساجد فضيلتها بكونها بيوت الله التي بنيت لعبادته، قال الله تعالى: **﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾**[1] وقال تعالى : **﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾**[2] .

وقال تعالى : **﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾**[3] إلى قوله : **﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾**[4] وقال تعالى : **﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا**

---

(١) سورة الجن الآية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٧ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٨ .

تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما علموا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [١] .

والمساجد الثلاثة لها فضل على ما سواها، فإنها بناها الأنبياء ودعوا الناس إلى السفر إليها، فالخليل دعا إلى المسجد الحرام، وسليمان إلى بيت المقدس، ونبينا دعا إليهما وإلى مسجده، ولكن جعل السفر إلى المسجد الحرام فرضًا وإلى الآخرين تطوعًا، وإبراهيم وسليمان عليهما السلام لم يوجبا شيئاً ولا أوجب الخليل الحج، ولهذا لم يكن بنوا إسرائيل يحجون ، ولكن حج موسى ويونس وغيرهما ، ولهذا لم يكن الحج واجبًا في أول الإسلام وإنما وجب في سورة آل عمران بقوله تعالى : **﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾** [٢] .

هذا هو الذي اتفق عليه المسلمون أنه يفيد إيجابه.

وأما قوله تعالى : **﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾** [٣] ، فقيل إنه يفيد إيجابهما ابتداء وإتمامهما بعد الشروع ، وقيل إنما يفيد وجوب إتمامهما بعد الشروع لا إيجابهما ابتداء، وهذا هو الصحيح. فإن هذه الآية

---

(١) سورة النور الآيات ٣٦ - ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٦.

نزلت عام الحديبية بعد شروع النبي ﷺ في العمرة، عمرة الحديبية، لما صده المشركون ، وأبيح فيها التحلل للمحصر ، فحل النبي ﷺ وأصحابه ورجعوا، والحج والعمرة يجب على الشارع فيهما إتمامهما باتفاق الأئمة، وتنازعوا في الصلاة والصوم والاعتكاف على قولين مشهورين، ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه لا يجب الإتمام، ومذهب مالك وأبي حنيفة يجب، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود أن مسجد الرسول ﷺ فضيلة السفر إليه لأجل العبادة فيه - والصلاة فيه بألف صلاة، وليس شيء من ذلك لأجل القبر بإجماع المسلمين ، وهذا من الفروق بين مسجده ﷺ وغيره وبين قبره وقبر غيره، فقد ظهر الفرق من وجوه. وهذا المعترض وأمثاله جعلوا السفر إلى قبور الأنبياء نوعًا، ثم لما رأوا ما ذكره العلماء من استحباب زيارة قبر نبينا ظنوا أن سائر القبور يسافر إليها كما يسافر إليه ، فضلوا من وجوه.

أحدها : أن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده ﷺ وهو مستحب بالنص والإجماع.

الثاني: أن هذا السفر هو للمسجد في حياة الرسول ﷺ وبعد دفنه وقبل دخول الحجرة وبعد دخول الحجرة فيه، فهو سفر إلى المسجد سواء كان القبر هناك أو لم يكن، فلا يجوز أن يشبه السفر إلى قبر مجرد.

الثالث: أن من العلماء من يكره أن يسمي هذا زيارة لقبر، والذين لم يكرهوه يسلمون لأولئك الحكم ، وإنما النزاع في الاسم ، وأما غيره فهو زيارة لقبره بلا نزاع، فللمانع أن يقول لا أسلم أنه يمكن أن يسافر إلى زيارة قبره أصلاً ، وكلما سمي زيارة قبر فإنه لا يسافر إليه ، والسفر إلى مسجد نبينا ليس سفرًا إلى زيارة قبر، بل هو سفر للعبادة في مسجده (١) .

الرابع: أن هذا السفر مستحب بالنص والإجماع، والسفر إلى قبور سائر الأنبياء والصالحين ليس مستحبًا لا بنص ولا إجماع ، بل هو منهي عنه عند الأئمة الكبار كما دل عليه النص.

الخامس : أن المسجد الذي عند قبره مسجده الذي أسس على التقوى، وهو أفضل المساجد غير المسجد الحرام، والصلاة فيه بألف صلاة، والمساجد التي على قبور الأنبياء والصالحين نهى عن اتخاذها مساجد، والصلاة فيها كما تقدم، فكيف عن السفر إليها ؟

السادس: أما السفر إلى مسجده فالذي يسمي السفر إلى زيارة

---

(١) قلت : وهذا هو المعتمد أن ما يسمى بالسفر إلى قبره هو في الحقيقة سفر إلى مسجده، لأن الزائر إنما يصل أولاً إلى المسجد فإن نوى أحد بسفره للقبر خاصة كان عاصيًا بنيته وسفره مباح ـ إن شاء الله لأنه إنما يصل إلى المسجد لا إلى القبر ، ولأن القبر لا يستطيع أحد الوصول إليه ، والله أعلم .

قبره هو ما أجمع عليه المسلمون جيلاً بعد جيل، وأما السفر إلى سائر القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أتباع التابعين، ولا استحبه أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، فكيف يقاس هذا بهذا وما زال المسلمون من عهده وإلى هذا الوقت يسافرون إلى مسجده إما مع الحج وإما بدون الحج، فعلى عهد الصحابة لم يكونوا يأتون إليه مع الحج كما يسافرون إلى مكة، فإن الطرقات آمنة، وكان إنشاء السفر إليه أفضل من أن يجعل تبعًا لسفر الحج، وعمر بن الخطاب قد أمرهم أن يفرودا للعمرة سفرًا وللحج سفرًا ، وهذا أفضل باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من التمتع ، فإن الذين فضلوا التمتع والقران كما فضل أحمد لمن لم يسق الهدي . . إلى أن قال : والمقصود أن المسلمين ما زالوا يسافرون إلى مسجده ولا يسافرون إلى قبور الأنبياء كقبر موسى وقبر الخليل عليهما السلام.

ولم يعرف عن أحد من الصحابة أنه سافر إلى قبر الخليل مع كثرة مجيئهم إلى الشام والبيت المقدس، فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ الذي يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلى قبور الأنبياء؟

السابع: أن السفر المشروع إلى مسجده يتضمن أن يفعل في مسجده ما كان يفعل في حياته وحياة خلفائه الراشدين، من الصلاة والسلام عليه والثناء والدعاء، كما يفعل ذلك في سائر المساجد وسائر البقاع،

وإن كان مسجده أفضل، فإن المشروع فيه عبادة لله مأمور بها .

وأما الذي يفعله من سافر إلى قبر غيره فإنما هو من نوع الشرك، كدعائهم، وطلب الحوائج منهم، واتخاذ قبورهم مساجد وأعيادًا وأوثانًا ، وهذا محرم بالنص والإجماع. فإن قلت: قد يفعل بعض الناس عند قبره مثل هذا، قلت لك : أما عند القبر فلا يقدر أحد على ذلك ، فإن الله أجاب دعوته حيث قال : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» وأما في مسجده فإنما يفعل ذلك بعض الناس الجهال . أما من يعلم شرع الإسلام فإنما يفعل ما شرع، وهؤلاء ينهون أولئك بحسب الإمكان، فلا يجتمع الزوار على الضلال.

وأما قبر غيره فالمسافرون إليه كلهم جاهلون ضالون مشركون، ويصيرون عند نفس القبر ولا أحد هناك ينكر عليهم.

الوجه الثامن : أن يقال قبره معلوم ومتواتر بخلاف قبر غيره، ومما ينبغي معرفته أن الله تعالى حمي قبور الأنبياء ببركة رسالة محمد ﷺ فلم يتمكن الناس مع ظهور دينه أن يتخذوا قبور الأنبياء مساجد، كما أظهر الإيمان بنبوة الأنبياء وماجاؤوا به من إعلان ذكرهم ومحبتهم وموالاتهم والتصديق لأقوالهم والاتباع لأعمالهم ما لم يكن هذا لأمة أخرى؛ وهذا هو الذي ينتفع به من جهة الأنبياء، وهو تصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا والاقتداء بهم فيما فعلوا، وحب ما كانوا يحبونه وبغض ما كانوا يبغضونه، وموالاة من يوالونه

ومعداة من يعادونه، ونحو ذلك مما لا يحصل إلا بمعرفة أخبارهم ، والقرآن والسنة مملوءة من ذكر الأنبياء، وهذا أمر ثابت في القلوب مذكور بالألسنة.

وأما نفس القبر فليس في رؤيته شيء من ذلك ، بل أهل الضلال يتخذونها أوثانًا كما كانت اليهود والنصارى يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، فببركة رسالة محمد ﷺ أظهر الله من ذكرهم ومعرفة أحوالهم ما يجب الإيمان به وتنتفع به العباد، وأبطل ما يضر الخلق من الشرك بهم واتخاذ قبورهم مساجد كما كانوا يتخذونها في زمن من قبلنا مساجد، ولم يكن على عهد الصحابة قبر نبي ظاهر يزار، لا بسفر ولا بغير سفر، لا قبر الخليل ولا غيره، ولما ظهر بـ(تستر) قبر دانيال وكانوا يستسقون به، كتب فيه أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه يأمره أن يحفروا في النهار ثلاثة عشر قبرًا ويدفنه بالليل في واحد منها ، ويعفي القبور كلها لئلا يفتتن به الناس، وهذا قد ذكره غير واحد وممن رواه يونس بن بكير [1] في

---

(١) يونس بن بكير الحافظ العالم المؤرخ أبو بكر الشيباني الجمال صاحب المغازي . حدث عن الأعمش وهشام بن عروة وغيرهم توفي سنة ١٩٩ . اختلفت فيه أقوال علماء الجرح والتعديل بين موثق ومضعف . وساق له ابن عدي خمسة أحاديث غرائب التذكرة ٣٢٦ . تقريب ٢/ ٣٨٤.

زيادات مغازي ابن إسحاق[2] عن أبي خلدة [3] خالد بن دينار قال : حدثنا أبو العالية[4] قال : لما فتحنا (تستر) وجدنا في بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال : سيرتكم وكلامكم ولحون كلامكم . قلت : فيما صنعتم بالرجل؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولى قيس بن مخرمة . رأى أنس بن مالك ، حدث عن أبيه وعمه وفاطمة بنت المنذر . وغيرهم . وله كتاب المغازي . مات سنة ١٥١ . وقد اختلف فيه علماء الحديث . قال الذهبي في التذكرة : والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق حجة في المغزي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء ، وليس بحجة في الحلال والحرام ، نعم ولا بالواهي ، بل يستشهد به . انتهى التذكرة ١٧٢ . تقريب ٢/ ١٤٤.

(٢) أبو خلدة خالد بن دينار التميمي السعدي. روى عن أنس وأبي العالية الرياحي ومحمد ابن سيرين وغيرهم، وثقة وأثنى عليه عبد الرحمن بن مهدي وشعبة وسفيان ويحيى بن معين . ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٧.

(٣) أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقريء قرأ على أبي وغيره ، وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة . قال أبو بكر بن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية ثم سعيد بن جبير . توفى سنة ٩٣ وقيل: سنة ٩٠ . التذكرة ٦١٥.

ينبشـونه، قلت : وما يرجون فـيه؟ قال : كـانت السماء إذا حـبست برزوا بسريره فيمطرون.

فقلت : من كـنتم تظنون الرجل؟ قال : رجل يقـال له دانيال . قلت : منذ كم وجـدتموه مات؟ قـال منذ ثلاثمائة سنة . قلـت : ما كان تغير منه شيء؟ قال : لا إلا شعـيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

ولم يدع الصحابة في الإسلام قبرًا ظاهرًا من قبور الأنبياء يفتتن به الناس ولا يسافرون إليه ولا يدعونه ولا يتخـذونه مسجدًا، بل قبر نبينا ﷺ حجبـوه في الحجرة ومنعوا الناس منه بحـسب الإمكان، وغيره من القبور عـفوه بحسب الإمكان إن كان الناس يفـتنون به، وإن كانوا لا يفتنون به لا يضـر معرفة قبـره كما قال النبي ﷺ وكـما ذكر أن ملك الموت أتى مـوسى عليـه السـلام فقـال : أجب ربك . فلطمـه موسى ففقأ عينه، فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقـد فقأ عيني. قال : فـرد الله عليه عينه وقـال له : ارجع إلى مـوسى وقل: إن الحيـاة تريد؟ فـإن كنت تريد الحياة فـضع يدك على متن ثور وما وارت يدك من شعره فـإنك تعيش بكل شعرة سنة، قال : ثم مـاذا؟ قال: الموت قال: فمن الآن يارب، ولكن أدنني من الأرض المقدسـة رمية بحجـر. قال النبي ﷺ : فلو كنت ثم لأريتكم قبـره، إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحـمر وقد

مر به النبي ﷺ ليلة الإسراء فرآه وهو قائم يصلي في قبره ومع هذا فلم يكن أحـد من الصحابة والتـابعين يسافـر إليه، ولا ذهبـوا إليه لما دخلوا الشام في خلافة أبي بكر وعمـر، كما لم يكونوا يسافرون إلى قبر الخليل ولا غيره.

وهكذا كانوا يفعلون بقـبور الأنبياء والصالحين، فقـبر دانيال كانوا يجدون منه رائحة المسك فعفوه لئـلا يفتتن به الناس، وقبر الخليل عليه السلام قيل أن نبي الله سليمان بناه فلا يصل أحد إليه، وإنما نقب البناء بعـد زمن طويل بعـد انقراض الـقرون الثـلاثة، وقـد قيل إنمـا نقبـه النصارى لما استولوا على ملك البـلاد، ومع هذا فلم يتمكن أحد من الوصول إلى قـبر الخليل عليـه السلام، فكان السـفر إلى زيارة قـبور الأنبيـاء والصالحين ممتنعًا على عـهد الصحابة والتـابعين، وإنما حدث بعدهم.

فالأنبيـاء كثيرون جـدًا، وما يضاف إليهم من القـبور قليل جدًا، وليس منها شيء ثابت عرفًـا، فالقبور المضافة إليـهم منها ما يعلم أنه كذب مثل قبر نوح عليه السلام الذي في أسفل جبل لبنان.

ومنها مـا لا يعلم ثبوته بالإجـماع إلا قـبر نبينا والخـليل وموسى عليهم الـسلام، وهذا من كرامـة محمـد وأمتـه، فإن الله صان قـبور الأنبـياء عن أن تكـون مسـاجد صيـانة لم يحصـل مثلهـا في الأمم المتقـدمـة، لأن محمـداً وأمتـه أظهـروا التـوحيـد إظهـاراً لم يظهـره غيره،

فقهروا عباد الأوثان وعباد الصلبان وعباد النيران، وكما أخفى الله بهم الشرك أظهر بمحمد وأمته من الإيمان بالأنبياء وتعظيمهم وتعظيم ما جاؤوا به وإعلان ذكرهم ، بأحسن الوجوه ما لم يظهر مثله في أمة من الأمم.

وفي القرآن يأمر بذكرهم كقوله تعالى : ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًا**﴾ [١] ﴿ **واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا وكان رسولاً نبيًا** ﴾ [٢] الآيات وقوله : ﴿ **واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾ [٣] وذكر بعده سليمان إلى أن قال : ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه** ﴾ [٤] وذكر الآيات بعدها إلى أن قال : فالذي أظهره الله بمحمد وأمته من ذكر الأنبياء بأفضل الذكر وأخبارهم ومدحهم والثناء عليهم، ووجوب الإيمان بما جاؤوا به، والحكم بالكفر على من كفر بواحد منهم وقتله وقتل من سب واحدًا منهم. . ونحو ذلك من تعظيم أقدارهم، ما لم يوجد في ملة من الملل.

---

(١) سورة مريم الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم الآية ٥١ .

(٣) سورة ص الآية ١٧ .

(٤) سورة ص الآية ٤١ .

أخي القاريء : هذه نبذة من كلام شيخ الإسلام رحمه الله في الزيارة، اقرأها بإمعان وتأمل فيها، وإن أردت الازدياد فطالع المجلد السابع والعشرين من الفتاوى لهذه المسألة، وسوف يتبين لك كذب هذا المؤلف وأسلافه ومن هم على شاكلته في هذه المسألة، من أمثال ابن السبكي وابن حجر الهيتمي المكي والكوثري ودحلان وغيرهم ممن أعلنوا العداوة لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقلبوا الحقائق وتمسكوا في الإنكار عليه بأوهى العلائق ، وليتهم حين فعلوا ذلك وقفوا عند حد الإنكار والحجاج، ولكنهم قد تعدوا ذلك إلى التكفير واللجاج، والله سائلهم عما به قد رموه زوراً وبهتانًا، وما تفوهوا به في حقه سرًا وإعلانًا.

قال الرافضي : الحث على زيارة النبي ﷺ

أخرج أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمة في زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ ونحن نذكر شطرًا منها.

ج ـ الله أكبر ما أعظم نعمة الحياء! فإذا سلب العبد الحياء فقد سلب أعظم نعمة بعد الإيمان بالله، وعندئذ لا يهمه أن يكذب أو يدجل أو يضلل، وقد قال النبي ﷺ : « **وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » . فها هو مؤلف الرسالة كعادته يدجل ويضلل ويكذب بكل وقاحة وصفاقة فيقول:

أخرج أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد. ونقول للمؤلف: على هونك! فقد أبقى الله لك ولأمثالك ولكل دجال وكذاب ووضاع يريد أن يدخل في الدين ما ليس منه، أبقى الله لهم رجالاً يبينون كذبهم وينقون الشرع من كل دخيل، حتى تركوه نقيًا وضاحًا، قال شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي [1] رحمه الله :

---

(١) هو شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله. ولد عام ١٣٤٢ وقرأ القرآن في الكتاتيب واشتغل برعي الغنم لأبيه ، ولما وفد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي إلى المنطقة (منطقة جازان) دل عليه فذهب إلى قريته التي يسكنها قرية الجاضع من ضواحي صامطة ، فقابله ورأى فيه من الذكاء الخارق والقريحة المتوقدة ما جعله يحرص عليه، فكلم أباه في تفريغه لطلب العلم، وبين له ما سيترتب على ذلك من خير كثير ، ولم يزل يسعى في ذلك حتى اقتنع والده بذلك وفرغه لطلب العلم من أول عام ١٣٦٠ هـ فأقبل على الطلب وثابر وحصل مع ما أوتي من رجاحه عقل وتقوى ، فبرز على الأقران وصار أعجوبة الزمان، فألف وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وعني بالنظم لأنه كان قد أوتي سليقة فيه وكان سهلاً عليه ، فنظم سلم الوصول في العقيدة، والميمية في فضل العلم وأهله، والقائية في ذم القات والشيشة والدخان والبردقان ، ورد على من رد عليه في القات والشيشة بمنظومة أوسع وأطول، ونظم كتابًا في المصطلح سماه اللؤلؤ المكنون ونظم السبل السوية في فقه السنن المروية ، وهو كتاب عظيم لم ير مثله مع سلاسة النظم وغزارة المعنى والإشارات غالبًا إلى مواضع الوفاق والخلاف، ونظم كتابًا في أصول الفقه سماه وسيلة الحصول قال في آخره.

وتم ذا النظم بحمد الباري ... موضحًا بأقرب اختصار

كاف عن البسط الممل واف ... يجمع ما فرق في الأطراف =

يروون عنه أحاديث الشـــريعة لا   يألون حفظًا لها بالصدر والقـــلم
ينفون عنها انتحال المبطلين وتحريف   الغلاة وتـــأويل الغـــوي اللـــئم
أدوا مقـــــالته نصـــحًا لأمتــــه   صانوا روايتها عـــن كل مـــتهم

ثم نقول : في أي الصحاح رويت أحـاديث التي ذكرتها؟ فكلمة الصحـاح إذا أطلقت لا تقال إلا للبخـاري ومسلم، أما صـحيح ابن خزيمة وصـحيح ابن حـبان فـلا يقال لهمـا الصحـيحـان، ولا يقال الصحاح، ولكن يذكر مـقرونًا باسم مؤلفة فيقـال: صحيح ابن خزيمة أو صحيح ابن حبـان ، وذلك أن رتبتهما أدنى من رتبة مـسلم بكثير،

= في جـــــمل قريـــبة المنال   منظـومة كالعقـــد في اللآلي
ما شأنـــها مقدمات المـــنطق   ولا تعـــقدت بضعف المنـطق
سمـــيتها وسيـــلة الحصـــول   إلى المهــمات مـــن الأصـول
ثم انـــتفـــاء نقـــصنا محـــال   وجـــل وجــه من له الكمال

وله كتـاب نيل السول في تاريخ الأمم وسيـرة الرسول نظم ، وله تكملة العمـريطية في النحو نظم أيضـاً، وله كتاب لامية النـاسخ والمنسوخ نظم أيضًا، وله كتـاب معارج القبـول كتـاب عظيـم شرح بـه سلـم الـوصـول في مجلـدين مطبـوع، ولـه كتـاب أعـلام السنة المنشورة في اعتـقاد الفرقة الناجيـة المنصورة على طريقة السؤال والجـواب، وله كتاب النور الفائض في علم الفرائض، وله كتاب دليل أرباب الفلاح في فن المصطلح وكلها نثر ، وكل هذه الكتب مطبوعة إلا تكملة العمريطية وهناك كتب أخرى لم تكمل أو كملت ولم تحفظ. وبالجملة فأنا لم أر أسرع بديهة منه ولا أحد ذهنًا منه ، وقد وفاه الأجل في يوم ١٨ ذي الحجة من عام ١٣٧٧ بمكة بعد أن قضى أعمال الحج وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، فرحمه الله رحمة الأخيار الأبرار ورفع درجته في الجنة.

وقد وجد فيهما أحاديث ضعافًا ، فهذا من ناحية الحكم العام عليهما، وبقراءة الرد على كل حديث يتبين كذب المؤلف في زعمه أن هذه الأحاديث رويت في الصحاح، ونحن نقول: لا بل ولا في السنن. أما ابن خزيمة فقد بين ضعف الحديث الذي رواه كما سيأتي.

الحديث الأول

١ - قال : الحديث الأول : « **من زار قبري وجبت له شفاعتي** ».

قال : أخرجه أمة من الحفاظ وأئمة الحديث منهم :

١ - عبيد بن محمد أبو محمد الوراق ٢٥٥ (١) .

٢ - ابن أبي الدنيا القرشي ت ٢٨١ (٢) .

---

(١) قلت : لم أجد لهذا ترجمة ، وقد ذكر ابن أبي حاتم عبيد بن محمد بن يحيى العبيدي وهو أقدم من هذا ، فإنه روى عنه أبو حاتم وقال : ثقة ، وذكر الحافظ في التهذيب عبيد بن محمد المحاولي وقال: روى عن ابن أبي ذئب، له مناكير. وفي اللسان: عبيد بن محمد العبدي شيخ روى عن معتمر بن سليمان، وكل هؤلاء لا تنطبق تراجمهم على المذكور هنا ، فهو ت سنة ٢٥٥ وكان وراقًا إلا أن يكون هو الذي ترجمه في التقريب وقال : إنه من كبار العاشرة. وقال فيه : ضعيف ، فالله أعلم .

(٢) ابن أبي الدنيا هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن فسيان بن أبي الدنيا القرشي مولاهم صاحب التصانيف ، ولد سنة ٢٠٨ ومات سنة ٢٨١. التذكرة ص٦٧٧.

٣ - الدولابي المتوفي سنة ٣١٠ [١] .

٤ - محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١ .

٥ - محمد بن عمر أبو جعفر العقيلي ت سنة ٣٢٢[٢] .

٦ - القاضي المحملي البغدادي ت ٣٣٠[٣] .

٧ - الحافظ أبو أحمد بن عدي ٣٦٥ في الكامل.

٨ - أبو الشيخ عبد الله بن محمد الأنصاري ٣٦٩.

٩ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني ت ٣٨٥ في سننه .

١٠ - أبو الحسن الماوردي ت ٤٤٥ في الأحكام السلطانية.

١١ - الحافظ أبو بكر البيهقي ٤٥٨ في سننه، ١٢ - القاضي أبو الحسن الخلعي الشافعي ت ٤٩٢ في فوائده .

---

(١) الدولابي هو أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصاري الرازي الدولابي الوراق صاحب التصانيف ، ولد سنة ٢٢٤ وتوفي سنة ٣١٠ . ذكرة ص ٧٥٩ . قال الدارقطني : تكلموا فيه وما يتبين من أمره إلا خير . وقال ابن يونس . كان أبو بشر من أهل الصنعة ت في الوفيات وقال : توفي سنة ٣٢٠.

(٢) هو الإمام الحافظ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي صاحب التصانيف ، ومنها كتاب الضعفاء الكبير . توفي سنة ٣٢٢ . التذكرة ص٨٣٣.

(٣) القاضي المحاملي هو الإمام العلامة شيخ بغداد ومحدثها أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي ، ولد في ألو سنة ٢٣٥ وتوفي سنة ٣٣٠ التذكرة ص٨٢٤.

وقد عد خلقًا كثيرًا وحسب أن ذلك ينفعه في صحة الحديث كما هي عادته أن يعزو عزوًا مبتورًا ويعدد ويكثر العدد ليروج على الجهال مثله بذلك، ولم يعلم الجاهل أن الصحة تتوقف على السند لا غير، وإليك ما قاله أعلام هذا الفن في سنده:

ج - قلت : هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ فابن خزيمة بريء من عهدته وأشار إلى تضعيفه، حكى ذلك عنه السخاوي [1] في المقاصد الحسنة، وحكى الشوكاني ذلك عن المقاصد وأقره، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان في ترجمة موسى بن هلال قال فيه شيخ بصري يروي عن هشام بن حسان وعبد الله بن عمر العمري، قال أبو حاتم مجهول . وقال : العقيلي لا يتابع على حديثه، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به . . . وقد أطال الحافظ الكلام على الحديث، ونقل كلام ابن خزيمة فقال : إن ثبت الخبر فإن في القلب منه شيء إلى أن قال : ثم رواه عن الأحمسي كما تقدم وعن عبيد بن محمد الوراق عن موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقال بعده : أنا أبرأ من عهدة هذا الخبر، من رواية الأحمسي أشبه ، لأن عبيد الله ابن عمر أجل وأحفظ من أن

---

(١) السخاوي هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي الأصل القاهري المولد الشافعي المذهب ، ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١ وتوفي سنة ٩٠٢ . ش جـ ٨ ص١٥.

يروي هذا المنكر، فإن كان موسى بن هلال لم يغلط فيمن فوق أحد العمرين فيشبه أن يكون من حديث عبد الله بن عمر ، فأما من حديث عبيد الله فأنا لم أشك في أنه ليس من حديثه. قال ابن حجر: هذه عبارته بحروفها أي : ابن خزيمة . قلت : ويتبين من هذا كذب ودجل وتضليل المؤلف حيث قال ٤ - محمد بن إسحاق أبو بكر النيسابوري الشهير بابن خزيمة أخرجه في صحيحه. حيث أوهم القاريء أن ابن خزيمة صحيحه . وهذه خيانة في النقل وتضليل عن الحق يسأله الله عنها ، فإن ابن خزيمة كما ترى بريء من عهدته وحكم عليه بأنه منكر.

وقد ذكر الحافظ في المصدر المذكور أن الدولابي رواه في الكنى من طريق علي ابن معبد بن نوح قال : حدثنا موسى بن هلال قال: قال حدثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرحمن أخو عبيد الله، عن نافع عن ابن عمر. . . فذكره ، قال : فهذا قاطع للنزاع من أنه من المكبر لا عن المصغر، فإن المكبر هو الذي يكنى أبا عبد الرحمن ، قال : وقيل عبد الله بن عمر بالتكبير ضعيف ، وأخوه عبيد الله ثقة حافظ جليل، ثم قال : رواه الدارقطني عن المحاملي عن عبيد بن محمد الوراق فقال : عن موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر مكبرًا، فأورده عبد الحق من طريقه وسكت عليه ، فتعقبه ابن القطان ، وقال: الظاهر أنه لم يسكت عنه تصحيحًا ، وإنما تسامح فيه لأنه من

الحث والترغيب ، ثم ذكر كلامهم في موسى بن هلال وقال : الحق أنه لم تثبت عدالته ، قال : وذكر - يعني عبد الحق - أن البزار رواه أيضًا وإنما رواه البزار[١] من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف أيضًا، وفيه أيضًا عبد الله بن إبراهيم الغفاري وقد تكلموا فيه أيضًا قال : ولما ذكره العقيلي في الضعفاء، أورد هذا الحديث عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن جعفر بن محمد عن موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر وقال: لا يصح . وفي أسئلة البرقاني [٢] أنه سأل الدارقطني عن هلال فقال: مجهول. انتهى. اللسان جـ ٦ ص ١٣٤ .

فهذه أقوال رجال العلم وجهابذة الفن في موسى بن هلال وفي حديثه هذا، وقد اتضح بأن في الحديث ضعيفاً آخر هو عبد الله بن عمر العمري المكبر، ولعل موسى بن هلال هذا قصد رواج الحديث فدلسه عن عبيد الله بن عمر بدلاً من أخيه عبد الله بن عمر، ومن

---

(١) البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري ، صاحب المسند الكبير المعلل ، سمع هدبة بن خالد وعبد الأعلى بن حماد وطبقتهم . توفي سنة ٢٩٢ . تذكرة ٢/ ٦٥٣.

(٢) البرقاني هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي. ولد سنة ٣٣٦ سكن بغداد وبها مات سنة خمس وعشرين وأربعمائة . له كتاب المستخرج على الصحيحين وغيره . تذكرة ٣/ ١٠٧٤.

هذا ويتبين كذب هذا المؤلف، حيث زعم أن الحديث حسن أو صحيح، ولو صح لوجب الجمع بينه وبين حديث النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة الذي هو في أعلى درجات الصحة، بحمل هذا الحديث على ما لم يكن فيه شد رحل ، كما فعلوا في حديث: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة**» فإن ذلك محمول عند جميع العلماء المعتبر بقولهم على ما لم يكن فيه شد رحل ، فلو أن رجلاً شد الرحل من بلده ليزور قبراً في بلد آخر لكان عاصيًا ولو كانت الزيارة سنية ، أما إذا زار قبر رجل مسلم قريب منه أو مقبرة قريبة من بلده ، بحيث لا يحتاج في ذلك إلى شد رحل ، لكان ذلك جائزًا ومسنونًا إذا كانت الزيارة سنية ولقد كان النبي ﷺ يزور البقيع فيدعو للموتى ويترحم عليهم [1] ولم يعرف أنه شد رحلاً ليزور قبر أحد ، لقد استشهد كثير من أصحابه في أطراف البلاد ودفنوا في أماكنهم التي استشهدوا فيه، كشهداء بدر وشهداء بئر معونة وشهداء مؤتة وغيرهم، وعاش النبي ﷺ بعدهم زمنًا وحزن عليهم وكان يدعو لهم كثيرًا، ولم يعرف أنه شد رحلاً لزيارة قبر أحد منهم.

وهذه سنته واضحة كالنهار وبينه كالشمس، فمن زعم خلاف ما قلنا فليأت بدليل صحيح، أما الأحاديث المكذوبة والأخبار الموضوعة،

---

(١) انظر سنن النسائي جـ٤ ص٩١ وما بعدها : الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

فقد فضح الله واضعيها وهتك سترهم وبين كذبهم برجال الحديث النقاد، الذين أماطوا عن السنة كل دلس وكشفوا عنها كل لبس، حتى عادت بيضاء ناصعة كما تركها نبي الهدى ﷺ .

والمهم أنه على فرض صحة الحديث فليس فيه دليل على ما يدعيه مؤلف الرسالة من سنية شد الرحال بقصد زيارة القبور وإبطال حكم الحديث الآخر الذي نهى عن ذلك ؛ بل يجب أن يجمع بينهما بحمل هذا الحديث على ما لم يكن فيه شد رحل كما هي القاعدة الأصولية.

أما قبر النبي ﷺ فشد الرحل يكون إلى مسجده، وأول ما يدخل الزائر إلى المسجد لا إلى القبر، وشيخ الإسلام لا ينازع في ذلك ، بل قرره بنفسه ونقل الإجماع عليه من جميع الأمة، ومن زعم عليه أنه ينكر ذلك ويمنعه فقد كذب عليه، وقد نقلت من كلامه ما بين كذب من زعم عليه أنه يقول بالمنع مطلقًا.

نعم إن شيخ الإسلام وغيره من علماء السنة قالوا: لو فرض أن شخصًا قصد زيارة القبر مجردة عن زيارة المسجد فهو عاص ومبتدع، وهم في ذلك متبعون لحديث رسول الله ﷺ حيث يقول : « **لا تشد الرحال إلا ثلاث مساجد**» وإذ قد علمت أن الحديث لو صح لوجب الجمع بينه وبين غيره من الأحاديث الصحاح التي تعارضه، فاعلم أن الحديث مردود من جهات متعددة:

الأولى: أنه محـطم من جهة سـنده كماه عـلمت، فقد تـبرأ من عهدته ابن خـزيمة الذي يزعم مؤلف الرسالة أنه خرجه في صـحيحه وقال إنه منكر، وضعفـه الدولابي والعقيلي والدارقطني وابن القطان، وأنكر على ابن عـبد الحق سكـوته عنه، وضعـفه الحـافظ ابن حجـر والبرقاني وكلهم قالوا لا يصح، فكيف يسـوغ لأحد بعد هذا أن يقول إن الحـديث حسـن أو صحـيح؟ اللهم إلا أن يسـتـحل الكذب على رسول الله ﷺ .

الثانية : ومع أن الحديث محطم من جهة السند فهو أيضًا باطل من جهـة المتن، بل يكاد العارف بأحكام الشريعـة يجزم بأن النبي ﷺ لم يقله البتة، وكيف يتصور من النبي ﷺ أن يقول: «**من زار قبري وجبت له شـفاعتي**» وأن يعلق وجوب الشـفاعـة بمجرد الزيارة؟ وهو الذي يقول في الحديث الصحـيح جوابًا لأبي هريرة رضي الله عنه حين سأله: من أسـعد الناس بشـفاعـتك يا رسول الله ؟ فـقال: « **أسـعـد الناس بشفـاعتي يوم القـيامة من قـال لا إله إلا الله خالصًـا من قلبه**» [(١)] فعلق حصول شفـاعته على صفة الإخلاص ولم يعقلهـا على مجرد القول، لأن مجـرد القـول يحصـل مـن المـؤمـن والمنـافـق، أمـا الإخـلاص فـلا يحصـل إلا مـن المـؤمـن، ولمـا كـانـت زيـارة قبره يتصـور حصـولهـا مـن المؤمن والمنافق، فلا يعقل أن يعلق النبي ﷺ حصـول شفاعته على

(١) راجع صحيح البخاري جـ ١ رقم ٩٩ وجـ١١ رقم ٦٥٧٠ فتح .

مجرد وجودها .

وإذا كانت زيارته في حياته والجلوس معه وسماع كلامه لم ينفع المنافقين الذين كانوا يترددون عليه في حياته، بل ذمهم الله وعابهم وتوعدهم بالعذاب الأليم في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى : **﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾** [(١)] ، وقوله : **﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾** [(٢)]. فتبين أن الزيارة لا تنفع إلا من أخلص واستقام على شرعه وعمل بسنته .

الثالثة: أنه حديث ضعيف عارض الأحاديث الصحيحة، فوجب اطراحه والأخذ بما صح، ولا يجوز أن نأخذ ما لم يصح ونترك ماصح .

الرابعة: أن قوله ﷺ : « **لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[(٣)] يفيد منع التردد على

(١) سورة القتال الآية ١٦.

(٢) سورة براءة الآية ٦١ .

(٣) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند رجاله ثقات مخرج لهم في الصحيحين.

قبره ترددًا يترتب عليه اتخاذه عيدًا خوفًا من أن يعظم حتى يعبد، وهذا ما حذره النبي ﷺ على أمته وحذرهم منه ، ولعن اليهود والنصرى عليه ليعلم أصحابه أن عملهم ذلك باطل فيحذروه، ولا يجوز أبدًا أن ينهى عن اتخاذ قبره عيداً ويدعو الله بذلك ثم يأمرهم بزيارته، ويحثهم على التردد عليه، ويجعله موجباً لشفاعته، مع أن التردد هو معنى اتخاذه عيدًا، لأن العيد هو ما عاد عليك أو عدت عليه فالأعياد الزمانية تعود على الناس والأعياد المكانية يعود الناس عليها أي : يترددون عليها.

أفيليق بنبي الهدى ﷺ أن ينهى عن التردد على قبره ثم يأمر به ويحث عليه؟ أفيصح أن يصدر هذا التناقض ممن لا ينطق عن الهوى: ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (١) وهذا يؤكد لنا أن الحديث موضوع، والله أعلم.

---

(١) سورة النجم الآية ٤ .

الحديث: الثاني

٢ - قال : « الثاني: « من جاءني زائراً لا تعمله إلا زيارتي كان حقًا علي أن أكون له شفيعًا يوم القيامة » ، وفي لفظ : « لا تحمله إلا زيارتي» وفي أخرى : « لم تنزعه حاجة إلا زيارتي» وفي رابع : « لا ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله» وفي خامس للغزالي: «لا يهمه إلا زيارتي» أخرجه جمع من الحفاظ لا يستهان بهم وبعدتهم عن عبد الله ابن عمر منهم.

١ - الحافظ أبو علي ابن السكن ٣٥٣[1] .

٢ - الحافظ أبو القاسم الطبراني ٣٦٠[2] .

٣ - الحافظ أبو بكر المقري ٣٨١[3] .

---

(١) الحافظ ابن السكن هو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري صاحب التصانيف وأحد الأئمة ، توفي سنة ٣٥٣ ، وله تسع وخمسون سنة . الشذرات ج٣ ص١٢.

(٢) أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، كان مولده سنة ٢٦٠ وتوفي في ١٨/ ١١/ ٣٦٠ وله مائة سنة وعشرة أشهر . قال ابن العماد : وكان ثقة صدوقًا واسع الحفظ بصيرًا بالعلل والرجال . شذرات ٣/ ٣٠.

(٣) أبو بكر المقري هو الحافظ أحمد الحسيني بن مهران الأستاذ أبو بكر الأصبهاني النيسابوري المقريء العبد الصالح مجاب الدعوة، له كتاب الغاية في القراءات . توفي سنة ٣٨١ وله ست وثمانون سنة ش ٣/ ٩٨.

٤ - أبو الحسن الدارقطني [١] ٣٨٥ أخرجه في أماليه.

٥ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ٤٠٢ [٢] .

٦ - القاضي أبو الحسن الخلعي الشافعي ٤٩٢ [٣] .

٧ - حجة الإسلام الغزالي الشافعي ٥٠٥ [٤] .

٨ - الحافظ ابن عساكر ٥٧١ [٥] في تاريخ الشام.

---

(١) الدار قطني : هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي ، نسب إلى دار القطن ببغداد، الحافظ الكبير، انتهى إليه معرفة الحديث. وكان يدعى أمير المؤمنين فيه. توفي سنة ٣٨٥هـ عن ٨٠ سنة النبلاء جـ ١٦/ ٤٤٩ الحديث.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ الصوفي الأحول الشافعي ، مصنف حلية الأولياء ، وغيره ، تفرد بعلو الإسناد في وقته مع الحفظ . توفي سنة ٤٣٠ ، وله ٩٤ سنة ش٢٤٥.

(٣)أبو الحسن الخلعي علي بن الحسن المصري الشافعي ، فقيه له تصانيف ولي القضاء يومًا ثم استعفى منه وانزوى في بيته ، كان يوصف بدين . توفي سنة ٤٩٢ . شذرات ٣/ ٣٩٨.

(٤) حجة الإسلام الغزالي هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي أبو حامد الصوفي المشهور صاحب الإحياء ، ولد سنة ٤٥٠ ونشأ يتيمًا ولكنه كان عظيم الذكاء سريع البادرة متوقد الذهن ، لازم إمام الحرمين وبه تخرج . توفي سنة ٥٠٥ ش ٤/ ١٠.

(٥) الحافظ ابن عساكر هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي محدث الشام وإمام أهل الحديث في زمانه صاحب التصانيف ، منها تاريخ دمشق وغيره ، توفي سنة ٥٧١ . شذرات الذهب جـ٤ ص٢٣٩.

ثم ذكر عددًا على عـادته ، ولا أدري لماذا لم ينقل عن البخاري وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأبي داود والنسائي وأمثالهم ، ولم أعرضوا عن هذه الأحاديث، هذا ما سترى جوابه في الرد الآتي.

ج - قـال الشيخ مـحمـد بن أحمـد بن عـبد الهـادي الحنبلي المقدسي[1] رحـمه الله في كـتـابه (الصارم المـنكي في الرد على ابن السـبكي) قلت : هذا الحديث ليس فـيه زيارة القـبر ولا الزيارة بـعد الموت، مع أنه حديث ضعيف الإسناد مـنكر المتن لا يصلح للاحتجاج به ولا يجـوز الاعتمـاد على مثـله، ولم يخرجـه أحد من أصحاب الكتب الستة ولا رواه أحمد في مسنده ولا أحد من الأئمة المعتمد على ما أطلقوه في روايتهم ، ولا صحح إمام يعتـمد على تصحيحه، وقد تفرد به هذا الشيخ الـذي لم يعرف من حاله ما يوجب قبـول خبره، وهو مسلمة بن سالم الجهني، الـذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر ، وحديث آخر مـوضوع ذكره الطبراني بالإسناد المتـقدم ومتنه: **«الحـجـامـة في الرأس أمـان من الجنون والجـذام والبـرص والنعـاس والضرس»** وروى حديثًا آخر منكرًا عن غير العبادي.

(١) ابن عبد الهادي هو الإمام الأوحد المحدث الحـافظ الحاذق الفقيه المقريء النحوي ذو الفنون محمد بن أحمد بن عـبد الهادي أحد الأذكياء ، ولد في رجب سنة ٧٠٥ أو ٧٠٦ أخذ على ابن عـبد الدايم ثم لازم أبا الحجاج المزي قـريبًا من ٢٠ سنة . توفي سنة ٧٤٤ وله ٣٨ أو ٣٩ سنة . ش جـ٦ ص١٤١ .

وإذا تفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيد الله بن عمر، أثبت آل عمر بن الخطاب في زمانهم وأحفظهم [١] عن نافع عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين والأثبات المتقنين، علم أنه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره ولا يجوز الاعتماد على روايته.

هذا مع أن الراوي عنه، وهو عبد الله بن محمد العبادي أحد الشيوخ الذين لا يحتج بما تفردوا به ، قد اختلف عليه في إسناد الحديث، فقيل : عنه عن نافع عن سالم كما تقدم ، وقيل : عنه عن نافع وسالم ، وقد خالفه من هو أمثل منه وهو مسلم ابن حاتم الأنصاري ، وهو شيخ صدوق ، فرواه عن مسلمة بن سالم عن عبد الله ابن عمر - يعني العمري - عن نافع عن سالم عن ابن عمر . اهـ .

قلت : وبهذا يعلم أن الحديث عن عبد الله بن عمر المكبر الضعيف وليس عن عبيد الله بن عمر المصغر الإمام الثبت ، ولكن

(١) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الحافظ الثبت ، روى عن أم خالد بنت خالد الصحابية حديثًا واحدًا ، وروى عن جلة التابعين كسالم ونافع والقاسم بن محمد والزهري وغيرهم. وعنه شعبة والسفيانان وغيرهم ، قال ابن معين : عبيد الله عن القاسم عن عائشة الذهب المشبوك بالدر، توفي سنة ١٤٧ التذكرة ١/ ١٦٠.

الوضاعين الذين يريدون نفاق سلعتتهم يحبون دائمًا أن يحولوا السند إلى المصغر ليوهموا صحته.

وقد أبقى الله لهم من حذاق الحديث ونقاده الذين أنار الله بصائرهم فكانوا كمهرة الصيارفة، أبقاهم الله حتى ميزوا الصدق من الكذب والحق من الباطل.

وبالجملة فقد أطال ابن عبد الهادي الكلام في رد الحديث، وما سبق هو الزبدة، إلا أنه ذكر أن المحفوظ عن ابن عمر الذي رواه عنه الثقات الأثبات حديث: «**لا يصبر على لأوائها أحد إلا كنت له شيهداً أو شفيعًا يوم القيامة**» يعني: المدينة، وذلك أن الصبر على عيشها النكد رغبة في عمارة دار هجرته ﷺ وحبًا في مضاعفة الصلاة في مسجده أمر لا يدفع إليه إلا الإيمان والإخلاص، فلذلك كان موجبًا لشفاعته، وليس في شيء من المحفوظ ذكر الزيارة.

قال ابن عبد الهادي رحمه الله بعد سرد الروايات المحفوظة: وليس في شيء من هذه الروايات التي تقدم ذكرها عن نافع وغيره عن ابن عمر ذكر زيارة القبر، ولا قوله: «**من جاءني زائراً لا ينزعه حاجة إلا زيارتي**» فعلم أن ماروواه مسلمة بن سالم وموسى بن هلال شاذ غير محفوظ.

الحديث الثالث

٣ - قال: الثالث: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي». عن عبد الله بن عمر، قال: أخرجه جمع من الحفاظ منهم:

١ - الحافظ عبد الرزاق الصنعاني ت٢١١[1] .

٢ - الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان ٣٠٣[2] .

٣ - الحافظ أبو يعلى الموصلي ٣٠٧[3] .

٤ - الحافظ أبو القاسم البغوي ٣١٧ [4] .

---

(١) عبد الرزاق هو ابن همام أبو بكر الصنعاني الحافظ العلامة ، روى له الجماعة ووثقه غير واحد إلا أنهم نقموا عليه التشيع . توفي سنة ٢١١ وله بضع وثمانون سنة ترجمه ش٢/ ٢٦.

(٢) الحسن بن سفيان النسوي أبو العباس صاحب المسند، كان حافظًا ، عرضت عليه أحاديث مقلوبة فردها . توفي سنة ٣٠٣ ترجمه ش جـ٢ ص ٢٤١.

(٣) أبو يعلى الموصلي هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الحافظ صاحب المسند، كان ثقة صالحًا متقنًا . توفي سنة ٣٠٧ وله تسع وتسعون سنة النبلاء جـ١٤ / ١٧٤.

(٤) أبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، إليه انتهى علو الإسناد لأنه سمع في الصغر ، وكان أول سماعه سنة ٢٢٥ . توفي سنة ٣١٧ وله ١٠٣ سنوات ترجمه ش٢/ ٢٧٥.

٥ - الحافظ أبو القاسم الطبراني.

٦ - الحافظ أبو أحمد بن عدي في الكامل [١].

٧ - أبو بكر محمد بن المقري.

٨ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني.

٩ - الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه.

١٠ - الحافظ ابن عساكر في تاريخه.

١١ - الحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام.

١٢ - ابن النجار ٦٤٣[٢] في تاريخ المدينة.

١٣ - أبو الحجاج يوسف بن خليل.

١٤ - أبو محمد الدمياطي[٣].

١٥ - أبو الفتح الحداد.

---

(١) ابن عدي الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عـدي بن عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن القطان الجرجاني ، مصنف كتاب الكامل ، ولد سنة ٢٧٧ ، وتوفي سنة ٣٦٥ . ترجمه ش ٣/ ٥١ .

(٢) ابن النجار هو أبو الحسن علي بن أبي عبد الله الحسيني بن علي بن منصور البغدادي الحنبلي النجار . ولد سنة ٥٤٥ وتوفي سنة ٦٤٣ . ترجمه ش ٥/ ٢٢٣.

(٣) الدمياطي هو حافظ الوقت العلامة شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي ولد ٦١ وتوفي سنة ٧٠٥. ترجمه ش٦/ ١٢.

ثم ذكر الخطيب التبريزي وغيره كما هي عادته في الإكثار من العزو.

ج - قلت : أخرجه البيهقي وقال : تفرد به حفص وهو ضعيف: قلت : وفي سنده أيضًا ليث بن أبي سليم وهو ضعيف . قال فيه الحافظ في التقريب : ليث ابن أبي سليم بن زنيم مصغرًا: صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز فترك ، وقال في التهذيب: قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث ، وقال أيضًا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسواء منه رأيًا في ليث بن أبي سليم وابن إسحاق وهمام، ولا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم . وقال عثمان بن أبي شيبة: سألت جريرًا عن ليث ويزيد بن أبي زياد وعطاء بن السائب فقال : كان يزيد أحسنهم استقامة ثم عطاء وكان ليث أكثر تخليطًا . قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن هذا فقال : أقول كما قال.

وقال مؤمل بن الفضل: قلنا لعيسى بن يونس: لَمَ لْم تسمعْ من ليث؟ قال: قد رأيته وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة ارتفاع النهار فيؤذن. وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم، تركه ابن القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد وقال الترمذي في العلل الكبير: قال محمد: كان أحمد يقول:

ليث لا يفرح بحديثه قال محمد: وليث صدوق يهم. وقال الحاكم أبو أحمد ليس بالقوي عندهم، وقال الحاكم أبو عبد الله مجمع على سوء حفظه.

وقال الجوزجاني: يعضف حديثه.

وقال البزار: كان أحد العباد إلا أنه أصابه اختلاط فاضطرب.

وقال : ابن معين منكر الحديث.

وقال الساجي : كان أبو داود لا يدخل حديثه في في كتاب السنن الذي ضعفه.

وقال الساجي : كان أبو داود لا يدخل حديثه في كتاب السنن الذي ضعفه، كذا قال : وحديثه ثابت في السنن لكنه قليل[١] . انتهى.

قلت : الذي أعرف أن أبا داود أخرج لليث هذا حديثًا واحدًا في سننه وقال : ولم أخرج في كتابي هذا عن ليث غير هذا الحديث ، والله أعلم.

وبهذا يتبين أن الحديث ضعيف جدًا، ولهذا ضعفه الألباني في المشكاة.

---

(١) تهذيب ص٤٦٥.

الحديث الرابع

٤ - قال : رابعًا : «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني »عن عبد الله بن عمر . قال : أخرجه جمع منهم:

١ - الحافظ ابن حبان في الضعفاء ت٣٥٤[1] .

٢ - ابن عدي في الكامل.

٣ - الحافظ الدارقطني في أحاديث مالك.

٤ - تقي الدين ابن السبكي.

٥ - السيد نور الدين السمهودي٩١١[2] .

٦ - أبو العباس القسطلاني ٩٢٣ في المواهب.

٧ - الشيخ إسماعيل الجراحي العجلوني.

---

(١) ابن حبان هو العلامة البحر أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي الشافعي، صاحب الصحيح والضعفاء ، توفي سنة ٣٥٤ وهو في عشر الثمانين . ترجمه ش٣/ ١٦ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى . يتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالسمهودي، ولد في صفر سنة ٨٤٤ بسمهود وتوفي سنة ٩١١ ترجمه ش جـ٨/ ٥٠ .

٨ - السيد المرتضى الزبيدي ١٢٠٥[1] في تاج العروس.

٩ - الشيخ محمد بن علي الشوكاني في نيل الأوطار.

قلت : -هذه عادة مؤلف هذه الرسالة! يعزو ويكثر العزو ولا ينقل كلام من يعزو إليه، لأنه لو نقل كلامهم لافتضح، ولكنه ينقل نقلاً مبتوراً، وهؤلاء الذين ينقل عنهم بعضهم يخرجه لبيان ضعفه، ولعل الكتاب الذي يخرجه فيه ألف لبيان الضعيف أو لبيان الضعفاء من الرواة، كالكامل لابن عدي، والضعفاء لابن حبان، والضعفاء للعقيلي، وبعضهم حاطب ليل ينقل بدون تمييز!

وهذا الحديث موضوع، فقد ذكر الشوكاني في الأحاديث الموضوعة حديث : «**من لم يزرني فقد جفاني**» ونقل عن السيوطي أنه حكم عليه بالوضع، وأقره الشوكاني وقال : وكذا قال الزركشي[2] وابن الجوزي أي : أن كل هؤلاء حكموا عليه بأنه موضوع، فأي خيانة للإسلام

---

(١) السيد مرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، لغوي نحوي محدث أصولي ناظم ناثر أديب . ولد في سنة ١١٤٥ ، وتوفي سنة ١٢٠٥ . معجم المؤلفين ١١/ ٢٨٢.

(٢) الزركشي هو الإمام العلامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي مذهبًا ، ولد سنة ٧٤٥ وتوفي سنة ٧٩٤ كان ، فقيهاً أصوليًا أديبًا فاضلاً منقطعًا إلى العلم لا يشتغل بغيره رحمه الله ألف كتبًا كثيرة منها : البرهان في علوم القرآن . . . وغيره الدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري ٢/ ٦٠٩.

والمسلمين أن يأتي الرجل بحديث موضوع فيضعه في مؤلف ليدعو به إلى باطل ويموه على المسلمين بكثرة عدد من أخرجوه في كتبهم موهمًا لهم بأن إخراج هؤلاء له يدل على صحته وهو في ذلك كاذب؟ وقد قال النبي ﷺ «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» وفي رواية: «**ومن روى حديثًا يعلم أنه كذب فهو أحد الكذابين**» والله أعلم.

الحديث الخامس

٥ - قال خامسًا: «**من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعًا أو شهيدًا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل من الآمنين يوم القيامة**» عن عمر . قال أخرجه.

١ - أبو داود الطيالسي[1] .

٢ - أبو نعيم الأصبهاني.

٣ - البيهقي في السنن الكبرى.

٤ - ابن عساكر في تاريخ الشام.

---

(١) أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي البصري . ثقة حافظ ، غلط في أحاديث ، من التاسعة اهـ . تقريب (١/ ٣٢٣ مات سنة ٢٠٤ .

٥ - أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي.

٦ - ابن السبكي.

٧ - السمهودي

٨ - القسطلاني في المواهب.

٩ - ابن الديبع في تمييز الطيب[١] .

١٠ - المناوي في كنوز الحقائق[٢] .

١١ - العجلوني في كشف الخفاء[٣] .

الحديث السادس

٦ - قال : السادس: **«من زارني بعد موتي فكأنما زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين».**

---

(١) ابن الديبع هو الحافظ وجيه الدين أبو محمد عبد الرحمن بن علي الشيباني العبدري الزبيدي الشافعي، ولد في المحرم سنة ٨٦٦ وتوفي سنة ٩٤٠ ترجمه ش٨ ص٢٥٥.

(٢) عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير شرحه شرحًا بسيطًا وشرحًا مختصرا وشرح الشهاب وشرح آداب القضاء وآداب الصوفية وغير ذلك . توفي سنة ١٠٢٩ أو أوفي التي بعدها ، ولم أقف له على ترجمة مبسوطة . البدر الطالع جـ١ص٣٥٧.

(٣) العجلوني هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني مؤلف كشف الخفاء ، ولد سنة ١٠٨٧ وتوفي سنة ١١٦٢ ترجمه في الأعلام للزركلي ٨/ ٣٢٥.

عن حاطب [١] قال أخرجه.

١- الدارقطني في السنن.

٢ - البيهقي.

٣ - ابن عساكر.

٤ - أبو الحجاج يوسف بن خليل.

٥ - عبد المؤمن الدمياطي ت ٧٠٥ .

٦ - ابن الحاج العبدري ت ٧٣٧ في المدخل [٢] .

٧ - ابن السبكي في شفاء السقام.

---

(١) هو الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة ، صحابي من أهل بدر ، نسبه في لخم وعداده في قريش كان حليفاً لبني أسد وقيل مولى لبعضهم، نزل فيه أول الممتحنة لما كتب إلى قريش بمسير رسول الله ﷺ إليهم فاستأذن عمر في قتله ، فقال رسول الله ﷺ : « **إنه من أهل بدر** » الحديث وقصته ثابتة في الصحيحين من طريق علي ابن أبي طالب ﷺ . توفي سنة ٣٠ في خلافة عثمان . الإصابة ١/ ٢٩٩الاستيعاب مع الإصابة جـ١/ ٣٤٧ الجرح والتعديل ٢/ ٣٠٣.

(٢) هو الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج . قال : كان فاضلاً عارفًا صحب أرباب القلوب ، منهم أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة .

قلت : ولعله من جهتهم أتي له هفوة فظيعة ستراها فيما بعد . توفي سنة ٧٣٧ نقلت عن ترجمة له في أول كتابه المدخل نقلاً عن كشف الظنون وطبقات الشعراني وحسن المحاضرة.

٨ ـ شعيب حريفيش ت ٨٠١ في الروض الفائق[٢].

٩ - نور الدين السمهودي.

١٠ - القسطلاني.

١١ - العجلوني.

١٢- الشوكاني ت ١٢٥٠ [٣].

١٣ - محمد درويش الحوت البيروتي.

ج - قلت : الأول لا يصح ، فيه رجل من آل عمر مجهول، ومداره على هارون ابن أبي قزعة أورده في لسان الميزان وقال : قال البخاري : لا يتابع عليه. ثم أورد حديث حاطب من طريقه عن رجل من آل حاطب مرسلاً «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين...**»الحديث وقال: قال الأزدي: هارون ابن أبي قزعة يروي عن رجل من آل حاطب المراسيل. قال: وقد

---

(٢) شعيب الحرفوش أو الحريفيش وهو عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري ثم المكي ، كان رجلاً عالمًا زاهدًا صوفيًا واعظًا مشهورًابالخير . توفي سنة ٨٠١. ترجمه في ش جـ١ ص٧.

(٣) هو الشيخ العلامة والبحر الفهامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني قاضي قضاة القطر اليماني، له كتاب نيل الأوطار وفتح القدير وغيرهما من المؤلفات النافعة. توفي سنة ١٢٥٠ رحمه الله البدر الطالع جـ ٢/ ٢١٤.

قال: وقد ضعفه أيضاً يعقوب بن شيبة[١] وذكره العقيلي والساجي[٢] وابن الجارود في الضعفاء[٣] وأورد العقيلي حديثه من طريق الجندي اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو داود الطيالسي في مسنده من طريق سوار ابن ميمون العبدي عن رجل من آل عمر عن عمر. وقد فتشت عن سوار هذا في التهذيب واللسان والجرح والتعديل لابن أبي حاتم فلم أجد له ترجمة[٤] وقد أخرجه البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي

---

(١) يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور الحافظ العلامة أبو يوسف السدوسي البصري نزيل بغداد، صاحب المسند الكبير المعلل ، ما صنف مسند أحسن منه ولكنه ما أتمه، قيل إن مسند أبي هريرة منه في مائتي جزء، توفي في ربيع الأول سنة ٢٦٢ . تذكرة ٢/ ٥٧٧.

(٢) الساجي هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري المعروف بالساجي أبو يحيى . فقيه محدث ، من تصانيفه اختلاف الفقهاء وعلل الحديث. توفي سنة ٣٠٧ معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ١٨٤ وترجمه الذهبي في التذكرة وقال : أخذ عنه أبو الحسن الأشعري تحرير مقالة أهل الحديث . تذكرة ص٧٠٩.

(٣) ابن الجارود صاحب المنتقى ، هو أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ الإمام الناقد . توفي سنة ٣٠٧ وكان من العلماء المتقنين رحمه الله التذكرة ٧٩٤.

(٤) وقد ذكر في اللسان سند المحاملي والساجي وسماه الأسود بن ميمون فينظر وذكر ابن عبد الهادي أنهم اضطربوا فيه فتارة يسميه بعض الرواه سوار بن ميمون ويقلبه=

بإسقاط هارون ابن أبي قزعة وقال : هذا إسناد مجهول: وبهذا يتأكد للقاريء كذب المؤلف ومغالطته وتضليله من ناحيتين:

الأولى: أنه نقل عن العجلوني أنه نقل عن الوهبي أنه قال إن هذا الحديث من أجود أحاديث الباب إسنادًا ، لأن أجود اسم تفضيل من جيد، وليس في أحاديث الباب شيء جيد البتة.

الثانية: أنه عدد الذين أخرجوه ولم ينقل كلامهم، موهمًا للقاريء أنهم أخرجوه مصححين له ! وهذه خيانة في النقل يسأله الله عنها.

أما قوله : «**ومن مات في أحد الحرمين جاء يوم القيامة من الآمنين**» .

فقد جاء هذا المعنى في عدة أحاديث كلها حكم عليها ابن الجوزي بالوضع، منها حديث سلمان الفارسي[1] مرفوعًا . ، «**من مات في**

=بعضهم فيقول ميمون بن سوار ويسميه بعضهم الأسود بن ميمون ولا يرتاب من عنده أدني معرفة بعلم المنقولات أن مثل هذا الاضطراب الشديد من أقوى الحجج وأبنى الأدلة على ضعف الخبر وسقوطه ورده وعدم قبوله اهـ . صارم ص ١٥٠ .

(١) سلمان الفارسي هو سلمان بن الإسلام وسلمان الخير . أصله من رامهرمز وقيل من أصبهان ، الصحابي المعمر، خرج من بلده يبحث عن دين صحيح فصحب جماعة من الرهبان كل واحد يوصيه بآخر حتى أوصاه الأخير بالنبي ﷺ ووصف له مهاجره ، فاستأجر من أهل عير من العرب أن يوصلوه إلى الجزيرة فباعوه في وادي القرى ، ثم بيع في المدينة فسمع بقدوم النبي ﷺ فأتاه وتعرف على علامات النبوة فيه ثم أسلم ، ولم يحضر بدرًا ولا أحدًا ، وكان أول مشاهده الخندق وكان بمشورته ، توفي في آخر خلافة عثمان . الإصابة ٢/ ٦٠ الاستيعاب ٢/ ٥٣ أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥ .

أحد الحرمين استوجب شفاعتي وجاء يوم القيامة من الآمنين».

عزاه الشوكاني لابن شاهين وقال : في سنده عبد الغفور بن سعيد وضاع. قال : وروي من حديث جابر بسند فيه موسى بن عبد الرحمن ، وضاع.

وتعقب السيوطي ابن الجوزي فقال في (اللآليء المصنوعة) : أفرط ابن الجوزي في إيراد هذين الحديثين في الموضوعات وقد أخرجهما البيهقي واقتصر على تضعيف إسناديهما، والذي أستخير الله فيه الحكم بحسن متن الحديث لكثرة شواهده. . . ثم ذكر حديث عمر وحاطب، وقد عرفت ما فيهما. قال: ومن حديث ابن عمر وأنس أخرجهما الجندي، ومن حديث محمد بن قيس بن مخرمة[٢] أخرجه الجندي [٣] أيضًا. قال الشوكاني في الأحاديث الموضوعة ص١١٥ وأقول: ابن الجوزي حكم بالوضع لكون في الإسنادين وضاعين فلا يفيده ورود الحديث من طرق أخرى، ولا سيما إذا كان من طريقيهما أو أحدهما ، فمن كذب على النبي ﷺ من طريق صحابي لا

(١) محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب المطلبي يقال له رؤيه ، وقد وثقه أبو داود . أخرج له مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود في المراسيل تقريب ٢/ ٢٠٢.

(٢) الجندي لعله يوسف بن يعقوب المعروف البهاء الجندي أبو عبد الله . من قضاة اليمن توفي في حدود سنة ٧٢٣ . له كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ، معجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٣٤٤.

يعجزه أن يكذب عليه من طريق غيره، وأنا أستخير الله وأحكم بعدم صحة هذا المتن عن رسول الله ﷺ وبعدم حسنه حتى يأتي البرهان بإسناد تقوم به الحجة، وأحاديث الوضاعين وإن بلغت في الكثرة كل مبلغ، لا يشهد بعضها لبعض ولا تستحق إطلاق الحسن عليها، وقد اعترف صاحب (اللآليء) بأن جميع طرق هذا المتن لا تخلو من وضاع أو متروك، كما صرح به في وجيزه بعد سياقها اهـ.

وقال عبد الرحمن المعلمي[1] في تعليقه على كلام الشوكاني المتقدم: أما الخبر عن عمر وحاطب فهما خبر واحد اضطربوا فيه. راجع (الصارم المنكي) ص ٨٤ إلى ١٠٨ . وقال في ص ٩٠: حكم عليه بالوضع وعدم الصحة لأمور متعددة وهي : الاضطراب والاختلاف والانقطاع والجهالة والإبهام. انظر ترجمة هارون بن أبي

(١) عبد الرحمن المعلمي ، هو عبد الرحمن بن يحيى العتمي اليمني المعلمي عالم سلفي المذهب سني العقيدة . ولد في بلدة المحافزة من مخلاف رازح اليمن سنة ١٣١٣ ودرس في بلده وفي بيت الريمي وفي صنعاء ، ثم رحل إلى جيزان في سنة ١٣٢٩ فالتحق بخدمة السيد محمد الإدريسي ، حيث عينه رئيسًا للقضاة فبقي على ذلك حتى توفي الإدريسي سنة ١٣٤١ فرحل إلى عدن ومكث بها سنة . ثم رحل إلى الهند سنة ١٣٤٢ واشترك في المجمع العلمي هناك وشارك في تحقيق كثير من الكتب فنفعه الله بذلك ، ثم انتقل إلى مكة سنة ١٣٧٠ فعين أمينًا لمكتبة الحرم فأقام فيها يحقق ويؤلف ، وأهم مؤلفاته : التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل مجلدين ضخمين، وهو كتاب عظيم لا يستغني عنه طالب علم. انظر ترجمته في مقدمة التنكيل.

قزعة في (لسان الميزان) .

وأما الخبر عن أنس فذكره عن البيـهقي عن الحاكم ساقه بسند فيه من لم أعرفه عن ابن أبي فديك: حـدثنا سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس. وسليمان هذا هو أبو المثني الكعبي ترجمته في كتاب (التهذيب) قال أبو حاتم: منكر الحـديث . وذكره ابن حبان في الثـقات ثم ذكره في الضعفـاء وحط عليه ، قال ابن حجـر: وقال - يعني الدارقطني- في العلل : سليـمان بن يزيـد ضعـيف، وقعت روايتـه عن أنس في كتـاب (القبـور) لابن أبي الدنيا، وقـيل: إنه لم يسمع مـنه. أقول: سائر المسمين من شيوخه متأخرون عن أنس ، فالظاهر أنه لم يدركه.

وأما الخبر عن ابن عمر وكأن الذي ذكره ابن الجوزي عقب هذا عن الفاكهي[١] عن الحكم عن محمد بن إسماعيل الصائغ[٢] حدثنا عبد الله ابن نافع الصائغ، حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «**من مـات بين الحرمين حـاجًا أو مـعتمـرًا ، بعثـه الله بلا حساب عليه ولا عذاب**».

---

(١) الفاكهي هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي مؤرخ له تاريخ مكة . توفي سنة ٢٧٢ . معجم المؤلفين لعمر كحالة ٩/ ٤٠ .

(٢) محمد بن إسماعيل الصائغ الكبيـر أبو جعفر البغدادي نزيل مكة صدوق من الحادية عشرة . مات سنة ٢٧٦ . وله ٨٨ سنة تقريب ٢/ ١٤٥ .

قال ابن الجوزي: لا يصح ، عبد الله بن نافع ضعفه البخاري وابن معين والنسائي وتعقبه في (اللآليء) . . إلى أن قال : وقال الإمام أحمد في عبد الله بن نافع الصائغ: كان يحفظ حديث مالك كله ثم دخله بآخرة شك.

وقال أيضًا : لم يكن صاحب حديث، كان ضعيفًا .

وقال البخاري: في حفظه شيء ، فأما الموطأ فأرجو .

وقال أيضًا : تعرف حفظه وتنكر ، وكتابه أصح ، وتكلم آخرون في حفظه فهو سيء الحفظ ، وعرض له بآخرة شك ، وسمع منه محمد بن إسماعيل بآخرة وهو صغير.

إلى أن قال : وفي ترجمة عبد الله بن نافع من الميزان أنكر ماله ما رواه محمد بن إسماعيل الصائغ ، إنما ولد بعد لقيه : حدثنا فذكر هذا الخبر، ثم قال : ساقه ابن الجوزي في الموضوعات فلم ينصف.

وقوله : إنما ولد بعد لقيه ، كأنها مقحمة من النساخ أو محرفة.

وعلى كل حال فلا يصح هذا الخبر عن مالك. اهـ. وقوله إنما ولد: بعد لقيه لعل الصواب بعد موته.

قلت: هذا الخبر لا يصح أبداً لأنه يخالف المقطوع بثبوته من الكتاب والسنة وإجماع الأمة أن مجرد الموت بأحد الحرمين لا ينجي أحدًا من العذاب، ولا يكون موجبًا للأمن منه، والله سبحانه وتعالى

يقول: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ (١) فعلق الأمن على شيء خلاف الموت بأحد الحرمين، وهو الإيمان أولاً، وعدم لبس الإيمان بالظلم ثانيًا.

وقد روى البخاري في كتاب التعبير باب رؤيا العين الجارية في المنام من طريق خارجة بن زيد (٢) بن ثابت عن أم العلاء(٣) وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله ﷺ قالت: طار لنا عثمان بن مظعون(٤) في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين فاشتكى، فمرضناه حتى توفي، ثم جعلناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ! قال : « **وما يدريك؟** » قلت : لا أدري والله، قال : « **أما هو فقد جاءه اليقين ، إني لأرجو له الخير ، والله ما**

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٢.

(٢) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو زيد ، ثقة فقيه ، بل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. مات سنة ١٠٠ وقيل قبلها ، روى له الجماعة . تقريب ١/ ٢١٠.

(٣) أم العلاء هي والدة خارجة بن زيد الراوي عنها . ترجمها في الإصابة ٤/ ٤٥٦ وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٤٥٢ ولم يذكر وفاتها.

(٤) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي أبو السائب . كان إسلامه بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ، ثم هاجر إلى المدينة وتوفي بها في السنة الثالثة ، وقبله النبي ﷺ بعد موته وأعلم النبي ﷺ قبره وقال : « **أدفن إليه من مات من أهلي** » ترجمه في سير أعلام النبلاء ١/ ١٥٣.

أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» . قالت أم العلاء: فوالله لا أزكي أحدًا بعده. قالت: ورأيت لعثمـان في النوم عينًا تجري فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : «**ذاك عمله يجري له**»[1] .

فهذا عثمان بن مظعون أحد السابقين الأولين إلى الإسلام أبلى في الله بلاء حسنًا فصبر وهاجر إلى الحـبشة الهجرة الأولى ثم هاجر إلى المدينة ومات فيها، فلما مات وقالت أم العلاء شهادتي «عليك» أبا السائب لقد أكرمك الله، قال لها النبي ﷺ: «**وما يدريك**»؟ ولقد كان يكفيه مـوته في المدينة وهي أحد الحـرمين أن يكون آمنًا من العـذاب لوصح هذا الخـبر. ولكن إنكار النبي ﷺ على أم العـلاء في قولهـا هذا وقوله: «**والله مـا أدري وأنا رسول الله مـا يفـعل بي ولا بكم**»كل ذلك يدل دلالة واضحة أن الحديث مكذوب ومـختلق، وما هذا وأمثاله إلا من وضع أعـداء الدين ليـصـدوا المسلمين عن الـعمل ويـتكلوا على التـرهات والمخارق الزائفـة التي لا حقـيـقة لهـا، فلقد مـات بالمدينة منافقون ويهود فلم ينفعهم موتهم بالمدينة ولـم ينجهم من العذاب.

ولقـد أخبـر النبي ﷺ عن بعض المسلمين الذين مـاتوا ودفنوا بالمدينة أنهم عذبوا بسبب معاص من نوع الكبائر . ففي الصحيحن أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما**

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٧٠١٨.

أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[١]

ولو كان هذا الحديث صحيحًا لكان صاحبًا القبرين بمنجاة من العذاب، لأنهما ماتا بأحد الحرمين وهي المدينة، ولكن يتضح من هذه الأحاديث الصحيحة أن الحديث موضوع. والله أعلم.

الحديث السابع

٧ - قال: السابع حديث: **«من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه»** عن عبد الله بن عمر.

قال: أخرجه الحافظ محمد بن الحسين أبو الفتح الأزدي[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب: من الكبائر ألا يستتر من بوله، رقم الباب ٥٥ عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما الحديث. وأخرجه مسلم في آخر كتاب الوضوء رقم ٢٩٢ عن ابن عباس أيضًا وأخرجه النسائي ج١ ص ٢٨ باب التنزه من البول.

(٢) أبو الفتح الأزدي هو محمد بن الحسين بن يزيد أبو الفتح الأزدي الموصلي الحافظ. حدث عن أبي يعلى الموصلي والباغندي وطبقتهما، وله كتاب كبير في الجرح عليه فيه مؤاخذات. قال أبو النجيب الأرموي: رأيت أهل الموصل يوهنون أبا الفتح ولا يعدونه شيئاً، وقال الخطيب: في حديثه مناكير. وقال الأرموي أيضاً ومحمد بن صدقة الموصلي قدم أبو الفتح بغداد على الأمير فوضع له حديثًا فأجازه=

المتـوفي سنة ٣٧٤ في فـوائده ، ورواه عنه الحافـظ السلفي أبو طاهر الأصبهاني ت سنة ٥٧٦ بإسناده وأخـرجه بالطريق المذكور تقي الدين السبكي، وذكره السيد السمهودي ، والشيخ محمد بن علي الشوكاني في نيل الأوطار ج٤ ص٣٢٦ .

ج - هكذا قال عن عـبد الله بن عـمر وإنما هو عن عـبد الله بن مسعود. وهذا من جهل المؤلف، فإنه لما رآه عن عبد الله ظنه عبد الله ابن عمر، ولم يميز بين أصحاب ابن عمر وأصحاب ابن مسعود لجهله بعلم الحديث.

ثم الحديث رواه أبو الفتح الأزدي في الثاني من فوائده كما يقول ابـن عبـد الهـادي رحمـه الله: حـدثنـا النعمـان بـن هـارون بـن أبي الدلهات حدثنا، أبو سـهل بدر بن عبد الله المصيـصي، حدثنا الحسن بن عثمان الزيادي، حـدثنا عمار بن محمد ، حدثني خـالي سفيان، عن منصور[1] عن إبراهيم عن علقمة[2] عن عبد الله قال : قال رسول

=وأعطاه دراهم كثيرة .

وقال ابن النديم في تاريخ حلب : قدم على سيف الدولة ابن حـمدان فأهدى له كتابًا في مناقب علي فيه أحاديث منكرة تتضمن تنقيص عائشة وصحح رد الشمس على علي ، انظر اللسان ٥ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(١) منصور بن المعتمـر السلمي أبو عتاب عن إبراهيم النخعي وخيثمـه بن عبد الرحمن توفي سنة ١٣٢ . تقريب ٢/ ٢٧٦ النبلاء ٥/ ٤٠٢ .

(٢) علقمة بن قيس النـخعي صاحب ابن مسعود . مخـضرم . مات سنة ٦٢ ويقال ٦٣ وقيل ٦٥ . النبلاء ٤/ ٥٣ / ٢/ ٣١ .

الله ﷺ : «من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه».

قال الشيخ محمد بن عبد الهادي في (الصارم المنكي) : والجواب أن يقال : هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب عند أهل المعرفة بالحديث ، ولم يحدث به عبد الله بن مسعود ولا علقمة ولا إبراهيم ولا منصور ولا سفيان الثوري، وأدنى من يعد من طلاب هذا العلم يعلم أن هذا الحديث مختلق مفتعل على سفيان الثوري، وأنه لم يطرق سمعه قط.

وما كنت أظن أن الجهل بلغ بالمعترض إلى أن يروي مثل هذا الحديث الموضوع المكذوب ولا يبين أنه من الموضوعات المكذوبات، بل يذكره في مقام الاحتجاج والاعتماد والاستشهاد، ويأخذ في الثناء على بعض رواته ومدحهم بما لا يغني شيئًا، ولقد افتضح واضع هذا الحديث حيث جعله عن سفيان الثوري ثم عن منصور ثم عن إبراهيم، ولو جعله عن سفيان عن بعض شيوخه الضعفاء كان أستر له، وعمار بن محمد هو أبو اليقظان الكوفي، وهو ابن أخت سفيان، وهو بريء من عهدة هذا الحديث وإن كان فيه كلام لبعض الأئمة وأطال في تبرئة عمار هذا ثم قال: وكذلك الحسن بن عثمان أبو حسان الزيادي بريء من عهدته أيضًا ، فإنه معروف بالصدق والأمانة والحمل في هذا الحديث على بدر بن عبد الله المصيصي الذي

لم يعرف بثقة ولا عدالة ولا أمانة، أو على صاحب الجزء أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي، فإنه متهم بالوضع وإن كان الحفاظ . اهـ.

وبهذا يتبين أن الحديث موضوع، وتبين عليه علامات الوضع بادية في قوله : «**لم يسأله الله فيما افترض عليه**»فإن سؤال العباد في الآخرة عما افترض عليهم ومحاسبتهم على ذلك من الأمور القطعية الثابتة بصريح القرآن وصحيح السنة.

قال الله تعالى وهو أصدق قائل: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ [1] ففي هذه الآية أخبر الله عز وجل بأن السؤال حاصل لجميع الناس، وأكد هذا الخبر بثلاث مؤكدات وهي : القسم واللام والنون التوكيدية، ثم أكد الضمير بـ (أجمعين) ليدل على استيعاب السؤال لجميع المكلفين، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿**فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**﴾ [2] . وقوله تعالى: ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾[3] .

ومما يدل على المحاسبة قوله تعالى : ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب**

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٢/ ٩٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٦/ ٧.

(٣) سورة التكاثر آية ٨.

حسابًا يسيرًا﴾ [٤] وفي الحديث الصحيح : « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل : انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال مثل ذلك**»، **رواه أصحاب السنن**[٥] وفي الصحيحين من حديث عبد الله ابن مسعود مرفوعاً: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[١] وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ :«**ليس أحد يحاسب إلا هلك** » قالت : قلت : يا رسول الله جعلني الله فداك : أليس يقول الله عز وجل : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه**

(٤) سورة الانشقاق آية ٦/ ٧.

(٥) أخرجه الترمذي رقم ٤١١ صلاة تحفة باب أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، وأبو داود رقم ٨٦٤ باب قول النبي ﷺ : «**كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه**». ورواه النسائي باب المحاسبة على الصلاة ، وابن ماجه رقم ١٤٢٥ باب ما جاء أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، وكلها من طريق أبي هريرة، إلا أنه اختلف على الحسن ابن زياد في إسناده فقيل : عنه عن حريث بن قبيصة عن أبي هريرة . أخرجه الترمذي والنسائي . وقيل : عنه عن رجل عن أبي هريرة . مع أن حريث بن قبيصة أو قبيصة بن حريث فيه مقال ، إلا أنه قد روى عن أبي هريرة من طرق أخرى ، فرواه ابن ماجه عن علي بن زيد عن أنس بن حكيم عن أبي هريرة ، ورواه النسائي عن الحسن بن زياد عن أبي رافع عن أبي هريرة، وله شاهد من حديث تميم الداري وسنده صحيح . أخرجه أبو داود ٨٦٦ وابن ماجه ١٤٢٦.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق رقم ٦٥٣٣ وأخرجه في الديات رقم ٦٨٦٤ وأخرجه مسلم أيضًا في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص رقم الباب ٨ رقم الحديث ٢٨.

فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾ قال: «**ذاك العرض يعرضون فمن نوقش الحساب هلك**»[٢] فتبين من هذا الحديث أن الحساب اليسير كائن ولابد، وأن من نوقش الحساب عذب، فالمناقشة للكفار والمنافقين وأصحاب الكبائر من الموحدين الذين يريد الله إدخالهم النار بذنوبهم، وأن الحساب اليسير الذي هو العرض سيقع لسائر المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا**﴾[٣] فتبين من هذا أن الحديث موضوع ومفترى على رسول الله ﷺ ولا يحل لأحد روايته إلا على سبيل البيان لا على الاحتجاج به. وبالله التوفيق.

---

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٠٣ ورقم ٤٩٣٩ ورقم ٦٥٣٦ وأخرجه مسلم في آخر صفة الجنة ونعيمها وأهلها باب إثبات الحساب.

(٣) سورة الإسراء الآية ١٣ / ١٤.

الحديث الثامن

٨ - قال : ثامنًا «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة» . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخرجه:

١ - الحافظ ابن مردويه ت ٤١٦[1] .

٢ - الحافظ أبو سعد الأصبهاني ت ٥٤٠ [2] .

٣ - أبو الفتوح سعيد بن محمد اليعقوبي ت ٥٥٢ .

٤ - السمعاني ت٥٦٢ .

٥ - ابن الأنماطي المالكي ت٦١٩[3] .

٦ - ابن السبكي ٧٥٦.

---

(١) ابن مردويه هو الحافظ العلامة أحمد بن موسى بن مردويه صاحب التفسير والتاريخ. ولد سنة ٣٢٣. ترجمه ش. وقال توفي لست بقين من رمضان سنة ٤١٠ ش ج ٣ ص ١٩٠ .

(٢) أبو سعد الأصبهاني هو الحافظ أحمد بن محمد بن أبي سعد أحمد بن الحسن البغدادي الأصبهاني ولد سنة ٤٦٣ وتوفي سنة ٥٤٠ ترجمه ش ج ٤ ص ١٢٦ .

(٣) ابن الأنماطي تقي الدين أبو طاهر إسماعيل بن عبد المحسن الأنماطي. قرأ الحديث ورحل «وكتبه» هكذا في الأصل ولعلها وكتب. وكان ابن الصلاح يثني عليه. توفي سنة ٦١٨ . البداية لابن كثير ١٣/ ٩٦ .

٧ ـ السمهودي ت ٩١١ .

ج ـ قال ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) والجواب أن يقال: هذا حديث منكر لا أصل له وإسناده مظلم، بل هو حديث موضوع على عبد الله بن عمر الصغير المكبر المضعف، والحسن بن محمد السدوسي وأحمد بن سهل الأهوازي يرويان المنكر، لا يحتج بخبرهما ولا يعتمد على روايتهما، وخالد بن يزيد «هو العمري» بلا شك وهو متروك الحديث. قال ابن أبي حاتم كتب عنه أبو زرعة وترك الرواية عنه.

وقال يحيى بن معين: خالد بن يزيد العمري كذاب.

قال: وسئل عنه أبي فقال: كان كذاباً، أتيته بمكة ولم أكتب عنه، وكان ذاهب الحديث.

وقال أبو حاتم بن حبان في (كتاب المجروحين) عن الثوري أنه قال فيه: منكر الحديث جداً، أكثر من كتب عنه أصحاب الرأي، لا يشتغل بذكره لأنه يروي الموضوعات عن الأثبات.

وقال العقيلي: يحدث بالخطأ ويحكي عن الثقات ما لا أصل له.

وقال الأزدي: متروك الحديث.

وقال الدارقطني والبيهقي: ضعيف.

وقال الحاكم أبو أحمد ذاهب الحديث.

وقال البخاري: ذاهب الحديث[1] اهـ.

وبهذا يتبين أن الحديث محطم السند منكر المتن مكذوب على النبي ﷺ وهل يعقل أن يقول من أوتي جوامع الكلم هذا الكلام الركيك المتهافت وهو أفصح العرب لسانًا وأبلغهم قولاً؟ وبيان ذلك من وجهين:

الأول: أن الزيارة بعد الموت ليست زيارة للشخص ولكنها زيارة لقبر الشخص، ولم يعرف في اللغة تسمية الزيارة للقبر زيارة للشخص ، فلا يقال لمن زار قبر فلان زار فلاناً، وهذا إنما هو من انتحال الصوفية والشيعة وأمثالهم ممن يريدون إعادة الوثنية إلى الإسلام والمهم أنه لا يعقل أبدًا أن يسند النبي ﷺ الزيارة بعد الموت إلى نفسه وهو أفصح العرب.

الثاني: أن التسوية بين زيارة قبره ميتًا وزيارته حيًا شيءلا يعقل أبدًا، ومن الأمور البديهية التي لا ينازع فيها عاقل الفرق الكبير والبون الشاسع بين زيارة قبره ميتًا وزيارته حيًا، لما يترتب على زيارته في حياته من رؤيته ومشاهدة ما يتحقق على يديه من المعجزات والآيات ونزول الوحي عليه بالبراهين القواطع؛ التي يضطر من شاهدها إلى الإيمان إلا أن يكتب عليه الخذلان، وما يتبع ذلك من الصلاة وراءه

---

(١) الصارم المنكي ص١٤٢ ، ١٤٣.

والجهاد معه والرجوع إليه في كل مشكلة وكل حادثة ونيل رتبة الصحبة التي من نالها فقد نال الخير كله.

أما زيارة قبره ميتًا فلا يترتب عليها شيء مما ذكر، نعم يترتب عليها مشاهدة شيء من آثاره ومشاهدة البقاع التي تردد فيها والصلاة في مسجده، ولكن هل يساوي ذلك زيارته حيًّا؟ الجواب لا وألف لا، ولا نسبة بينهما البتة.

وإذا كان الله عز وجل قد فضل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا فقال: ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى**﴾ [1] فما بالك بمن يأتي إلى قبره بعد قرون ويريد أن يكون مساويًا لمن زاره في حياته؟ هذا لا يصح أبدًا، بل يدل على أن الحديث موضوع، فإن مما قرره علماء المصطلح من علامات الوضع أن يكون الحديث مخالفًا للأصول الثابتة والقواعد العامة المعلومة من الدين بالضرورة، ومن القواعد الثابتة والأصول التي لا ينازع فيها أحد: فضل الصحابة على من بعدهم وفضل السابقين منهم على غيرهم من المتأخرين.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي فلو أنفق**

---

(١) سورة الحديد الآية ١٠.

أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١] وكان يخاطب بذلك خالد بن الوليد[٢] حين اختلف مع عبد الرحمن بن عوف في سرية بني جذيمة.

الحديث التاسع

٩ - قال: **«من زارني بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا»** وفي رواية **«من مات محتسبًا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»**. وفي رواية: **«كنت له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة»** (عن أنس) قال: أخرجه:

١ - ابن أبي فديك ت ٢٠٠.

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة رقم ٣٦٧٣ بلفظ: **«لا تسبوا أصحابي»** من حديث أبي سعيد ورواه مسلم في فضائل الصحابة أيضًا ج١٦ نووي من حديث أبي هريرة. قال النووي: وحكموا بالوهم على هذه الرواية والصواب عند من يرى ذلك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد.

قلت: ويحتمل أن يكون الحديث عند أبي صالح عنهما، فرواه تارة عن هذا وتارة عن هذا. ورواه أبو داود في كتاب السنة من السنن باب النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ رقم ٤٦٥٨ ورواه الترمذي باب من سب أصحابي النبي ﷺ رقم ٣٩٥٢ ورواه ابن ماجه في المقدمة والإمام أحمد رحمهم الله تعالى.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي سيف الله كنيته أبو سليمان، أسلم سنة سبع على الصحيح وشهد مؤتة، ثم شهد الفتح وما بعدها، وأبلى في فتوحات العراق والشام بلاء حسنًا، توفي سنة ٢١ بالمدينة وقيل بحمص الإصابة ١/ ٤١٣ الاستيعاب ١/ ٤٠٥.

٢ - أبو بكر ابن أبي الدنيا ، ت٢٨١ .

٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ت٤٠٥ [١] .

٤ - الحافظ أبو بكر البيهقي ت٤٥٨ .

٥ - القاضي عياض ت ٥٤٤ .

٦ - الحافظ ابن عساكر ت٥٧١ .

٧ - الحافظ ابن الجوزي ت ٥٩٧ .

٨ - الدمياطي . . وغيرهم.

ج - قلت : لا يصح في سنده عند البيهقي سليمان بن يزيد الكعبي . قال الحافظ في (التقريب) : ضعيف .

وقال في (التهذيب) : قال أبو حاتم : منكر الحديث، ليس بقوي .

وذكره ابن حبان في الثقات ثم قال: قلت: وذكره ابن حبان في الضعفاء في الكنى فقال أبو المثني شيخ يخالف الثقات في الروايات لا يجوز الحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار.

---

(١) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون بن نعيم بن البيع الظبي الطهماني صاحب المستدرك وغيره. ولد سنة ٣٢١ وتوفي سنة ٤٠٥ . ترجمه في ش ج٣ ص١٧٦ .

وتعقبه الدارقطني في حواشيه فقال : أبو المثنى هذا هو سليمان الكلبي مدني.

وقال في العلل : سليمان بن يزيد ضعيف وقعت روايته عن أنس في كتاب القبور لابن أبي الدنيا.

وقد قيل إنه لم يسمع منه. اهـ.

وفيه أيوب بن الحسن . قال في (اللسان) أيوب بن حسن بن أبي رافع منكر الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات .

قلت : ابن حبان معروف بتساهله، فإن من قاعدته توثيق المجهولين الذين لا يعرف فيهم جرحًا كما أفاده حذاق هذا الفن، ولذلك كثيرًا ما يتناقض فيذكر الشخص في كتاب الثقات ثم يذكره في كتاب الضعفاء كما ذكر ذلك النقاد.

وقال في (اللسان) أيضًا : ذكره أبو جعفر الطوسي في الرواة عن أبي جعفر الصادق من الشيعة.

قلت : قد ذكرت فيما مضى من هذا الكتاب نقلاً عن مقدمة اللسان أن الشيعة المعروفين بالحط من منزلة الصحابة لا تقبل روايتهم، ومن المعلوم أن الشيعة أنفسهم لا يقبلون إلا رواية من عرف بالحط من قدر الصحابة رضوان الله عليهم وبالغ في سبهم، وكفى بذلك قادحًا ، فتبين من هذا أن الحديث باطل ، ثم هو على فرض صحته

محمـول على زيارته في حال حياته، لأن إضافة الزيارة إلى شـخصه غير إضافتها إلى قبره، والله أعلم.

الحديث العاشر

١٠ - قال : عـاشرًا « **من زارني ميـتًا فكأنما زارني حـيًا ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيـامة وما من أمتي أحد له سعة ثم لم يزرني فليـس له عـذر**» ، عن أنس ، قـال أخـرجـه ابن النجـار . والعراقي والسبكي والسمهودي والقسطلاني والعجلوني.

ج - **قلت** : أما العراقي فلا أراه يخرجـه إلا لبيانه والتحذير منه، وقد ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة في « **من لم يزرني فقد جفاني**» وقال : ذكره الغزالي في الإحياء (بلفظ) : « **من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني** » قـال : ولم يخرجـه العـراقي ، بل أشار إلى مـا أخـرجه ابن النجـار في تاريخ المدينة مما هو في مـعناه عن أنس بلفظ «**ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر**» .

قلت : ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرائب مالك وآخرين كلهم عن ابن عمر : « **من حج فلم يزرني فقد جفاني** » ولا يصح اهـ.

وأنا أقول : هذا الحديث وأمثـاله ليس عليها نور النبوة ، بل تبين

عليها الصنعة ويبين عليها التلفيق والكذب، وقد تقدم قريبًا الرد على مثل هذا اللفظ بما فيه كفاية ، وتبين من هنالك مصادمة هذه الأحاديث المكذوبة للنصوص الثابتة والقواعد العامة، والله الموفق والهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الحديث الحادي عشر

١١ - قال : الحادي عشر حديث: «**من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيدًا أو شفيعًا**». عن ابن عباس . قال أخرجه الحافظ أبو جعفر العقيلي ت٣٢٢ في كتاب الضعفاء في ترجمة فضالة بن سعيد المازني، والحافظ ابن عساكر المتوفي ٥٧١ كما في شفاء السقام ص ٢١ ووفاء الوفاء جـ ٢ ص ٤٠١ ونيل الأوطار للشوكاني جـ ٤ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦.

ج - هذا الحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة فضالة ابن سعيد المازني ، وقال في اللسان : فضالة بن سعيد بن زميل المازني عن محمد بن يحيى المازني قال العقيلي: حديثه غير محفوظ. حدثنا سعيد بن محمد الحضرمي ، حدثنا فضالة ، حدثنا محمد بن يحيى، عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا : «**من زارني**

في مماتي كان كمن زارني في حياتي» .

قلت : هذا موضوع على ابن جـريج، ويروى في هذا شيء أمثل من هذا . اهـ .

وبقية كلام العقيلي : ولا يعرف إلا به، وكذا نقله ابن عساكر عن العقيلي .

وقال أبو نعيم روى المناكير ، لا شيء ، انتهى [١] .

قلـت : ومن هذا تعلم أن المؤلـف قصـد التـمـويه على السـذج بالأخبار البـاطلة الموضوعة ، وما علم المسكـين أن الله قد حمي هذا الدين برجـال ميزوا عنه الزيـف وصفوه ونقـوه من الأباطيل، ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ [٢] .

الحديث الثاني عشر

من الأحاديث الباطلة التي أجلب بها الرافضي في الزيارة

١٢ - قال : الثاني عشر : «**من زار قبـري بعد مماتي فكأنما زارني في حيـاتي ومن لم يزرني فقد جـفاني** » . عن علي بـن أبي طالب .

---

(١) اللسان ج٤ ترجمة ١٣٣٠ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٧ .

قال: أخرجه أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسني في كتابه (أخبار المدينة) .

ج - هذا الحديث نسبه ابن السبكي في كتابه المسمي بـ (شفاء السقام) إلى كتاب (شرف المصطفى) : للخركوشي فقال: وقال أبو سعيد عبد الملك بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري الخركوشي الواعظ في كتاب (شرف المصطفى) ﷺ روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من زاري قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني**» قاله ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) .

وقال : والجواب أن يقال : هذا الحديث من الموضوعات المكذوبة على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، والنعمان بن شبل ليس بشيء ولا يعتمد عليه ، ومحمد ابن الفضل بن عطية كذاب مشهور بالكذب ووضع الحديث، وجابر هو الجعفي ، ولم يكن بثقة ، ومحمد بن علي هو أبو جعفر الباقر ولم يدرك جد أبيه علي ابن أبي طالب ، فلو كان الإسناد إليه صحيحًا كانت روايته منقطعة، فكيف والإسناد إليه ساقط مظلم؟ انتهى.

وقال ابن حبان في (كتاب المجروحين) : محمد بن الفضل بن عطية مولى بني عبس كنيته أبو عبد الله، سكن بخارى كان ممن يروي الموضعات عن الأثبات، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار،

كان أبو بكر بن أبي شيبة[١] شديد الحمل عليـه، ثم حكى عنى يحيى بن معين أنه قال عنه: لم يكن بثقة، كان كذابًا.

وقال المعلق: قال أحمد: حديثه حديث أهل الكذب.

وقال الفلاس[٢] : كذاب[٣] .

أما النعمان بن شبل فقد ذكره في (كتاب المجروحين) وقال فيه : يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثـبات بالمقلوبات، وبهذا يتضح أن سند هذا الحديث سلسلة وضاعين ومـتهمين ، وهو مع ذلك منقطع ما بين محمد بن علي وبين جـد أبيه عن علي بن أبي طالب، لذلك فهو باطل، والله أعلم.

(١) أبو بكر عبد الله بن مـحمد بن إبراهيم بن عثـمان المشهور بابن أبي شيـبة ، مات سنة ٢٣٥ ثقة حافظ ترجمه تقريب ١/ ٤٤٥.

(٢) الفلاس هو عمرو بن علي بن بحر الفـلاس ، الحافظ الإمام المجود الناقد أبو حفص الباهلي ، ولد في نيف وستين ومائة ، وتوفي سنة ٢٤٩ سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٠ تقريب ٢/ ٧٥.

(٣) المجروحين لابن حبان أبي أحمد ج٢ ص ٢٧٨.

الحديث الثالث عشر[1]

من الأحاديث الباطلة التي أجلب بها الرافضي

١٣ - قال : الخامس عشر - وهو الثالث عشر على ترقيمي - **«من حج إلى مكة ثم قصدني كتبت له حجتان مبرورتان»** عن ابن عباس مرفوعاً. قال: أخرجه صاحب الفردوس في مسنده كما في (وفاء الوفاء) ٢/ ٤٠١، ونيل الأوطار (٤/ ٣٢٦.

ج - قال ابن عبد الهادي رحمه الله في (الصارم المنكي) فإن قيل: قد ورد معني الخبر الذي رواه مسلمة بن سالم من وجه آخر لم يذكره المعترض ، قال بعض الحفاظ في زمن ابن منده والحاكم في كتاب كبير وقفت على بعضه: حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد بن المبارك السر من رائي بنصيبين: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن سيار بن محمد النصيبي، حدثنا أسيد بن زيد ، حدثنا عيسى بن بشير عن محمد بن عمر وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رسول الله ﷺ :**« من حج إلى مكة ثم قصدني إلى مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان»**.

---

(١) ملحوظة : رقم هذا الحديث عند مؤلف هذه الرسالة (١٥) وليس (١٣) ، وكأن النسخة التي وقعت بيدي فيها سقط، حيث انتقل الرقم من (١٢) إلى (١٥).

فالجواب أن هذا الخبر ليس فيه ذكر زيارة القبر، ولا قوله : « من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي» مع أنه خبر موضوع وحديث مصنوع لا يحسن الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله، وفي إسناده ممن لا يحتج به ولا يعتمد على روايته غير واحد من الرواة.

فأسيد بن زيد الجمال الكوفي قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد[1] سألت يحيى بن معين عنه فقال: كذاب. أتيته ببغداد في الحذائين فسمعته يحدث بأحاديث كذب، وقال عباس الدوري[2] عن يحيى بن معين: وأسيد كذاب، ذهبت إليه إلى الكر ونزل في دار الحذائين فأردت أن أقول له يا كذاب ففرقت من شفار الحذائين. وقال أبو حاتم الرازي: قدم من بعض أسفاره الكوفة فأتاه أصحاب الحديث ولم آته، وكانوا يتكلمون فيه.

وقال النسائي: متروك الحديث.

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي صاحب كتاب الزهد والرقائق سكن سرمن رأى، حدث عن سليمان بن حرب وطبقته عنده عن يحيى بن معين سؤالات كثيرة تدل على فهمه . طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٥٧ الجرح والتعديل القسم ١ من ج١ ص ١١٠ ولم يؤرخ وفاته .

(٢) عباس الدوري هو عباس بن محمد بن حاتم أبو الفضل الدوري مولى بني هاشم ، سكن بغداد وصحب الإمام أحمد . قال عنه النسائي : ثقة ، ولد سنة ١٨٥ وتوفي في شهر صفر سنة ٢٧١ . مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٧٦ .

وقال ابن حبان: يروي عن شريك والليث بن سعد وغيرهما من أصحاب الحديث الثقات المناكير ويسرق الحديث ويحدث به.

وقال ابن عدي : يتبين على رواياته الضعف ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وقال أبو نصر بن ماكولا[١] ضعفوه. وقال الخطيب : قدم بغداد وحدث بها وكان غير مرضي.

ولو فرض صحة هذا اللفظ الذي رواه أسيد بن زيد الجمال، وقدر ثبوت ما رواه مسلمة بن سالم الجهني، وما رواه موسى بن هلال العبدي، لم يكن في الشيء من ذلك دلالة على الزيارة على غير الوجه المشروع، وشيخ الإسلام لا ينهى عن الزيارة الشرعية ولا ينكرها ، انتهى.

وبهذا يتبين أن الحديث موضوع، وعلى فرض صحته فلا حجة فيه للخصم على محل النزاع، والله أعلم.

---

(١) أبو نصر بن ماكولا الأمير الكبير الحافظ البارع أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي ابن محمد بن دلف ابن الأمير الجواد أبي دلف العجلي . مؤلف كتاب الإكمال ، ولد في شعبان سنة ٤٢٢ بعكبر . سمع من أبي الطيب الطبري وابن شاهين وأبي بكر الخطيب وخلائق ، قتله غلمانه في سفر وأخذوا ماله ، واختلف في سنة قتله على أقوال : قيل : ٤٧٥ وقيل ٤٧٩ وقيل : ٤٨٧ . تذكرة ط ١٥/١/ج٤/١.

الحديث الرابع عشر

مما أجلب به الرافضي

١٤ - الرابع عشر قال : حديث : « **من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين من (الآمنين)** »زاد الشحامي [1] عقب قوله يوم القيامة: « **ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعًا يوم القيامة** » ، قال روى بإسناد فيه من الحفاظ ثم قال:

١ - الحافظ أبو جعفر العقيلي

٢ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني.

٣ - أبو عبد الله الحاكم.

٤ - أبو بكر البيهقي.

٥ - الحافظ ابن عساكر.

٦ - الحافظ عبد المؤمن الدمياطي.

---

(١) الشحامي هو زاهر بن طاهر بن محمد النيسابوري الشحامي أبو القاسم محدث من أثاره تحفة عيد :الفطر السداسيات والخماسيات من مروياته في الحديث ، توفي سنة ٥٣٣ . اهـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/ ١٧٩.

٧ - ولي الدين الخطيب التبريزي في المشكاة[1].

ج - قلت : وقد ضعفه الألباني هو والحديث الذي سبق كما تقدم ، وقال الشيخ ابن عبد الهادي - رحمه الله عقب الحديث المذكور: والجواب أن يقال : هذا الحديث السابع وهو الحديث السادس بعينه ، فجعل المعترض له حديثين، بل ثلاثة أحاديث، وهو حديث واحد مضطرب مجهول الإسناد من أوهي المراسيل وأضعفها، وهو من باب التهويل والتكثير بما لا يحتج به، وما كفاه حتى أخذ يقويه ويناقش من رده وتكلم فيه.

وقد علم أن ضعفه حصل بأمور متعددة وأشياء مختلفة، وهي الاضطراب والاختلاف والجهالة والإرسال والانقطاع، وبعض هذه الأمور تكفي في ضعف الحديث ورده وعدم الاحتجاج به عند أئمة هذا الشأن، فكيف باجتمعها في خبر واحد؟ وقوله إن هارون بن أبي قزعة ذكره ابن حبان في الثقات، ليس فيه ما يقتضي صحة الحديث الذي رواه ولا قوته ، وقد علم هو أن ابن حبان ذكر في هذا الكتاب

(١) ولي الدين الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي العمري رحمه الله. محدث من علماء القرن الثامن للهجرة ، ترجمه في مقدمة المشكاة وقال : لم نجد له فيما بين أيدينا ترجمة وافية وقال : ولا يعرف تاريخ وفاته على الضبط ، كما لا نعرف تاريخ ولادته ، غير أنا نستطيع أن نجزم بأنه قد توف يبعد سنة ٧٣٧ التي أكمل فيها المشكاة.

الذي جمعه في الثقات عددًا كثيرًا وخلقًا عظيمًا من المجهولين الذين لا يعرف هو ولا غيره أحوالهم ، وقد صرح ابن حبان بذلك في غير موضع من هذا الكتاب، فقال في الطبقة الثالثة: سهل يروي عن شداد بن الهاد[1] وروى عنه أبو يعقوب ولست أعرفه ولا أدرى من أبوه، هكذا ذكر هذا الرجل ونص على أنه لا يعرفه... إلى أن قال: وقد ذكر ابن حبان خلقًا كثيرًا من هذا النمط، وطريقته فيه أنه يذكر من لم يعرفه بجرح وإن كان مجهولاً لا يعرف حاله، وينبغي أن يتنبه لهذا ويعرف أن توثيق الرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدني درجات التوثيق ، والله أعلم اهـ[2] .

قلت : قد تقدم بيان حال هارون بن أبي قزعة في الرد على الحديثين رقم (٥) ورقم (٦) وذكر هناك أنه ضعفه يعقوب بن شيبة، وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء، وليس مجرد ذكر ابن حبان له في الثقات موجبًا لقبول خبره لأمور:

أولها : أن ابن حبان يذكر في كتابه هذا المجهولين الذين لا يعرف فيهم جرحًا كما تقدم ، وعلى هذا فلا يعتمد على توثيقه حتى يوافقه غيره.

---

(١) شداد بن الهاد الليثي . له صحبة. من بني عتوارة . ترجمة في ج قسم أول من المجلد الثاني ٣٢٨ وترجمه تقريب ١/ ٣٤٨ وقال : قيل اسمه أسامة.

(٢) الصارم ص٨٤ ، ٨٥.

ثانيها: أن هارون هذا قد صرح بضعفه والقدح فيه جماعة من العلماء، ومن القواعد الاصطلاحية أن الجرح مقدم على التعديل، لأن صاحبه معه زيادة علم، فإن انضاف إلى ذلك أن الجرح مفسر كان أولى بالتقديم بالاتفاق، فإن انضم إلى ذلك أن الموثق واحد والجارحون جماعة وجب إطراح التوثيق والعمل بالجرح، وهنا كان الجرح مفسرًا والتعديل مجمل والمعدل واحد والجارحون جماعة، ومع هذا فإن المعدل قد جرحه في الضعفاء، ورجع عن قوله الأول. فقال في (الضعفاء) : لا يعتمد. فتراجعه عن التوثيق يدل على أن ضعفه مجمع عليه من كل أهل هذا الشأن.

ثالثها : أن ابن عبد الهادي رحمه الله ذكر أن في هذا الحديث خمسة أمور كل واحد منها يصلح لأن يرد به الخبر الذي وجد فيه لو كان وحده، فكيف بها مجتمعة وهي الاضطراب والاختلاف والجهالة والإرسال والانقطاع! والله أعلم.

الحديث الخامس عشر

من الأحاديث التي احتج بها على الزيارة وهي باطلة

١٥ ـ الخامس عشر قال: حديث «**من زارني إلى المدينة كنت له شهيدًا وشفيعًا**». عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . قال : أخرجه الدارقطني بإسناده في السنن كما في (وفاء الوفاء).

ج - قلت : عزو هذا الحديث إلى سنن الدارقطني كذب أو جهل من قائله، وإنما أخرجه في العلل كما بين ذلك ابن عبد الهادي رحمه الله ، وإليك كلامه قال: والجواب أن يقال : هذا اللفظ المذكور غلط في هذا الحديث، حديث نافع عن ابن عمر، ولفظ الزيارة فيه غير محفوظ، ولو كان محفوظًا لم يكن فيه حجة على محل النزاع، والمحفوظ في هذا عن أيوب السختياني[1] ما رواه هشام الدستوائي[2]

(١) أيوب بن أبي تميمة السختياني ، واسم أبي تميمة كيسان ، عن عمرو بن سلمة وأبي رجاء العطاردي وأبي عثمان النهدي والحسن وعطاء وغيرهم ، قال شعبة : حدثنا أيوب ، والله سيد الفقهاء ، وقال حماد بن زيد : أيوب أفضل من جالسته وأشده اتباعًا للسنة . توفي سنة ١٣١ . اهـ . خلاصة تهذيب الكمال ١/ ٣٦ تقريب ١/ ٨٩.

(٢) هشام بن أبي عبد الله سنبر - بسين مهملة ونون ساكنة وباء على وزن جعفر - الدستوائي . ثقة ثبت من كبار السابعة . روى له الجماعة . توفي سنة ١٥٤هـ، وله ٧٨ سنة . تقريب ٣١٩ خلاصة ٣٥١.

وسفيان بن موسى[١] عنه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بها كنت له شفيعًا وشهيداً يوم القيامة**» . . إلى أن قال : وقد وقف هذا المعترض على ما ذكر - يعني الدارقطني - في كتاب (العلل) من الاختلاف في إسناد هذا الحديث ومتنه ، ولم ينقل منه إلا طريقاً واحدة أخطأ فيها، ولفظاً واحداً وهم فيه الناقل وأعرض عن ذكر الطرق الواضحة والألفاظ الصحيحة، وهل هذا إلا عين الخذلان أن ينظر الرجل في ألفاظ الحديث وطرقه في موضع واحد ، فينقل منها الضعيف السقيم، ويدع القوي الصحيح من غير بيان لذلك؟

وهذا الحديث الذي نقله المعترض من كتاب (العلل) للدارقطني أخطأ راويه في إسناده ووهم في متنه، أما خطأه في إسناده فقوله : عن عون بن موسى. وإنما هو سفيان بن موسى ، وهو شيخ من أهل البصرة روي له مسلم حديثًا واحدًا متابعة، وقد ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أنه سئل عنه فقال : مجهول.

وذكره ابن حبان في آفات الثقات كذا! ولعله في كتاب الثقات. وأما وهمه في متنه فقوله: «**من زارني إلى المدينة**» ولفظ الزيارة في

(١) سفيان بن موسى بصري عن أيوب . له عند مسلم حديث فرد وثقه ابن حبان . وقال ابن حجر : صدوق من الثامنة، تقريب ١/ ٣١٢ خلاصة ١٢٤ .

حديث أيوب عن نافع ليس بصحيح، والمعروف من حديثه عنه. **«من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل»** . وأصح منه اللفظ الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يصبر على لأوائها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعًا يوم القيامة»اهـ.**

قلت : هذا هو الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصبر على لأوائها وضنكها وشدتها بقصد البقاء في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده لتحصل المضاعفة للصابر، فإنه يستوجب بذلك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان موحداً .

الحديث السادس عشر

١٦ - السادس عشر قال : روي عن رسول الله ﷺ قال : «من وجد سعة ولم يغد إليّ فقد جفاني» قال: ذكر ابن فرحون[١] نحوه في مناسكه، والغزالي في الإحياء والقسطلاني في المواهب، والعجلوني في كشف الخفاء.

ج - قال الشوكاني (في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) : : رواه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك، وابن حبان في الضعفاء: وابن الجوزي في (الموضوعات).

قلت : يظهر من صنيع مؤلف الرسالة أنه معترف بضعفه، حيث صدره بـ(روي) مبنياً للمجهول، وهذه اللفظة تدل على ضعف المروي عند المحدثين، ولكن تبين لي بعد أن الرجل ببغاني ينقل بلا تمييز، فلعله نقل هذه اللفظة عن غيره بدون علم بمعناها ولا بما دل عليه ، والحديث موضوع بلا شك ، والله أعلم.

(١) ابن فرحون إبراهيم بن علي اليعمري المدني المالكي ولد سنة ٧١٩ وتوفي سنة ٧٩٩ وابن فرحون عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي الأصل المدني عالم مشارك . له إعراب عمدة الأحكام للمقدسي وغيره ، كما للأول ولم يذكر لأحد منهم مناسك ، فينظر كشف الظنون والملحق . معجم المؤلفين ١/ ٦٨ و ٦/ ١٣٧.

الحديث السابع عشر

مما أجلب به الرافضي

١٧ - السابع عشر حديث قال رسول الله ﷺ : « **من زارني بعد وفاتي وسلم علي رددت عليه عشراً وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه، ومن سلم عليّ في بيته رد الله عليّ روحي حتى أسلم عليه**» : ذكره شعيب حريفيش في (الروض الفائق) .

ج - **قلت** : قد صان الله دين الإسلام وشريعة محمد ﷺ أن يدخل فيها شيء بدون سند وتمحيص ، فلا يقبل شيء من أمر الشريعة إلا بنقل العدل عن العدل بسند متصل بالنبي ﷺ وما لم يكن كذلك فهو مردود على صاحبه كائنًا من كان وليتبوأ مقعده من النار كما قال النبي ﷺ . وشعيب حريفيش ليس من علماء الحديث الذين يعتمد على تصحيحهم، وحتى أصحاب الحديث أنفسهم لا يقبلون قول بعضهم إلا بسند، فإذا كان السند معروفًا ومشهورًا بين المحدثين فلا عيب حينئذ والحالة هذه أن يحذف الراوي السند ويقول : قال رسول الله ﷺ ويسمونه التعليق، وقد أكثر البخاري من ذلك في صحيحه.

أما أن يأتي رجل في القرون المتأخرة فيقول: قال رسول الله

ﷺ ولا يأتي لحديثه بسند، فلا يعدو أن يكون مؤتفكًا كذابًا مستحقًا للوعيد الوارد في المفترين الكاذبين على الله ورسوله... إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون.

الثامن عشر

حكاية كاذبة تحمل في طياتها ما بين كذب قائلها

١٨ - الثامن عشر قال : عن أبي عبد الله محمد بن العلاء رحمه الله قال : دخلت المدينة وقد غلب علي الجوع، فزرت قبر النبي ﷺ وسلمت عليه وعلى الشيخين وقلت : يا رسول الله جئت وبي من الجوع والفاقة ما لا يعلمه إلا الله ، وأنا ضيفك الليلة. ثم غلبني النوم فرأيت النبي ﷺ فأعطاني رغيفًا فأكلت نصفه ، ثم انتبهت من النوم ونصفه الآخر في يدي . قال : ذكره الشيخ شعيب حريفيش.

ج - قلت : الدين لا يثبت بالحكايات، وشعيب حريفيش حاطب ليل، ثم إن هذه الحكاية تحمل في طياتها ما ينم عن بطلانها وكونها كذبًا محضًا ، فهل يعقل أن يأكل نصف الرغيف وهو نائم يقطع من الرغيف بقر اللقمة فقط، ويلقيها في فمه ثم يلوكها ويبلعها، ثم يعود فيقطع مثلها ويمضغها، ثم يبلعها كذلك حتى يكمل نصف الرغيف

قبل أن يستيقظ؟! هذا كذب محض وافتراء واضح يجعل الدين مسخرة للأعداء، حيث يستغل الملاحدة مثل هذه الترهات للغمز في الدين والنيل من تعاليمه السامية الرفعية.

وسيبقى الدين الحق كما هو ساميًا وعاليًا وصلبًا ومتيناً على رغم أنوف الأعداء وما لصق به وهو ليس منه، سيذهب ويتلاشى ويضمحل ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ [(١)] .

أما الزيارة الشرعية فلا ينازع فيها أحد لا شيخ الإسلام ولا غيره، والله أعلم.

---

(١) سورة الرعد الآية ١٧.

الحديث التاسع عشر

من الأحاديث الواهية التي احتج بها للزيارة

١٩ - التاسع عشر قال: حديث مرفوع عنه ﷺ : « **لا عذر لمن له سعة أمتي ولم يزرني** » . قال : رواه الشيخ عبد الرحمن زاده[1] في (مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر) ص١٥٧ وعده من أدلة الباب بدون غمز فيه.

ج - **قلت** : هكذا قال المؤلف كما هي عادته، والحقيقة أنه بعض حديث عن أنس قد ذكره برقم (١٠) وقد كتبت الرد عليه وبينت أقوال العلماء فيه هناك، ومن عادة المؤلف وأمثاله من المفتونين أصحاب البدع أن يدجلوا على الأغبياء بذكر الحديث مرات، إما بتقديم وتأخير في لفظه، وإما بتقطيع الحديث، فيقتطع منه جملة ويجعلها حديثًا، ومموها بذلك على الأغبياء ومن لا علم عندهم ، ليظهروا أن الموضوع فيه أحاديث كثيرة. ولفظ الحديث كما ذكر ابن السبكي عن أنس قال : رسول الله ﷺ : « **من زارني ميتًا فكأنما زارني حيًا ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر** » قال الشيخ ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) :

---

(١) شيخ زاده عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المعروف بشيخ زاده . فقيه حنفي من أهل كليبوبي بتركيا ، من قضاة الجيش ، له : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر. توفي سنة ٣٠٧٨ . ترجمه الزركلي في الأعلام ج٤ ص١٠٩ .

هكذا ذكر المعترض هذا الحديث وخرس بعد ذكره فلم ينطق بكلمة ، وهو حديث موضوع مكذوب مختلق مصنوع، من النسخة الموضوعة المكذوبة الملصقة بسمعان بن المهدي قبح الله واضعها، وإسناده إلى سمعان ظلمات بعضها فوق بعض. أما سمعان فهو من الحيوانات التي لا تدري هل أوجدت أم لا ؟.

وهذا المعترض إن كان لا يدري أن هذا من الموضوعات فهو من أجهل الناس، وإن كان يعلم أنه موضوع ثم يذكره في معرض الاحتجاج ويتكثر به ولا يبين حاله، فهو داخل في قوله ﷺ : «**من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» .فهو إما جاهل مفرط في الجاهل، أو معاند صاحب هوى متبع لهواه! نعوذ بالله من الخذلان[١] اهـ.

وبهذا يتبين كذب هذا المؤلف ودجله وتلفيقه للأحاديث الموضوعة وتقطيعه لها ليتكثر بها، هداه الله إلى معرفة الحق... وبالله التوفيق.

---

(١) الصارم المنكي ص١٤٧ .

الحديث العشرون

٢٠ - قال : عن أمير المؤمنين علي ... (من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جواره) أخرجه ابن عساكر في نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٣٢٦ .

ج - الأثر عن علي في سنده عبد الملك بن هارون بن عنترة. قال أحمد : ضعيف .

وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث.

وقال يحيى: كذاب .

وقال ابن حبان: يضع الحديث . وذكر له حديث : « **أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة: الإسكندرية وعسقلان وقزوين وعبدان، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيتي على سائر البيوت**»وقال السعدي: عبد الملك بن هارون دجال كذاب، واتهم بوضع حديث : «**من صام يومًا من البيض عدل عشرة آلاف سنة**»ومن بلاياه حديث أبي الدرداء مرفوعًا « **البلاء موكل بالقول**» أفاده في اللسان.

وبهذا نأتي على جميع ما أجلب به مؤلف الرسالة المذكورة من الأحاديث الواهية والموضوعة التي يريد أن يحتج بها على شرعية الزيارة البدعية والشركية ، ويتضح مما تقدم من الرد على كل حديث

وبيان ما فيه ومن فيه من الكذابين أو المتهمين بالكذب أو المغفلين الذين ينطلي عليهم الكذب وتدخل عليهم الأحاديث الموضوعة وهم لا يشعرون لغفلتهم وعدم تمييزهم... يتضح من هذا كله صحة ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وقبله النووي والعقيلي وغيرهم من العلماء أنه لا يصح في زيارة قبر النبي ﷺ حديث واحد البتة. وبالله جل وعلا التوفيق. اللهم أدخلني في عداد المجاهدين في سبيلك، الذّابِّين عن سنة نبيك ﷺ ونق عملي الذابي من شوائب الإحباط يا أكرم مسئول وأعظم مأمول.

قال الرافضي ٣ - كلمات أعلام المذابه الأربعة حول زيارة قبر النبي الأقدس ﷺ وهي أربعون كلمة:

الكلمة الأولى:

١ - قال أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي[1] ت ٤٠٣ في كتابه (المنهاج في شعب الإيمان) بعد ذكر جملة من تعظيم النبي ﷺ : فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته.

---

(١) الحليمي هو القاضي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف . أخذ عن أبي بكر القفال ، وهو صاحب : وجه في المذهب ، ولد في سنة ٣٣٨ وتوفي سنة ٤٠٣ . شذرات ج٣ ص١٦٧ ، ١٦٨ .

ج ـ قلت: تعظيم النبي ﷺ واجب، بل هو من أعظم الفرائض التي لا يتم الإيمان إلا بها، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسول الله ﷺ ويحبه ويعظمه ويجله في حدود ما ينبغي له ﷺ من الإجلال والتعظيم والتقدير والتوقير، لقول الله تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾**(١) وللمفسرين في ضمير **﴿تعزروه وتوقروه﴾** قولان: قول إنهما يعودان إلى الرسول ﷺ وعلى هذا يكون على (توقروه) وقف تام، وقول أن جميع الضمائر الثلاثة تعود على الله عز وجل، ولعل الأولى أن الضميرين في (تعزروه) و(توقروه) صالحان للعود على الله وعلى الرسول ﷺ والمراد بالتعزير النصرة والتوقير هو التعظيم والإجلال، ولما كان التعزير والتوقير معطوفين على الإيمان، دل ذلك على أنهما من شرائطه التي لا يتم إلا بها.

وإذا قد علمنا أن تعزير الرسول ﷺ وتوقيره واجبان أي: نصرته، وإجلاله وتعظيمه وتبجيلة من الأمور المتحتمة التي لا يكون العبد مؤمنًا كامل الإيمان إلا بها، فإنه يبقى علينا تحديد التعظيم والتوقير والتبجيل الذي ينبغي له ﷺ ومعرفة ما لا ينبغي له من ذلك،

---

(١) سورة الفتح الآيتان ٨, ٩ .

وهذا قد بينه الله تعالى أوضح بيان في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ حتى لا يبقى علينا في ديننا لبس ولا إشكال، وحتى نكون على بصيرة من أمرنا وعلى بينة من ديننا فقال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا**

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢) سورة الحشر الآية ٧.

(٣) سور الأحزاب الآية ٣٦.

(٤) سورة النساء الآية ٥٩.

(٥) سورة النساء الآية ٨٣.

(٦) سورة الحجرات الآيتان ١ ، ٢.

وأولئك هم المفحلون﴾ [١] وقال تعالى : **﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** [٢] وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** [٣] .

وقد اتضح من هذه الآيات أن حق الرسول ﷺ متابعة أمره والإذعان لحكمه والرضا بقضائه، وأنه لا خيرة لنفسك مع خيرته، وأن لا تقدم أمر أحد على أمره ولا نهي أحد على نهيه، وأن تجيب دعوته وتصدق خبره إذا أخبر، وأن تحبه أكثر من الأهل والمال والولد، وتصلي عليه إذا ذكر، وأن تعلم أن الحياة والفلاح والفوز والظفر والنجاة في اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأن الهلاك والموت والبوار والخسارة في مخالفة أمره والتجريء على نواهيه وتكذيب أخباره، وأن سعادة العباد منوطة باتباعه وتعظيم شريعته والانقياد لها، والتأسي بأخلاقه وأعماله في سلمه وحربه ومدخله ومخرجه، وتعظيم سنته، وإنزالها بالمنزلة اللائقة بها، بحثاً عنها وتأسياً وعملاً بها ووقوفاً عندها ودعوة إليها وجهاداً في سبيلها، وبذل الجهد في نشرها وإعلائها، وبذل النفس والمال في نصرته، وغض الصوت عنده في حياته،

---

(١) سورة النور الآية ٥١ .

(٢) سورة النور الآية ٦٣ .

(٣) سورة الأنفال الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وبغض من أبغض وما أبغض، وحب من أحب وما أحب، ومحاربة من حاربه ومسالمة من سالمه، والرجوع إلى حكمه عند التنازع والرضى به وإن خالف ما تهواه النفس من الشهوات والأهواء والمذاهب والأعراف والعوائد والتقاليد الحزبية أو المذهبية أو القبلية أو الوطنية. هذا ما يتضح من معاني هذه الآيات، مع العلم أن السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ تسجل هذه المعاني وتزيد عليها نفي ما لا ينبغي له، وهو ما سجلته آيات أخرى، وذلك بعد سياق الأحاديث.

ففي الصحيحن عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[(١)] وفي البخاري أن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي، فقال: **«والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»** فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إليّ من نفسي فقال: **«الآن يا عمر»**[(٢)].

(١) أخرجه البخاري رقم ١٥ في كتاب الإيمان ومسلم ٢/ ١٥ باب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل، والنسائي وابن ماجه وأحمد.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ رقم ١٦٣٢.

وفي الصحيحن أيضًا عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»(١). وعن أبي محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» (٣) قال النووي في الأربعين: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: « **آمين آمين آمين**» وفيه «**من ذُكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين فقلت آمين**» رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن البخيل لمن ذكرت عنده فلم يصل علي**» رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ من طرق يصح الحديث بمجموعها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم ١٦ ومسلم ج٢ ومسلم ج٢ ص ١٣ واللفظ له، والترمذي أيضًا في كتاب الإيمان.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بضم المهملة وفتح العين المهملة أيضًا، ابن سعد بن سهم السهمي الهاشمي أبو محمد. صحابي مشهور. توفي في ليالي الحرة بالطائف ترجمه في التقريب ١/ ٤٣٦ والنبلاء ٣/ ٧٩ والإصابة ٢/ ٣٤٣ والاستيعاب ٢/ ٣٣٨.

(٣) تقدم تخريجه ص ٩.

أما إطراؤه ﷺ ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله بها، وإعطاؤه بعض خصائص الألوهية التي لا تنبغي إلا لله رب العالمين ، كعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، أو الادعاء بأنه يملك الضر والنفع، وأنه يستطيع أن يشفع في كل من أراد وينقذ من أراد إنقاذه يوم القيامة، وأنه يستطيع أن يغفر الذنوب ويحط الأوزار . . . فهذا كله قد نفاه الله عنه ونفاه هو عن نفسه، فأخبر الله أنه لا يعلم الغيب، وأنه لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، وأنه لا يهدي من أحب، وأخبر هو عن نفسه أنه لا يملك لأقرب الناس إليه من الله شيئًا ، وأنه لا يدري ما الله صانع به.

قال تعالى: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً**﴾ (٤)

(١) سورة الأنعام الآية ٥٠.

(٢) سورة يونس الآية ٤٩.

(٣) سورة الأعرف الآية ١٨٨.

(٤) سورة الجن الآيتان ٢١ ، ٢٢.

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» [١] والإطراء هو أن يرفع فوق منزلته ويعطي أكثر من حقه، وقد فرق الله بين حقه الخاص به والحق المشترك بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾ [٢] .

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين رسوله، وخص نفسه بالخشية والاتقاء، لأن هاتين الخصلتين من خصائصه سبحانه وتعالى، مع أن الطاعة للرسول مقيدة بإذن الله أي : مرتبة على الطاعة الله، قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** ﴾ [٣] وإن من الإطراء العظيم والمنكر الكبير والشرك الأكبر قول البوصيري[٤] :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ضلاً وإلا فقل : يا زلة القدم

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأنبياء رقم ٣٤٤٥ وأخرجه الدارمي ج٢ ، ص ٣٢٠ من كتاب الرقاق.

(٢) سورة النور الآية ٥٢ .

(٣) سورة النساء الآية ٦٤.

(٤) محمد بن سعيد البوصيري ولد سنة ٦٠٨هـ وتوفي ٦٩٤ انظر معجم المؤلفين ١٠/٢٨.

وقول عبد الرحيم البرعي[1] :

يا رســـول الله ياذا الفـــضل يــا   بهـــــجة المحـــشر جاهًا ومـقامًا
عـد على عـــبد الرحيـــم الملتـــجي   بحـــــمى عــــزك يا غوث اليتامى
وأقـــــلني عثـــــرتي يا سيـــدي   في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله :

يا سيدي يا رسول الله يـــا أمــــلي   يا مـــوئلي وملاذي يوم يلـــــقاني
هبني بجاهك ما قدمت مــــن زلل   جــودًا ورجـــح بفضل منك ميزان
واسمع دعائي واكشف ما يساورني   من الخطوب ونفـــس كل أحـــزاني
وأنــت أقرب من تــرجى عواطــفه   عندي وإن بعدت داري وأوطـــاني
إني دعـــوتك مــــن نــيابتي بــرع   وأنت أسمـــع من يدعـــوه ذو شان
فامنع جنـابي وأكرمني وصل نسبي   برحمـــــــة وكرامـــات وغفـــران

قلت : يصدق على هذا وأمـثاله ما قـاله بعض العلماء: لا ندري أي معنى اختص به الخالق بعد هذه المنزلة، فإذا كان قد جعل الرسول

(١) عبـد الرحيم البرعي هو عـبد الرحيم بـن أحمد بن علي البـرعي اليماني . شـاعر متصوف من سكان النيابتين في اليمن ، له ديوان شعر مطبوع أكثره في المدائح النبوية انتـهى من الأعـلام للزركلي ج٤ ص ١١٨ وقـال : توفي سنة ٨٠٣ ملحق البـدر الطالع لمحمد محمد زباره ص ١٢٠ .

موئلا وملاذًا وأعطاه غفر الذنوب وكشف الخطوب وإغاثة المكروب وسماع الدعاء وإجابة من دعا ، بل جعله أقرب من يرجى وأسمع من يدعوه ذو شأن، فأي شيء تركه لله هذا المخذول؟

وكأنه لم يقرأ قول الله عز وجل لنبيه : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾ وما في معناها من الآيات التي تقدم ذكرها، وقول الله لنبيه: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ [(١)] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه :﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ فقال : « **يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا** »[(٢)] .

وروى الطبراني وأحمد بسند ضعيف أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق. قال النبي ﷺ : «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»[(٣)] .

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

(٢) راجع صحيح البخاري ٤٧٧١ تفسير سورة الشعراء.

(٣) أخرجه الطبراني والإمام أحمد ج٥ ص٣١٧ ولفظه : « **إنه لا يقام لي** » بدل « **يستغاث بي** » وفي سنده ابن لهيعة ورجل مجهول.

وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**» فأنزل الله: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾[١]، وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها**»[٢]. وعن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك.

فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك**» **وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف في وجوه أصحابه، ثم قال: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما الله؟ إن عرشه على سمواته لهكذا ـ وقال بأصابعه مثل القبة ـ وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»**[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «**ما شاء الله**

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة آل عمران رقم ٤٥٥٩.

(٢) أخرجه النسائي بسند جيد.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة من سننه برقم ٤٧٢٦.

وشئت ! قال : « **أجعلتني لله ندًا ؟ بل ما شاء الله وحده**»[١] . وعن أبي حميد الساعدي ﵁ عنه أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على الصدقة وفيه: ثم قام رسول الله ﷺ ثم قال: «**لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء فيقول : يا محمد أغثني فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغت ، لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته بقرة لها خوار فيقول: يا محمد أغثني فأقول: لا أملك من الله شيئًا قد بلغت . لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته شاة لها يعار فيقول يا محمد أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغت**»[٢] .

وفي الصحيح عن ابن عباس ﵁ قال : قام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال : « **إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾وإن أول من يكسى يوم**

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٢١٤ و٢٢٤ و٢٨٤ و ٣٤٧ وأخرجه في ترتيب المسند للساعاتي ج١ في كتاب التوحيد رقم٩. قال الساعاتي رحمه الله : وسنده جيد وليس ببعيد ، لأن هشيمًا مدلس وهنا صرح بالتحديث ، ولفظه أجعلتني والله عدلا بل ما شاء الله وحده .

(٢) أخرجه البخاري في الهبة باب ١٧ والأيمان ٣/٦٦٣٦وفي ترك الحيل ٦٩٧٩ وفي الأحكام برقم ٧١٧٤ وفي لفظه بعض المغايرة ، ومسلم ج١٢ كتاب الإمارة باب هدايا العمال ص٢٢٠ و٢٢١ وأخرجه أبو داود في الإمارة رقم ٢٩٤٦ وأخرج عن أبي مسعود نحوه برقم ٢٩٤٧ واقتصر على ذكر البعير.

القيامة إبراهيم ثم يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ »[1].

وقد علم مما تقدم أن التعظيم الذي ينبغي لرسول الله ﷺ قد بينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو ما كان المقصود به التوقير والإجلال والمحبة والنصرة والتصديق والإيمان والطاعة والمتابعة، وأن التعظيم الذي لا ينبغي له قد بينه الله ووضحه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو ما كان المقصود به الغلو والإطراء وإخراج الرسول ﷺ، عن حيز البشرية والعبودية المصرفة المدبرة إلى حيز الألوهية والتصرف المطلق الذي ليس فوقه شيء، كما هو ظاهر في الأبيات الماضية وفي كلام ابن الحاج العبدري كما سيأتي إن شاء الله. فالله يقول له: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾[2] وهم يجعلون الأمر كله إليه. والله يقول له: ﴿ **استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[3]. وهو يقول: « **استأذنت ربي في**

---

(١) راجع صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء ج٧ ورقم ٤٧٤٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٨.

(٣) سورة التوبة رقم الآية ٨٠.

أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي»[١]
وهم يطلبون المغفرة منه والله تعالى يقول له : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين**﴾[٢] .

وهم يجعلون له خصائص الألوهية من جلب نفع ودفع ضر وإغاثة للملهوف وتفريج للكروب وسماع للدعاء وإجابة من دعا، والله تعالى يقول: ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾[٣]
ويقول : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾[٤]
وهم يقولون إنه يعلم الغيب حتى بعد موته، ويعلم أعمال أمته كلها ويسمع من دعاه ، وقد مر قول البرعي:

وأنت أسمع من يدعوه ذو شان

ففضله بذلك حتى على ربه سبحانه وتعالى: ﴿**كبرت كلمتاً**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز رقم الباب ٣٦ من طريق أبي هريرة : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « **استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي**».

(٢) سورة فصلت الآية ٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .

(٤) سورة النمل الآية ٦٥ .

تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ﴾ [٣] .

وأخيراً فإن الذين يخرجون الرسول ﷺ عن حيز البشرية إلى حيز الألوهية ويمنحونه بعض خصائصها بدعوى تعظيمه ﷺ ما هم إلا ضالون مشركون خارجون عن الإسلام ساعون في هدمه بدعوى تعظيم من جاء به، وما ذلك إلا تشويه للإسلام ، ومحاربة له وهدم لأعظم أسسه وإعادة للوثنيةالتي بعث النبي ﷺ بمحاربتها وهدمها والقضاء على جذورها في أعماق القلوب ﴿فإنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

---

(٣) سورة الكهف الآية ٥ .

فصل

هل زيارة قبره ﷺ من تعظيمه المشروع له ؟

وإذ قد عرفنا ما هو التعظيم الذي ينبغي له وما هو التعظيم الذي لا ينبغي له، فإنه بقي علينا أن نعرف هل زيارة قبره ﷺ من تعظيمه أم لا؟ قلت : لقد اتضح لنا مما سبق أنه لا يثبت في الزيارة حديث واحد ، وقد استعرضنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة التي تبين حقوقه ﷺ على أمته، فلم نر فيها شيئًا يأمر بالزيارة أو يحث عليها أو يرغب فيها لا بدلالة المنطوق ولا المفهوم ، ولا بعموم ولا بخصوص، ولا بإطلاق ولا تقييد، ولا بفحوى ولا ظاهر، بل وجدنا في الأحاديث الثابتة ما يدل على النهي عن الاستكثار منها، وهو قوله ﷺ **«لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً. وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**(١) .

والعيد ما اعتاده الإنسان وتردد عليه كالأعياد المكانية ، وما اعتاد هو على الإنسان كالأعياد الزمانية، فدل على أن من تردد إلى قبرالنبي ﷺ فقد اتخذه عيداً، ومن اتخذ قبره عيداً فقد عصاه، ومن عصاه فقد انتقصه ولم يعظمه، فتعظيمه ﷺ مطلوب ما لم يبلغ إلى

---

(١) تقدم تخريجه ص٤٥ .

حد التقديس الذي يخرجه عن حيز البشرية ويعطيه بعض خصائص الألوهية، فإن بلغ إلى هذا التقديس عاد على شريعته بالنقض، ومتى عاد على شريعته بالنقض فإنه يكون انتقاصًا وليس بتعظيم ، فإن تعظيمه، في متابعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه لا في مخالفته ومشاقته.

وقد أدرك هذا المعنى سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فحجبوا قبره عن الناس، وإلى هذا تشير عائشة ﵂ بقولها : (غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا) ، وماذاك إلا استجابة من الله عز وجل لدعائه حيث يقول : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[٢] . قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة جدران[٣]

والمهم أنه حذر أمته من أن يتخذوا قبره عيدًا فيزيدوا في تعظيمه حتى يبلغوا به إلى حد التقديس فيعبدوه، كما فعل أهل الكتاب بأنبيائهم، ولهذا لعن اليهود والنصارى باتخاذهم لقبور أنبيائهم مساجد محذرًا لأمته من صنيعهم.

---

(٢) تقدم تخريجه ص٢٨ .

(٣) النونية لابن القيم رحمه الله .

فصل

المشروع هو زيارة المسجد لا القبر

وبهذا يتبين أن زيارة قبره ليست من التعظيم المشروع المأمور به، ولكن المشروع هو زيارة مسجده ﷺ لقوله صلوات الله وسلامه عليه: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[1] .

وقوله ﷺ : «**صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، وصلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه**»[2] .

ومتى وصل المسلم إلى المسجد سن له أن يزور القبر كما كان يفعل عبد الله بن عمر: « كان إذا قدم من سفر أو أراده جاء إلى القبر فقال: (السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر .

---

(١) راجع صحيح البخاري أبواب التطوع ، باب فضل مسجد مكة والمدينة ١٦٨٩ ومسلم في آخر الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٣٩٧ وأبو داود في المناسك باب في إتيان المدينة ٢٠٣٣ والنسائي في المساجد باب ما تشد الرحال إليه من المساجد ، وأحمد ج٢٣٤.

(٢) أخرجه البخاري مختصراً في باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم ١١٩٠ .

السلام عليك يا أبت) فإذا قدم وصلى في المسجد ثم زار لم يسن له أن يفعل ذلك مرة أخرى إلا عند السفر ، أما المقيمون بالمدينة فلا يسن لهم ذلك أيضًا إلا عند السفر أو القدوم، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يدخلون المسجد كل يوم خمس مرات على الأقل، فلم يؤثر أنهم أو أحدًا منهم كان يمر على القبر أو يقف عنده رغم كثرة ترددهم إلى المسجد، إلا ما أثر عن عبد الله بن عمر.

وبهذا استدل مالك حين بلغه أن أقوامًا يقفون على القبر في اليوم أو الأسبوع المرة أو المرتين فقال : لم يبلغنا ذلك عن سلف هذه الأمة ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ونهى علي بن الحسين زين العابدين - وهو أعلم أهل البيت في زمانه- الرجل الذي رآه يأتي إلى السدة فيدعو - وكذلك الحسن بن الحسن بن علي نهى رجلاً آخر رآه يأتي إلى السدة فيدعو - وكذلك الحسن بن الحسن بن علي نهى رجلاً آخر رآه يأتي إلى القبر، واحتج كل منهما بقوله ﷺ : **«لا تجعلوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**. هذا هو المحفوظ عن سلف الأمة، وهو يبين أن زيارة قبره ﷺ ليست من تعظيمه. وقد رد ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي على ابن السبكي) في زعمه أن زيارة قبره ﷺ من تعظيمه وتعظيمه واجب، وكذلك زيارة قبره واجبة فرد عليه باثني عشر وجهًا، فلنستمع إليه فيما رد به حيث

يقول:

وقوله: زيارة القبور تعظيم النبي ﷺ واجب ، الكلام عليه من وجوه: أحدها [1] : أن يقال : هاتان المقدمتان أخذتا على إطلاقهما فأنتجتا أن زيارة قبره واجبة ، وهو إنتاج لازم للمقدمتين لزومًا بينًا ، ثم يلزم على هذا لوازم منها :

أن تارك زيارة قبره عاص آثم مستحق للعقوبة منتفي العدالة لا تصح شهادته ولا تقبل روايته ولا فتواه، وفي هذا تفسيق لجميع الصحابة إلا من صح عنه منهم الزيارة، ولا ريب أن هذا شرٌ من قول الرافضة الذين فسقوا جمهورهم بترك تولية علي، بل هو من جنس قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب، لأن تارك هذه الزيارة عنده تارك لتعظيمه وترك تعظيمه كفر أو ملزوم للكفر، فإن تعظيم الرسول ﷺ من لوازم الإيمان ، فعدمه ملزم للكفر، وعلى هذا فكل من لم يزر قبره ﷺ فهو كافر، لأنه تارك تعظيمه ﷺ ولا ريب أن الروافض والخوارج لم يصلوا إلى الجهل والكذب على الله ورسوله وعلى الأمة.

يوضحه **الوجه الثاني**: أن الخوارج إنما كفروا الأمة بمخالفة أمره ومعصيته، وتمسكوا بنصوص متشابهة لم يردوها إلى المحكمة ، وأما

(١) هذه الأوجه لم التزم نقلها على الترتيب من الصارم المنكي وإنما نقلت منها محل الحاجة.

عباد القبور فكفروا بموافقة الرسول ﷺ في نفس مقصوده، وجعلوا تجريد التوحيد كفرًا وانتقاصًا، فأين المكفر بالنذب من المكفر بموافقة الرسول وتجريد التوحيد؟

يوضحه **الوجه الثالث**: أن زيارة قبره لو كانت تعظيمًا له لكانت مما لا يتم الإيمان إلا بها، ولكانت فرضًا معينًا على كل من استطاع إليها سبيلاً، ولما أضاع السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هذا الفرض وقام به الخلف الذين خلفوا من بعدهم يزعمون أنهم بذلك أولياء الرسول ﷺ وحزبه القائمون بحقوقه، وما كانوا أولياءه إلا أهل طاعته والقائمون بحقوقه علمًا ومعرفة وعملاً وإرشادًا وجهادًا، الذين جردوا توحيد الخالق وعرفوا للرسول حقه ووافقه في تنفيذ ما جاء به والدعوة إليه والذبّ عنه.

الوجه الرابع: أنه إذا كانت زيارة قبره واجبة على الأعيان كانت الهجرة إلى القبر آكد من الهجرة إليه في حياته، فإن الهجرة إلى المدينة قد انقطعت بعد الفتح كما قال النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**» وعند عباد القبور أن الهجرة إلى القبر فرض معين على من استطاع إليه سبيلاً.

وليس يخاف أن هذا مراغمة صريحة لما جاء به الرسول ﷺ وإحداث في دينه ما لم يأذن به، وكذب عليه وعلى الله تعالى، وهذا من أقبح التنقض.

الوجه الخامس: أن يقال لهذا المعترض وأشباهه من عباد القبور: أتوجبون كل تعظيم للرسول ﷺ أو نوعًا خاصًا من التعظيم، فإن أوجبتم كل تعظيم لزمكم أن توجبوا السجود لقبره، وتقبيله، واستلامه والطواف به، لأنه من تعظيمه، وقد أنكر ﷺ على من عظمه بما لم يأذن به (الله) كتعظيم من سجد له وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**»[1].

ومعلوم أن مطريه إنما قصد تعظيمه، وقال ﷺ لمن قال له: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا: «**عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»[2] فمن عظمه بما لا يجب فقد أتى بضد التعظيم، وهذا نفس ما حرمه الرسول ﷺ ونهى عنه وحذر منه.

وأيضًا فإن الحلف تعظيم له، فقولوا يجب على الحالف أن يحلف به لأنه تعظيم له، وتعظيمه ﷺ واجب، وكذلك تسبيحه وتكبيره والتوكل عليه والذبح باسمه.

كل هذا تعظيم له، ومعلوم أن إيجاب هذا مثل إيجاب الحج إليه بالزيارة على من استطاع إليه سبيلاً، وإن قلتم إنما نوجب نوعًا خاصًا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

من التعظيم طولبتم بضابط هذا النوع وحده، والفرق بينه وبين التعظيم الذي لا يجب ولا يجوز، وبيان أن الزيارة من هذا النوع الواجب، وإلا كنتم متناقضين موجبين في الدين مالم يوجبه الله وشارعين شرعًا لم يأذن به الله . . إلى أن قال:

الوجه السادس: أن القول بعدم وجوب زيارة قبره أو بعدم استحبابها أو بعدم شد الرحال (لها) لا يقدح في تعظيمه بوجه من الوجوه، وهو بمنزلة قول من قال من أئمة الإسلام: لا تجب الصلاة عليه في التشهد الأخير، وبمنزلة قول من قال: تكره الصلاة عليه عند الذبح، وبمنزلة قول من قال: لا تستحب الصلاة عليه في التشهد الأول ولا عند التشهد في الآذان ، بل قول من نفى وجوب الزيارة أو جواز شد الرحال إلى القبر أولى أن لا يكون منافياً للتعظيم من قول من نفى وجوب الصلاة عليه أو استحبابها في بعض المواضع، لأن الصلاة عليه مأمور بها، وقد ضمن للمصلي عليه مرة أن يصلي الله عليه عشرًا بل الصلاة عليه محض التعظيم له.

فنفي وجوبها أو استحبابها في بعض المواضع ليس بترك للتعظيم، وليس إنكار وجوب كل من الأمرين قادحًا في تعظيمه، بل ذلك عن تعظيمه، يدل عليه:

الوجه السابع: أن تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب وكراهة ما يكره والرضا بما يرضى به، وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه،

والمبادرة إلى ما رغب فيه والبعد عما حذر منه، وأن لا يتقدم بين يديه ولا يقدم على قوله قول أحد سواه، ولا يعارض ما جاء به بمعقول ثم يقدم المقعول عليه كما يقوله أئمة هذا المعترض، الذين تلقى عنهم أصول دينه وقدم أراءهم - وهو أحسن ظنونهم- على كلام الله ورسوله، ثم ينسب ورثة الرسول الواقفين مع أقواله المخالفين لما خالفها إلى ترك التعظيم، وأي إخلال بتعظيم وأي تنقص فوق من عزل كلام الرسول ﷺ عن إفادة اليقين وقدم عليه آراء الرجال، وزعم أن العقل يعارض ما جاء به وأن الواجب تقدم المقعول وآراء الرجال على قوله ﷺ ؟

الوجه الثامن : أن إيجاب زيارة قبره أو استحبابها وشد الرحال إليه من أجل تعظيمه يتضمن جعل القبر منسكًا يحج إليه كما يحج إلى البيت العتيق كما يفعله عباد القبور، ولا سيما فإنهم يأتون عنده بنظير ما يأتي به الحاج من الوقوف والدعاء والتضرع، وكثير منهم يطوف بالقبر ويستلمه ويقبله ويمسح عليه، فلم يبق عليه من أعمال المناسك إلا الحلق والنحر ورمي الجمار، فإيجاب الوسيلة إلى هذا المحذور واستحبابها من أعظم الأمور منافاة لما شرعه الله ورسوله، وقد آل الأمر بكثير من الجهال إلى النحر عند قبور من يشدون الرحال إلى قبورهم وحلق رؤوسهم عند قبورهم وتسمية زيارتها حجًا ومناسك، وكان سبب هذا هو الغلو الذي يظنه من قل علمه تعظيمًا،

ولا ريب أن هذا أكره شيء إلى الرسول ﷺ قصداً ووسيلة.

الوجه التاسع: أن هذا الذي قصده عباد القبور من التعظيم هو بعينه السبب الذي لأجله حرم الرسول ﷺ اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها، ولعن فاعل ذلك، ونهى عن الصلاة إليها وحرم اتخاذ قبره عيداً، ودعا ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، ولأجله نهى فضلاء الأمة وساداتها عن ذلك.

ولأجله أمر عمر رضي الله عنه بتعفية قبر دانيال لما ظهر في زمن الصحابة، ولأجله منع مالك من نذر إتيان المدينة وأراد القبر أن يوفي بنذره، ولأجله كره الشافعي أن يعظم قبر مخلوق حتى يجعل مسجداً كما قال: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً.

ولأجله كره مالك أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ لما يوهم هذا اللفظ من أنه إنما قصد المدينة لأجل زيارة القبر، ولما فيه من تعظيم القبر بإضافة الزيارة إليه مع كونه أعظم القبور وأجلها وأشرف قبر على وجه الأرض، فالفتنة بتعظيمه أقرب من الفتنة بتعظم غيره من القبور، فحمى مالك رحمه الله الذريعة حتى في اللفظ، ومنع الناذر من إتيانه، ولو كان إتيانه قربة عنده لأوجب الوفاء به، فإن من أصله أن كل طاعة تجب بالنذر سواء كان من جنسها واجب بالشرع أو لم يكن.

ولهذا يوجب إتيان مسجد المدينة على من نذر إتيانه وقد منع ناذر

إتيان القبر من الوفاء بنذره، فلو كان ذلك عنده قربة لألزمه الوفاء به، ومن رد هذا النقل عنه وكذب الناقل فهو من جنس من افترى الكذب وكذب بالحق لما جاءه، فإن ناقله ممن له لسان صدق في الأمة بالعلم والإمامة والصدق والجلالة، وهو القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن حماد بن زيد أحد الأئمة الأعلام، وكان نظير الشافعي وإماماً في سائر العلوم حتى قال المبرد: إسماعيل القاضي أعلم مني بالتصريف، وروي عن يحيى بن أكثم أنه رآه مقبلاً فقال: قد جاءت المدينة.

وقد ذكر هذا النقل عن مالك في أشهر كتبه عند أصحابه وأجلها عندهم وهو (المبسوط) فمن كذبه فهو بمنزلة من كذب مالكاً والشافعي وأبا يوسف ونظراءهم.

وإذا وصل الهوى بصاحبه إلى هذا الحد فقد فضح نفسه وكفى خصمه مؤنته، ومن جمع أقوال مالك وأجوبته وضم بعضها إلى بعض ثم جمعها إلى أقوال السلف وأجوبتهم، قطع بمرادهم وعلم نصيحتهم للأمة وتعظيمهم للرسول وحرصهم على اتباعه وموافقته في تجريد التوحيد وقطع أسباب الشرك، وبهذا جعلهم الله أئمة وجعل لهم لسان صدق في الأمة، فلو ورد عنهم شيء خلاف هذا لكان من المتشابه الذي يرد إلى المحكم من كلامهم وأصولهم، فكيف ولم يصح عنهم حرف واحد يخالفه؟ فتبين أن

هذا التعظيم الذي قصده عباد القبور هو الذي كرهه أهل العلم، وهو الذي حذر منه رسول الله ﷺ ونهى عنه أمته ولعن فاعله وأخبر بشدة غضب الله عليه حيث يقول: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1].

ومعلوم قطعًا أنهم إنما فعلوا ذلك تعظيمًا لهم ولقبورهم، فعلم أن التعظيم للقبور مما يلعن الله فاعله ويشتد (به) غضبه عليه.

الوجه العاشر: أن هذا الذي يفعله عباد القبور من المقاصد والوسائل ليس بتعظيم، فإن التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه، فالتعظيم بالقلب ما يتبع اعتقاد كونه رسولاً، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ويصدق هذه المحبة أمران:

أحدهما: تجريد التوحيد، فإنه ﷺ كان أحرص الخلق على تجريده حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ونهى عن عبادة الله بالتقرب إليه، بالنوافل من الصلوات في الأوقات التي يسجد فيها عباد الشمس لها، بل قبل ذلك الوقت من بعد أن تصلي الصبح والعصر لئلا يتشبه الموحدون بهم في وقت عبادتهم، ونهى أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان. ونهى أن يحلف بغير الله وأخبر أن ذلك شرك، ونهى أن يصلي إلى القبر أو يتخذ مسجدًا أو عيدًا أو يوقد

(١) هو تكملة حديث: « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** » الذي تقدم تخريجه.

عليها سراج [١] وذم من شرك بين اسمه واسم ربه تعالى في لفظ واحد فقال له: «بئس خطيب القوم أنت» [٢] بل مدار دينه على هذا الأصل الذي هو قطب رحى النجاة، ولم يقرر أحدٌ التوحيد ما قرره ﷺ بقوله وفعله وهديه وسد الذرائع المنافية له. فتعظيمه ﷺ بموافقته على ذلك لا بمناقضته فيه.

الثاني: تجريد متابعته وتحكيمه وحده في الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه، والرضى بحكمه والانقياد له والتسليم والإعراض عمن خالفه وعدم الالتفات إليه حتى يكون وحده الحاكم المتبع المقبول قوله، كما كان تعالى وحده المعبود المألوه المخوف المرجو المستغاث به المتوكل عليه ، الذي إليه الرغبة والرهبة وإليه الوجهة والعمل، الذي يؤمل وحده لكشف الشدائد وتفريج الكربات ومغفرة الذنوب، الذي خلق الخلق وحده ورقهم وحده وأحياهم وحده، وأماتهم وحده ويبعثهم وحده ويغفر ويرحم ويهدي ويضل ويسعد ويشقي وحده، وليس لغيره من الأمر شيء. وأقرب الخلق إليه وسيلة وأعظمهم عنده جاهاً وأرفعهم إليه ذكراً وقدراً وأعمهم عنده شفاعة ليس له من الأمر شيء ولا يعطي أحداً شيئاً ولا يمنع أحداً شيئاً ولا يملك لأحد ضراً ولا رشداً، وقد قال لأقرب الخلق إليه وهم ابنته وعمه وعمته: **«يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً يا عباس عم رسول الله لا أغني**

---

(١) يشير بهذا إلى حديث: «لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجمعة ٨٧٠ وأبو داود والنسائي.

عنك من الله شيئًا يا صفية عـمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا »[١] فهذا هو التعظيم الحق المطابق لحال المعـظم النافع للمعظم في معاشه ومعاده الذي هو لازم إيمانه وملزومه.

وأما التـعظيم باللسان فهو الثناء علـيه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه وأثنى عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، فكما أن المقصر المفرط تارك لتعظيمـه فالغالي المفرط كذلك، وكل منهمـا شر من الآخر من وجه دون وجه، وأولياؤه سلكوا بين ذلك قوامًا.

وأما التعظيم بالجوارح فهو العـمل بطاعته والسعي في إظهار دينه وإعلاء كلماته ونصر ما جاء به وجهـاد من خالفه، وبالجملة فالتعظيم النافع هو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والموالاة والمعاداة والحب والبـغض لأجله ، وفيـه، وتحكيمـه وحده والرضى بحكـمه، وأن لا يتخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم إلى أقـواله فما وافقها من قول الرسول قبله وما خالفها رده أو تأوله أو أعرض عنه، والله سبحانه يشهد وكفى به شيهدًا وملائكته وأولياؤه.

إن عباد القبور وخصوم الموحدين ليسوا كذلك وهم يشهدون على أنفسهم بقديم آراء شيوخهم وأقوال متـبوعيهم على قوله وأنه لا يستفاد من كلامـه يقين وأنه إذا عارضه (أقـوال الرجال) قدمت عليـه وكان الحكم ما تحكم به.

---

(١) تقدم تخريجه ص١٨١ .

أفلا يستحي من الله ومن العقلاء من هذا حاله في أصول دينه وفروعه أن يتستر بتعظيم القبر ليوهم الجهال أنه معظم لرسوله ناصر له منتصر له ممن ترك تعظيمه وتنقصه؟ ويأبى الله ذلك ورسوله ﷺ والمؤمنون: **﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** اهـ[1].

فرحمه الله من جهبذ قدير وعالم نحرير، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

الكلمة الثانية

قال : ٢ - قال أبو الحسن أحمد بن محمد المحاملي ت٤٢٥[2] في (التجريد) : ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي ﷺ .

ج - قلت هذا وأمثاله محمول على إرادة زيارة المسجد، ولكن

---

(١) الصارم المنكي ص٢٨٦ - ٢٩٣.

(٢) أبو الحسن المحاملي شيخ الشافعية أحمد بن محمد بن محمد بن القسم بن إسماعيل الضبي توفي سنة ٤١٥ خمس عشرة وأربع ومائة فتأريخ صاحب الرسالة خطأ ترجم وفاته في هذه السنة ابن العماد في الشذرات ص٢٠٢ .

التساهل في العبارة هو الذي أدى بهم إلى هذا ، وشيخ الإسلام رحمه الله لم يمنع زيارة المسجد، بل حكى إجماع الأمة عليها ولم يمنع شرعية زيارة القبر لمن زار المسجد كما واضح من كلامه الذي سبق.

ومن جهة أخرى فإن هؤلاء العلماء الذين قالوا باستحباب زيارة القبر ليس قولهم حجة كما سبق في المقدمة، بل لا يقبل قولهم إلا بحجة عن الله أو عن رسوله ﷺ وأي قول بلا حجة فإنه مردود على قائله كائنًا من كان ، وبالله التوفيق.

الكلمة الثالثة

قال : ٣ - قال القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ت ٤٥٠[1] : ويستحب أن يزور النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر.

ج - قلت : جوابه قد تقدم فلا داعي للإعادة .

---

(١) أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري الشافعي . بلغ من العمر مائة سنة وسنتين ، وهو مع ذلك يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ، ويقضي ويشهد ويحضر المواكب إلى أن مات سنة ٤٥٠ من مؤلفاته : شرح مختصر المزني «ترجمة» ش ٣/ ٢٨٤ .

الكلمة الرابعة

قال: ٤ ـ قال أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠ في (الأحكام السلطانية) ص ١٠٥: فإذا عاد ولي الحاج سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ رعاية لحرمته وقياماً لحقوق طاعته، وذلك إن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة.

ج – قلت: إن قصد زيارة المسجد فهي بلا شك من مندوبات الشرع المستحبة، وإن قصد زيارة القبر فانفرادها فإن كلامه مردود، لأن الأحاديث التي يستدل بها من يرى هذا الرأي كلها باطلة، وإن شاء السفر بقصد زيارة القبر وحدها منهى عنه لحديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد**» الحديث. وقد قدمت في هذا البحث ما فيه كفاية لمن أراد الحق.

وقال في (الحاوي) (أي الماوردي) [1]: أما زيارة قبر النبي ﷺ فمأمور بها ومندوب إليها.

---

(١) أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي مصنف الحاوي وغيره، وذكره ابن الصلاح في طبقاته واتهمه بالاعتزال إلى أن قال: نعم يوافقهم في القول في القدر، وهي بلية على البصريين، توفي سنة ٤٥٠. ترجمه ابن العماد في الشذرات ٣/٢٨٦ وابن كثير في البداية ١٢ / ٨١.

ج - قلت : كلاّ لم يؤمر بها ولـم يندب إليها، وكل ما ورد في ذلك فهو لا يصح بحال.

الكلمة الخامسة

قال : ٥ - وحكى عبد الحق بن محمد الصقلي ت٤٦٦ (١) في كتابه (تهذيب الطالب) عن الشيخ أبي عمران المالكي أنه قال: إنما كره مالك أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة.

قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبه (في المدخل ١ ص٢٥٦) يريد وجوب السنن المؤكدة.

ج - قلت : **أولاً**: إن هذا كلام مرتبك متناقض، فلا يصح أن يكون الشيء واجبًا وسنة في حين واحد، فالواجب يثاب فاعله ويعاقب تاركه، والسنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، فلا يعقل أن يكون

---

(١) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد ، الحافظ العلامة الحجة أبو محمد الأزدي الأشبيلي ، ولد سنة ٥١٠ وقيل ٥١٤ وتوفي سنة ٥٨١ . التذكرة للذهبي . وكذلك ترجمة ابن العماد في هذه السنة ٥٨١ ج٤/ ٢٧١ وهو يختلف عن صاحب الكلمة في الزمن والنسبة ، ويتفق معه في الاسم وكونه من أهل الأندلس ، فلعل هذا رجل آخر غير العالم المشهور وهو يريد أن يموه بالاسم .

الإنسان آثمًا وغير آثم، ومعاقبًا وغير معاقب في شيء واحد ووقت واحد.

ثانيًا : إن الوجوب حكم شرعي لا يؤخذ إلا من دليل شرعي، ولا دليل على الوجوب ولا على الاستحباب، ومن حكم على شيء بالوجوب أو الاستحباب أو التحريم أو الكراهة بدون دليل فقد نصب نفسه مشرعًا وزاحم رسول الله ﷺ على منصبه ومقامه الذي وضعه الله به حيث يقول: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾[١] .

ثالثًا : إن تأويل قول مالك بما ذكر صرف للكلام عن ظاهره، وبعد به عن حقيقته وتمحل فاسد وتأويل باطل، لا يعدو قائله أن يكون مشابهًا لمن قال الله فيهم : ﴿ **وإن منه لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾[٢] .

رابعًا : إذا أشكل كلام مالك فعلى الباحث أن يجمع بعضه إلى بعض وينظر فيه، فإن فسر بعضه بعضاً وتبين مراده منه لا لأنه شرع بنفسه ولكن لنعلم موقف قائله من الشرع، كما هو معلوم عندنا وعند جميع أهل العلم أن قائله من أئمة الدين وممن لهم لسان صدق

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨.

في الآخرين وهو نفسه يقول : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، ويشير إلى قبر رسول الله ﷺ .

والمهم أن الذي يجب علينا أن نجمع كلام مالك من مصادره فإن اتضح الإشكال وإلا رددنا ما أشكل منه إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ وقد نظرنا في كلام مالك فوجدناه يفسر بعضه بعضًا .

فقد نقل في (المبسوط) عن مالك أنه قال : وليس يلزم من دخل المسجد أو خرج منه من أهل المدينة الوقوف على القبر، وإنما ذلك للغرباء ، ونقل عنه في المصدر المذكور أنه قال : ولا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

قيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو اليوم المرة والمرتين والأكثر ، فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه أولى ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده ، انتهى.

فتبين من هذا أن كراهة مالك لذلك إنما هي من أجل أن هذا لم ينقل عن السلف رحمهم الله، ثم هو مباينة لقوله ﷺ : « **لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» أما من أنشأ سفرًا للزيارة فقد كره مالك أيضًا أن

يقول زرنا قبر النبي ﷺ لأنه لم ينقل عن السلف، وحاشا عليهم أن يقولوا خلاف ما أمرهم به نبيهم ﷺ وهو يقول : « **لا تشد الرحال** ... » الحديث.

ولكن ليقل : زرنا مسجد النبي ﷺ فتلك هي السنة، وما أصنعها وأبينها لمن أراد الحق وسلم من الهوى، والتوفيق من الله .

قال ابن عبد الهادي رحمه الله : فقد بين مالك رحمه الله أنه لم يبلغه عن السلف رحمهم الله من الصحابة المقيمين بالمدينة أنهم كانوا يقفون بالقبر عند دخول المسجد إلا لمن قدم من سفر، مع أن الذي يقصد السفر فيه نزاع مذكور في غير هذا الموضع، وقد ذكر القاضي عياض عن أبي الوليد الباجي أنه احتج لما كرهه مالك فقال : أهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وقال : « **لا تجعلوا قبري عيداً**».

قلت : (أي ابن عبد الهادي) فهذا يبين أن وقوف أهل المدينة بقبره - وهو الذي يسمى زيارة لقبره - من البدع التي لم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن ذلك منهي عنه بقوله : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وقوله : « **لا تتخذوا قبري عيداً**».

وإذا كانت هذه الزيارة مما نهى عنه في الأحاديث، فالصحابة أعلم بنهيه وأطوع له، ولهذا لم يكن بالمدينة منهم من يزور قبره. انتهى.

الكلمة السادسة

قال : ٦ - قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي [(١)] الفقيه الشافعي المتوفي ٤٧٦ في (المهذب) : يستحب زيارة قبر رسول الله ﷺ.

الكلمة السابعة

قال : ٧ - قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد[(٢)] الكلوذاني الفقيه البغدادي الحنبلي المتوفي ٥١٠ في كتابه (الهداية) : وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه.

ج - قلت : أولاً : هذا محمول على أن هؤلاء أرادوا الزيارة

(١) تقدمت ترجمه الشيرازي.

(٢) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني أو الكلواذي ، نسبه إلى قرية كلواذي قرية ببغداد ، ثم الأزجي ، شيخ الحنابلة صاحب التصانيف ، كان إمامًا علامة ورعًا صالحًا وافر العقل غزير العلم ، ولد سنة ٤٣٢ وتوفي سنة ٥١٠ ابن العماد ٤/ ٢٧ ، ٢٨ مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ص٤٠٩.

الشرعية بإنشاء السفر إلى المسجد، ثم زيارة القبر من هنالك، ولكن التساهل في العبارة هو الذي أدى بهم ذلك.

وشيخ الإسلام لا يمنع الزيارة الشرعية كما يتضح ذلك من كلامه الذي نقلناه سابقًا ، بل حكى الإجماع على الزيارة الشرعية كما حكاه غيره، وحقيقة الزيارة الشرعية هي أن ينوي السفر إلى المسجد ، فإذا وصل إلى المسجد سنَّ له زيارة القبر.

ثانيًا : كلام هؤلاء وإن حمل على ظاهره فهو ليس بملزم للخصم، لأنه ليس بحجة بل هو مما يحتج له، فيقال لهؤلاء ومن سلك مسلكهم: ما هو دليلكم على ما تقولون وقد علمتم أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة بين ضعيف شديد الضعف أو منكر أو موضوع؟ فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

الكلمة الثامنة

٨ - قال القاضي عياض المالكي المتوفي ٥٤٤ في (الشفاء) : وزيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها . . .إلخ.

ج - قال ابن عبد الهادي رحمه الله في (الصارم المنكي) قلت : هذا الإجماع الذي حكاه القاضي حكاه شيخ الإسلام أيضًا في غير موضع، وقد قدمنا غير مرة ذكره، وذكر في مصنفاته وفتاويه ومناسكه استحباب زيارة قبر النبي ﷺ على الوجه المشروع .

ولم يذكر في ذلك نزاعًا بين العلماء، وإنما ذكر الخلاف بينهم في السفر لمجرد زيارة القبور واختـار المنع من ذلك كما هو مذهب مالك وغيره من أهل العـلم؛ وهو الذي اختاره القاضي عيـاض بعد حكاية هذا الإجماع، ومقصود المعترض الاحتجاج على الشيخ بهذا الإجماع الذي ذكـره القاضي عـياض، والشـيخ لا يخـالف هذا الإجمـاع بل يوافقـه ويذهب إليه ويحكـيه في مواضع مع قـوله بالنهي عن السـفر لزيارة القـبور كمـا ذهب إليه الـقاضي عيـاض ناقل هذا الإجـماع، وينبغي للمعترض وأمثاله أن يعرفوا الفرق بين مواقع الإجماع ومحال النزاع ولا يخلطوا بعضها ببعض.

ولا ريب أن الإنسان إذا أتى مـسجد النبي ﷺ اسـتحب له أن يفعل فـيه مـا يشرع من الصـلاة، والصلاة على رسول الله والتـسليم والثناء عليه ونـشر فضائلـه ومناقبه وسننه ومـا يوجب مـحبتـه وتعظمه والإيمان به وطاعتـه، وهذا هو المقصود من الزيارة الشـرعية، والسـفر إلى مسجده للصلاة فيه وما يتبع ذلك مستحب بالنص والإجماع.

والسفـر لمجرد زيارة القبر فـيه نزاع، قال الشيخ في أثناء كـلامه: والقاضي عياض مع مالك وجمهور أصحابه يقولون إن السفر إلى غير المساجد الثلاثةمحرم كقبور الأنبياء.

فقـول القاضي عيـاض إن زيارة قبـره سنة مجمع عليـها وفـضيلة مرغب فيهـا ، المراد به الزيارة الشرعية كما ذكـره مالك وأصحابه من

أنه يسافر إلى مسجده ثم يسلم عليه ويصلي عليه كما ذكروه في كتبهم.

ثم أطال الكلام وقال: والمقصود أن ما حكى القاضي عياض فيه الإجماع لم ينه عنه في الجواب، بل السفر إلى مسجده وزيارته على الوجه المشروع سنة مجمع عليها كما ذكره القاضي عياض، وبعضهم يسميها زيارة لقبره وبعضهم يكره أن يسميها زيارة.

ولا يدخل في ذلك السفر إلى غير المساجد الثلاثة كالسفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، ومن سافر لمجرد زيارة قبره فلم يزر زيارة شرعية، بل بدعية، فلهذا لا يقول أحد إنه مجمع على أنها سنة، ولكن هذا الموضع مما يشكل على كثير من الناس، فينبغي لمن أراد أن يعرف دين الإسلام أن يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين، ليعرف المجمع عليه من المتنازع فيه، وأن الزيارة فيها مسائل متعددة متنازع فيها ولكن لم يتنازعوا فيما علمت في استحباب السفر إلى مسجده واستحباب الصلاة والسلام عليه فيه ونحو ذلك مما شرعه الله في مسجده، ولم تتنازع الأئمة الأربعة والجمهور في أن السفر إلى غير الثلاثة ليس بمستحب، لا لقبور الأنبياء والصالحين ولا لغير ذلك، فإن قول النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال ...**» حديث متفق على صحته والعمل به عند الأئمة المشهورين، وعلى أن السفر إلى زيارة القبور داخل فيه. اهـ.

قلت : خلاصة الكلام في الزيارة يتضح بهذا التقسيم:

أولاً: السفر إلى مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه ثم زيارة القبر والزيارة تابعة وليست هي أصل القصد . وهذه هي الزيارة السنية الشرعية، وهي التي حكى الإجماع عليها القاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما.

ثانيًا : السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين والأماكن المقدسة غير المساجد الثلاثة كجبل الطور ، وهذا السفر انعقد الإجماع بين الصحابة والتابعين وأئمة الدين المعتبرين على منعه امتثالاً لنهي النبي ﷺ في قوله : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...** » وقال جماعة من المتأخرين بجوازه ، وتأولوا الحديث بتأويل مردود ، وقولهم هذا مصادم للنص ولإجماع الصحابة والتابعين وجميع أئمة المسلمين كما تقدم بيانه في موضعه.

ثالثًا : إنشاء السفر بقصد زيارة قبر النبي ﷺ وهو مدار البحث.

فهذا قد عصى بنيته وقصده، وهو آثم على هذا القصد لمخالفته لحديث :«**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»وسفره محل نزاع بين العلماء : فمن نظر إلى محل وصوله وهو المسجد، قال بأن سفره مباح أو مندوب، لأنه يصل إلى المسجد الذي ندب الشرع إلى السفر إليه.

ومن نظر إلى نيته قال السفر غير مباح ولا مأذون فيه، لأنه إنما نوى به للقبر ولم ينو به للمسجد، وصاحب القبر هو الذي نهى عن ذلك.

والذي ترجح لي والله أعلم أنه آثم بنيته وسفره مباح، لأنه إنما يصل المسجد أولاً وإن سماها زيارة للقبر ولكن الذي ينبغي للمسلم أن يعلم : أن الزيارة المشروعة هي زيارة المسجد وليست زيارة القبر ، ولهذا كره مالك أن يقول : زرنا قبر النبي ﷺ .

رابعًا : زيارة أهل المدينة المقيمين بها للقبر كل يوم أو بعد كل فريضة أو في كل جمعة. هذا هو الذي أنكره مالك رحمه الله، وقال أنه لم يبلغه عن سلف هذه الأمة - يعني الصحابة- وبه يقول أهل السنة قاطبة، إلا أنهم يستثنون من قدم من سفر كما ورد عن عبد الله ابن عمر، وفيمن أراد السفر نزاع كما قال ذلك العالم الجليل ابن عبد الهادي رحمه الله ، وهذا كله فيما إذا أراد الإنسان الزيارة الشرعية، وهي السلام على المزور والدعاء له.

خامسًا : أما الزيارة الشركية والزيارة البدعية التي يقصد منها دعاء المقبور أو الدعاء عند قبره ، فهذه لم يقل بها أحد من أهل العلم المعتبر بقولهم، ولا غرابة أن يأتي قوم ممن يدعون العلم في آخر الزمان فيقرون الشرك ويدعون إليه بمؤلفات كهذا المؤلف الذي نحن بصدد الرد عليه، أو ضمن مؤلفات كما صنع ابن الحاج العبدري

المالكي الذي سيأتي كلامه بعد قليل وكالباجوري في حاشيته التي ألفها في فقه لشافعية حيث يقول: وإذا لم يمكنه استلام الحجر أشار إليه بمحجن كما يفعل عند قبر سيدي أحمد البدوي ، سبحانك ربي تهدي من تشاء بفضلك وتضل من تشاء بعدلك ، لا تسأل عما تفعل وهم يسألون. انظروا إلى هذا الضال يريد أن يقيس استلام الحجر على استلام قبر سيده وسيد القبورين مثله في مصر أحمد البدوي . . نعوذ بالله من الخذلان .

وهذا المؤلف يريد أن يقرر الشرك ويدعو إليه ويجعله من صميم الإسلام، محاولاً تضليل من يمكنه تضليله بدعوى الإجماع على الزيارة الشرعية، حيث يريد أن يجعل ذلك إجماعًا على الزيارة الشركية والزيارة البدعية، محتجًا بأقوال مثل ابن الحاج وأشباهه ممن خذلهم الله وأعمى بصائرهم ، فصاروا دعاة إلى الوثنية باسم الإسلام بعد أن محاها الله عز وجل ببعثه محمد ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أكثر مؤلف الرسالة النقول عن بعض العلماء المتأخرين للاستدلال على مشروعية الزيارة التي يريدها ، ولكنه لم يأت على ذلك بدليل ، وقد قررنا في المقدمة أنه لا حجة في قول أحد ما لم يأت على قوله بدليل، أما الأحاديث الخاصة بزيارة القبر النبوي فلم يثبت منها شيء، وعلى هذا فإن أقوالهم مردودة عليهم ، لأنها

مخالفة للنصوص الشرعية ولإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين المعتبرين.

والمهم أن هذا الرافضي يريد أن يموه بالإجماع على الزيارة الشرعية ويجعله إجماعًا على زيارة سائر القبور زيارة شركية بدعية ليجعل ذلكم العمل الباطل المناقض للشرع منسوبًا إلى الشرع ومحسوبًا عليه! ولهذا فقد أثنى على ابن الحاج العبدري لأنه وافق هواه بقوله .

الكلمة التاسعة

٨ - قال الإمام القدوة ابن الحاج محمد بن محمد العبدري القيرواني المالكي المتوفى ٧٣١ في «المدخل في فضل زيارة القبور» ج١ ص٢٥٧: وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذلّ والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، فإهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله بما هو أهله ، ثم يصلي عليهم ويترضى عن صحابتهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه

منهم ويجزم بالإجابة ببركتـهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجـرت سنته سبحانه بقضاء حوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه. إلى غير ذلك إلى أن قال: فصل: وأما زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه، أعني في الانكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنه عليه الصلاة والسلام قلب دائرة الكمال وعروس المملكة.

إلى أن قال: فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه لا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، ويحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إن الزائر يشعر نفسه أنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام، كما هو في حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته. أعني: في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم ونياتهم، ذلك عنده جلي لا خفاء فيه، انتهى.

ج - قوله: ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة. أقول: هذا مردود من وجوه ثلاثة:

الأول: أنه إيجاب لشيء لم يوجبه الله ولا رسوله، وذلك كذب

على الله وعلى رسوله ومخالفة لإجماع الأمة، فالله عز وجل لم يوجب زيارة بيت من بيوته غير البيت الحرام وما حوله من المناسك كعرفة ومنى، فهو يقول: ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾[1] . والنبي ﷺ حينا ذكر أركان الإسلام جعل الركن الخامس حج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً، وأجمت الأمة الإسلامية أنه لا يجب بالشرع إلا حج بيت الله الحرام.

واختلفوا فيمن نذر زيارة المسجد النبوي أو بيت المقدس، هل يجب عليه الوفاء بذلك أم لا؟ فأوجب ذلك قوم؛ لأن هذه المساجد مزذون فيها ومرغب في زيارتها، ولم يوجبه آخرون؛ لأن وجوب الوفاء عندهم لا يكون رلا فيما وجب جنسه بمحض الشرع كالحج والصوم مثلاً.

ثانيًا: أن المشرع ﷺ لعن الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد، وأخبر أنهم من شرار الخلق عند الله تعالى. وقال: « **لا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك** » . فمن زعم أنه يتعين على المكلف قصدهم، أي : قصد قبورهم من الأماكن البعيدة، فقد ناقض نهي النبي ﷺ وتعرض للعن المرتب على ذلك، واتصف بالوصف الذي يكون به من شرار الخلق، وذلك أن قصد قبور الأنبياء بالزيارة هو معنى اتخاذها مساجد ولو كان من غير إيجاب، فكيف بمن

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧.

أوجبه، فإنه يكون داخلاً في ذلك من باب أولى .

ثالثًا: أنه مناقضة أيضًا لحديث: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى** » . وقد تقدم بحث هذا الموضوع مستوفى والحمد لله، وبينت الحق متأسياً في ذلك بشيوخ الإسلام وأعلام السنة ونجوم الملة وفرسان المعرفة، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الهادي وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب. . وغيرهم من أعلام السنة جزاهم الله خيرًا، الذين كان لهم الفضل بعد الله في تربيتنا على العقيدة السلفية الحقة، رحمهم الله ورفع درجاتهم في الفردوس، ورحم الله شيخنا الذي كان هو السبب بعد الله في إنقاذنا من الجهل وغرس محبة السنة في قلوبنا وتوجيهنا إلى كتب هؤلاء الأئمة، حتى رأينا الحقائق الإسلامية ناصعة كالشمس في وضح النهار[1] وأما قوله: فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي من آل نجيد ، والقرعاوي لقب لأحد أجداده الذي سكن مكانًا يقال له القرعاء فنسب إليه . ولد رحمه الله في عام ١٣١٥ كما سمعته منه عدة مرات ، ونشأ يتيمًا ، حيث مات أبوه وهو حمل ، فربته أمه وكانت امرأة صالحة كما ذكر لنا ، ونشأ أيضاً تحت رعاية عمه فباشر التجارة في أول أمره، ثم ترك التجارة وأقبل على الطلب بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ، فسافر إلى الهند ودرس بها ، ثم عاد ودرس على شيوخ بلده ، ثم سافر إلى الهند سفرته الأخيرة ودرس ، فسمع الأمهات الست ونخبة الفكر وشرحها والأجرومية ، وألفية ابن مالك وتصريف العزي وغيرهما حتى حاز الإجازة في فن الحديث من شيخه أمير بن أحمد القرشي في سنة١٣٥٧ ثم عاد إلى بلده ولقي بعض مشايخها،=

والانكسار.. إلى آخر ما قال.

=ثم جاور بمكة وأقبل على المطالعة والتحصيل حتى شهر صفر عام ١٣٥٨ فاتجه إلى مقاطعة جيزان بعد مشاورة بعض مشايخه، فقدم صامطه واستأجر دكانًا واتخذ بضاعة متواضعة، وجعل يجذب إليه بعض الناس الذين يجدهم لهم رغبة في الخير، ثم سافر إلى بلده ليصل إلى أولاده حيث كان عند رجوعه من الهند لم يصلهم، فمكث عندهم من نصف ذي القعدة إلى نصف ذي الحجة، ثم سافر إلى جيزان مرة أخرى وأسس المدرسة السلفية بها في دار حي الشيخ ناصر خلوفة رحمه الله، وبدأ يدرس، وكان له شيء من النقود يعطيها بعض التجار مضاربة ويستعين بالعائد منها، وكنت ممن زاره في عام ٥٩ مع عمي حسن بن محمد النجمي، وحسين بن محمد النجمي وترددت إليه أيامًا ولم أواصل في ذلك، العام ثم انقطعت للدراسة في مستهل عام الستين وقد كبرت المدرسة في عام ١٣٦٠ وبعدها، وكثر الطلبة، وفي عام ١٣٦٢ بدأ يفتح مدارس في بعض القرى، وفيها ألف الشيخ حافظ منظومة التوحيد وفي عام ٦٤ تقريبًا بدأ الشيخ يشتغل بالإشراف على المدارس ويكل التدريس إلى الشيخ حافظ حينما برز. وفي عام ٦٦ حج الشيخ والتقى بالملك عبد العزيز رحمه الله وصدرت الموافقة على فتح ستين مدرسة في كل مدرسة مدرس ومساعد، وانتشر التوحيد والعلم بالمقاطعة، ولم يزل يتلقى مزيداً من التشجيع ويبذل مزيداً من الجهد حتى بلغت المدارس في عام ٧٦ و ٧٧ إلى ١٢٠٠ مدرسة، وعمت مقاطعة جيزان وأبها ونجران والباحة وبيشة والقنفذة، وبعد ذلك لازم بيته حين توقفت في ٧٩ و ٨٠ بسبب إيقاف الدعم وانصرف الطلاب إلى المعارف طلبًا للشهادة، وبعد ذلك لازم بيته، وكان يكثر التلاوة. وقد بنى مساجد كثيرة وحفر آبارًا كثيرة رحمه الله، وتسبب في توظيف كثير من طلابه في القضاء والتدريس وحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبعض الآخر عينوا أئمة، وقد وافاه الأجل في يوم الثلاثاء ٨ من شهر جمادي عام ١٣٨٩ بعد أن بذل جهداً عظيماً في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة السلفية في جنوب المملكة ولم تزل آثار دعوته باقية جزاه الله خير الجزاء.

فهذا هو الشرك الأكبر المخلد في النار، ولست أدري أين ذهبت عقول هؤلاء عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين بطلان ما اعتقدوه وفساده ومباينته لما جاء به الإسلام ونبي الإسلام، فإن الذل والانكسار والفقر والفاقة والحاجة والمسكنة والاضطرار والخضوع والاستغاثة والدعاء.. هذه الخصال هي غاية ما يقدمه العبد لربه جل وعلا، فمن صرفها لملك مقرب أو نبي مرسل فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً، لأنه سوّى المخلوق بالخالق والعبد بالرب والضعيف بالقوي والعاجز بالقادر والفقير بالغني، وجعله نظيرًا له وعدلاً له قال تعالى: ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين** ﴾[3]. وقال لنبيه وأفضل خلقه: ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾[4]. ولما ذكر الله تعالى الأنبياء في سورة الأنعام قال بعد ذلك: ﴿ **ذلك هدى الله يهدي به من**

(١) سورة الأنعام الآية ١.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩١.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٤.

(٤) سورة الزمر الآية ٦٥.

يشآء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾[1] إلى غير ذلك.

وقد قدمت نبذة صالحة من الآيات القرنية والأحاديث النبوية تبين ما هو التعظيم الذي ينبغي لرسول الله ﷺ وما هو التعظيم الذي لا ينبغي له، ونقلت عن ابن عبد الهادي -رحمه الله- رد دعوى أن زيارة قبره من تعظيمه من اثني عشر وجهًا.

فمن أعطى رسول الله ﷺ شيئًا من خصائص الألوهية زاعمًا أن ذلك من تعظيمه فقد حارب الرسول وكذبه ورد ما جاء به وأعلن عداوته ومشاقته ونبذ ما أرسل به، فهو وجميع الرسل لم يرسلوا إلا بالتوحيد، وهو أن يعبد الله وحده وأن يفرد بالذل والخضوع والانكسار والرغبة والرهبة والدعاء والاستغاثة وغير ذلك، وهذا ما خشية ﷺ على أمته حين قال: « **اللهم لا تجعل قبري عيدًا. اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» .

وقد أنكر صلوات الله وسلامه عليه على أصحابه ما هو أقل من هذا بكثير فقال لمن قال له: ما شاء الله وشئت. قال له: « **أجعلتني لله ندآ ؟ بل ما شاء الله وحده**» . فأثبت الندية بالتشريك في المشيئة، فأين هذا ممن أعطاه الذل والانكسار والفاقة والحاجة والفقر والمسكنة

(١) سورة الأنعام الآية ٨٨.

والاستغاثة والخضوع؟ وقال لابن عباس: « **ألا أعلمك كلمات؟ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله** ».

فأين هذا مما سجله ابن الحاج في هذه الكلمة الشركية، فالنبي ﷺ يقول: « **إذا سألت فاسأل الله** » وابن الحاج يقول: أسأل رسول الله والنبي ﷺ يقول: « **إذا استعنت فاستعن بالله** » وابن الحاج يقول: استعن واستغث برسول الله ﷺ وأعطه الذل والخضوع والفاقة والحاجة والفقر والمسكنة مع العلم أن مشركي العرب لم يطلبوا من آلهتهم أكثر مما ذكره ابن الحاج، فهم لم يعتقدوا فيهم الإحياء ولا الإماتة ولا إنزال المطر ولا خلق السماوات والأرض ولا ملكهما ولا تدبيرهما، أما مشركو هذه الأمة فقد زادوا على مشركي العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ من وجهين:

الوجه الأول: أن شرك مشركي هذه الأمة في الشدة والرخاء، بينما شرك العرب في الرخاء دون الشدة قال الله تعالى عنهم: ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما ءاتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون**﴾[1] .

الوجه الثاني: أن شرك مشركي هذه الأمة تجاوز الشفاعة والوساطة

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

التي كان يعتقدها مشركو العرب إلى الملك وتدبير الكون والإحياء والإماتة، فقد وجد في هذه الأمة من يعتقد أن تدبير الكون بأسره يعود إلى أقطاب أربعة، كما ذكر ذلك العلامة الألباني في مقدمته لكتاب « الآيات البينات في عدم سماع الأموات » للسيد نعمان الألوسي، حيث قال بعد أن ذكر شيئًا من العقائد الشركية الضالة: ثم قال: ولا يستغربن أحد هذا ممن عافاهم الله تعالى من الشرك على اختلاف أنواعه، فإن في المسلمين اليوم من يصرح بأن في الكون متصرفين من الأولياء دون الله تعالى ممن يسمونهم هنا في الشام بـ(المدّرِكّين) وبـ(الأقطاب) وغيرهم، وفيهم من يقول: نظرة من الشيخ تقلب الشقي سعيدًا. ونحو ذلك من الشركيات.

قال العلامة السيد رشيد رضا في تفسيره (١١/ ٣٩١) تحت قوله تعالى: ﴿**قل: لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا إلا ما شآء الله**﴾. أي: لكن ما شاء الله من ذلك كان متى شاء لا شأن لي فيه، لأنه خاص بالربوبية دون الرسالة التي وظيفتها التبليغ دون التكوين.

وقد بلغ من جهل الخرافيين من المسلمين بتوحيد الله أن مثل هذه النصوص من آيات التوحيد لم تصدَّ الجاهلين به منهم عن دعوى قدرة الأنبياء والصالحين حتى الميتين منهم على كل شيء من التصرف في نفعهم وضرَّهم مما يجعله الله من الكسب المقدور بمقتضى سننه في الأسباب، بل يعتقدون أن منهم من يتصرفون في الكون كله، كالذين

يسمونهم بالأقطاب الأربعة، وإن من بعض كبار علماء الأزهر في هذا العصر من يكتب هذا في مجلة الأزهر الرسمية (نور الإسلام) فيفتي بجواز دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة بهم في كل ما يعجزون عنه من جلب نفع ودفع ضر، وألف بعضهم كتابًا في إثبات ذلك وكون الميتين من الصالحين ينفعون ويضرون بأنفسهم ويخرجون من قبورهم فيقضون حوائج من يدعونهم ويستغيثون بهم. انتهى.

أما مشركو العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ فقد أخبر الله عنهم أنهم لم يكونوا يعتقدون في معبوديهم هذا الاعتقاد. قال الله تعالى: ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون: لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿ **قل من يرزقكم من السمآء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾[2] .

وقد اتضح من هذه الآيات أن مشركي العرب ما كانوا يعتقدون

---

(١) سورة المؤمنون الآيات من ٨٤ إلى ٨٩ .

(٢) سورة يونس الآيتان ٣١ ، ٣٢.

في آلهتهم أنها تحيي أو تميت أو تخلق أو ترزق، ولكنهم كانوا يصرفون إليهم الرغبة والرهبة والخشوع والخشية والذلة والاستكانة والتعظيم وطلب الحوائج، لما لهم عند الله من المكانة والجاه الذي يكون سببًا في نجاح مطالبهم وقضاء حوائجهم على حد زعمهم، ومع هذا فقد عاداهم رسول الله ﷺ وقاتلم واستباح دماءهم وأموالهم واسترقّ نساءهم وذراريهم.

ولو كان ما فعلوه مباحًا أو مستحبًا لوفَّر رسول الله ﷺ على نفسه مودة أهله وعشيرته وأراح واستراح، ولكنه قد اختار مفارقة الأهل والعشيرة والقبيلة ومعاداتهم، بل ومعاداة أهل الأرض جميعًا، واختار ما يترتب على ذلك من خوف وجوع ومتاعب ومشاق، مع قلة الأعوان وندرة الأنصار، من أجل أن يفرد الله وحده بالعبادة، وأن تصرف بجميع أنواعها لجلاله تعالى الذي لا ينبغي الخضوع إلا له، ولم يزل مثابرًا على الدعوة إلى توحيد الله صابرًا على ما أصابه في سبيل ذلك حتى أظهره الله على جميع أعدائه، فكسر الأصنام وهدم الأوثان، ولم يتوفاه الله حتى تركها عقيدة صافية ومحجة واضحة ودينًا خالصًا لله رب العالمين، فلا صنم ولا وثن ولا ساحر ولا كاهن ولا عرَّاف ولا منجِّم يُقصدون ولا أحبار ولا رهبان يشرِّعون، ولا كبراء ولا سادة يطاعون ولا أولياء من دون الله يعبدون، الكل مربوبون لرب واحد هو الله، مرتبطون برباط واحد هو الإسلام، مقتفون لكتاب

واحد هو القرآن، متبعـون لإمام واحد هو رسول الله ﷺ وقد بين ذلك رسول الله ﷺ بـقوله: « **تركتكم على البيضـاء ليلها كنهارها سواء** »(١) فسار أصحابه مـن بعده على ذلك النهج الواضح وترسموا تلك الطريقة المثلى وواصل التابعون بعدهم المسيرة على نفس الخط ثم أتبع الأتباع كذلك، حتى إذا انقضت القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسـول الله ﷺ بالخيـرية والحق غالب ليـس مغلوبًا فـاتخذت بنيات طرق معوجة، فانحنت بـأصحابها عن جدَدِ الحق وتحولت بهم عن الطريق الْمَهْيَع، فحورب الإسـلام باسم الإسلام، وهدم أعظم ركن فيه بـاسم تعظيم من جاء به ودعا إليه، حـتى إذا نشأ على ذلك الصغـير وهرم علـيه الكبـير فأصـبح ذلكم الضـلال أمرًا مسلـمًا به، وصارت تلك البدع والشركيات أعرافًا يتعارف الناس عليها ويتخذونها دينًا إلا من رحم الله، والويل حينئذ لمن أنكرها وحـاربها ودعا الناس إلى تركها، ومن ثم فـقد أقرها حتى من يدعـون العلم، كابن الحاج وأمثاله، بل دونوه في كتـبهم لتعمل به الأجيال القدامـة، فكانوا سببًا في إضـلال أقوام اغـتروا بعـلمهم وحـسبـوا أنهم على حق فـهلكوا وأهلكوا . والحقيـقة أن ابن الحاج وأمثاله ليـسوا من أهل العلم الذين أثنى الله عليهم ووصفهم بخـشيته وإن كثرت مؤلفاتهم وبعـد صيتهم، ولعل قائـلا يقول كيف تقـول هذا لعالم بعـد صيـته وذاعت شـهرته

(١) راجع سنن ابن ماجه المقدمة رقم (٥) والحديث من مفرداته ، وسنده حسن إن شاء الله ، لأن أقل رجاله في صيغة التعديل من يقال عنه صدوق يخطيء.

وسارت كتبه إلى كل أرض وتحت كل نجم؟ وأقول : إن بعد الصيت وذيوع الشهرة وكثرة المؤلفات لا تفيد صاحبها بشيء ما لم يكن داخلاً في تلك الشهادة التي سجلها الله في كتابه وقرن فيها أهل العلم بنفسه في آيات تتلى إلى يوم القيامة، فسجلت لهم شرفًا يعلو على هامة الثريا ويبقى بقاء الليالي والأيام ، ولكن لمن عرف تلك لهم الشهادة وقام بحقها عقيدة وعملاً ودعوة إليها.

قال تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ [1] فمن لم يكن من أهل التوحيد فهو ليس من أهل العلم وإن بعد صيته وكثرت مؤلفاته، فعلم لا يهدي صاحبه إلى التوحيد ليس بعلم ، وفي الأثر: (خير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع) . وفي الدعاء المشهور المأثور عن النبي ﷺ : «**وأعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعاء لا يستجاب له** » [2] : ومن ثم يتبين أنه لا حجة فيما ساقه المؤلف من أقوال ليقرر بها الوثنية التي أسست عليها عقيدة الشيعة، والله المستعان.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر عن زيد بن أرقم رقم ٧٣ والنسائي في الاستعاذة وأحمد ٤/ ٣٧١ و ٦/ ٢٠٩ .

فصل

وأما قوله : إذ لا فرق بين موته وحياته، أعني : في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم ، وعزائمهم وخواطرهم ، ذلك عنده جلي لا خفاء فيه.

ج - قلت : وهذه أعظم بلية وأكبر فرية وأقبح كذبًا وأشنع ضلالاً، فسحقًا لأدعياء العلم ودعاة الباطل ومروجي الوثنية ، فهلا قرأ هذا كتاب الله ليرى فيه الآيات القرآنية التي تصرح بنفي علم الغيب عنه وعن غيره كقوله تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون**﴾[1] وكقوله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾[2] ،وكقوله تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾[3] ، وكقوله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك** ﴾[4] وفي صحيح

(١) سورة النحل الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٥٠ .

البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **«مفاتح الغيب خمس ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ »**[1] .

وفي كتاب التوحيد لابن خزيمة عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال:

فقدمنا المدينة لسلخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً فقال: **«أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم فهل من امريء بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو تلهيه الضلالة ألا إني مسؤول هل بلغت ؟ ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا»** . فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله هل عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمرو الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي تسقطه فقال : **«ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله وأشار بيده». فقلت : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين**

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٦٢٧ تفسير سورة الأنعام بهذا اللفظ ، وأخرجه في تفسير سورة لقمان رقم ٤٧٧٧ مطولاً من حديث أبي هريرة ومختصراً من حديث ابن عمر، كما أخرجه أحمد أيضًا ، والآية في سورة لقمان رقم ٣٤.

فـيظل يضحك قـد علم أن غوثكم قـريب» قال لقـيط : فقلت : لن نعدم من رب يضحك خيرًا يا رسول الله . قال : «**وعلم ما في غد . قد علم مـا أنت طاعم غدًا ولا تعلمه، وعلم يوم السـاعة»**. قال وأحسبه ذكر ما في الأرحام الحديث بطوله ص ١٢٢ إلى ١٢٥ وقد تكلم على سنده وصححه ابن القيم رحمـه الله في كتابه (زاد المعاد) ومعنى ضن ربك بخمس أي : استأثر بعلمها دون غيره .

وفي الصـحيحين عـن أم سلمة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ سمع جلبة بباب حجرته فخرج إليهم فقال : « **ألا إنما أنا بشر ، وإنما يأتيني الخـصم، فلعل بعـضكم أن يكون أبلغ من بعض، فـأحسب أنه صـادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مـسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو يذرها»**[1] قال ابن دقيق العيـد: وفيه دليل على إجراء الأحكام على الظاهر وإعلام الناس أن النبي ﷺ في ذلك غيـره ، وإن كان يفترق عنهم في إطلاعه على ما يطلعه الله عليـه من الغيوب الباطنة ، وذلك في أمور مخصوصة لا في الأحكام العامة.

وبهذا يعلم أن ابن الحاج إما جاهل وإما ضـال مجازف مفتر على الله وعلى رسوله الباطل والمحال ليـروج الخرافات الباطلة والادعاءات الكاذبة، فها هو رسول الله ﷺ ينفي عن نفسه علم الغيب ، ويبين

---

(١) أخرجـه البخـاري في المظالم رقم ٢٤٥٨ ، ٢٦٨٠ ، ٦٩٦٧ ، ٧١٦٩ ، ٧١٧٧، ٧١٨١ ، ٧١٨٥ ، ومسلم في الأقضية.

أن ذلك من خصائص الألوهية التي منعها الله عن غيره وانفرد بها وحده فقال رسول الله ﷺ: «**ضن ربك بخمس..**» وقال الله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً**﴾[1] فقوله: ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ استثناء لمن ارتضى من الرسل، فإنه يعلمهم بشيء من غيبه ليدل على صدق رسالاتهم، وليس اطلاعهم على شيء من غيبة اطلاع لهم على كله، فذلك شيء يختص به وحده دون سواه، ولهذا قال العلامة القرطبي: قال العلماء: لما تمدح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضى من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم اهـ.

وقد صرح النبي ﷺ في الحديثين السابقين بنفي علم الغيب عن نفسه وهو حي، فكيف يدعي له بعد موته؟ ولما قال ذو الخويصرة ما قال عند قسم الغنائم يوم الجعرانة، فاستأذن خالد بن الوليد رسول الله في قتله فقال النبي ﷺ: «**لعله أن يكون يصلي**» فقال: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال النبي ﷺ: «**إني لم**

---

(١) سورة الجن الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨.

أومر أن أنقب عن قلوب الناس»[١] .

وقصة بني أبيرق الذين عدوا على بيت لبعض الأنصار فنقبوه ليلاً وأخذوا مافيه ، ولما شكى صاحب الدار إلى النبي ﷺ ما وقع له واتهمهم بذلك أرسلوا إلى النبي ﷺ أسير بن عروة وأناسًا معه فقالوا للنبي ﷺ : إن فلانًا عمد إلى أهل بيت منا لهم إسلام وصلاح فرماهم بالسرقة من غير ثبت ولا بينة ، ولما عاد المشتكي إلى النبي ﷺ قال له : «عمدت إلى أهل بيت لهم إسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة من غير ثبت ولا بينة» فأنزل الله تعالى قوله : **﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾**[٢] الآيات . انتهى باختصار من سنن الترمذي . وقال : قال أبو عيسى : لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني[٤] وروى يونس بن بكير

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وجابر بألفاظ هذا أحدها ، وهو ما أخرجه مسلم رقم ١٤٤ زكاه .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، سمع قتيبة بن سعيد وسويد بن نصر وعلي بن حجر وطبقتهم وتفقه في الحديث على البخاري ، له كتاب الجامع . توفي سنة ٢٧٩ تذكرة ص ٦٣٣ .

(٤) محمد بن سلمة الحراني الباهلي ، مولاهم أبو عبد الله ، عن ابن عجلان وابن إسحاق وهشام بن حسان وغيرهم . قال ابن سعد : كان ثقة فاضلاً عالمًا مفتيًا ، مات آخر سنة ١٩١ ، وله في مسلم فرد حديث . خلاصة ٢٧٩ .

وغيره هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم [١] بن عمر [٢] ابن قتادة. ولم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لما خفي عليه أمر هؤلاء حتى نزل عليه القرآن.

ولقد ابتلي ﷺ في عرضه حيث رميت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فمكث مدة لا يعلم حقيقة الأمر الذي رميت به، ورغم أنه كان يحسن الظن بأهله، إلا أن ما أشاعه المنافقون من إشاعات أثرت في نفس النبي الكريم ﷺ فاستشار عليًا وأسامة رضي الله عنهما في شأنها وسأل الجارية [٣] ولم يعلم كذب المنافقين في هذا الأمر المهم الذي يتعلق بأهله، حتى أنزل الله تعالى الآيات من سورة النور حيث قال: ﴿ **إن الذن جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** ﴾[٤] الآيات.

---

(١) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري الظفري أبو عمرو المدني عن أبيه وجابر وثقه ابن معين وابن سعد، وكان له علم بالسير. مات سنة ١٢٠ وقيل ١٢٧. خلاصة ١٥٥.

(٢) عمر بن قتادة بن النعمان المدني الأنصاري عن أبيه وعنه ابنه عاصم وثقه ابن حبان. خلاصة ٢٤٢.

(٣) الجارية هي بريرة مولاة عائشة. قيل: كانت مولاة لقوم من الأنصار، وقيل غير ذلك، قصة شراء عائشة لها ثابتة في الصحيحن وفيها عن عائشة كانت في بريرة ثلاث سنن ترجمها في الاستيعاب ٤/ ٢٤٢، وفي الإصابة ٤/ ٢٤٥ ولم تذكر وفاتها، وسقطت ترجمتها من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٤) سورة النور الآية ١١ إحدى عشره وما بعدها.

والقصة ثابتة في الصحيحن وغيرهما[١] .

ولما أشيع في غزوة الحديبية أن عثمان قد قتل وكان ذلك كذبًا ولم يعلم النبي ﷺ حقيقة الأمر، لذلك طلب من أصحابه ﭫ أن يبايعوه على الموت أو على ألا يفروا ليناجز القوم من أجل تلك الإشاعة ففعلوا ، ولو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لاطلع على أن عثمان حي ولم يكن بحاجة إلى تلك البيعة [٢] .

ولا يعكر عليه أن النبي ﷺ بايع عنه بشماله، فذلك ليكون له شرف البيعة وبذل النفس لله تعالى، كما قد صنع ذلك بذهابه إلى أهل مكة، الذين يعرفهم بأنهم ألد عدو لهم وللنبي ﷺ الذي آمنوا به، وقد كان النبي ﷺ يصغى إلى حديث بعض المنافقين حين يأتي إليه بما حباه الله من كرم السجايا وحسن الخلق، فيخرج المنافق من عنده ﷺ فيقول : إنما محمد أذن ولم يعلم النبي ﷺ ما في نفس المنافق حين كان يكلمه ولا ما سيقوله إذا خرج، حتى أنزل الله فيه :
﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن. قل أذن خير لكم ﴾ [٣]

---

(١) راجع صحيح البخاري رقم ٢٦٦١ و٤٧٥٠ و ٤١٤١ ومسلم في كتاب التوبة وغيرهما .

(٢) راجع له صحيح البخاري رقم ٣٦٩٨.

(٣) ذكر ذلك ابن إسحاق في مغازية وعنه ابن هشام في السيرة ، وأخرجه ابن جرير في تفسير سورة التوبة الآية ٦١ وهي المذكورة هنا .

الآية .

فأخبره الله تعالى بما يقوله المنافقون الأشرار بعد أن كان لا يعلمه.

ولما أسس المنافقون مسجد الضرار وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي لهم فيه قبل أن يسافر إلى تبوك، فاعتذر إليهم ووعدهم بذلك عند رجوعه، ولما رجع وقارب المدينة أنزل الله عز وجل قوله : ﴿**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقًا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله**﴾ [١] الآيات. ولم يعلم النبي ﷺ ما تستروا عليه قبل ذلك من الغدر والخيانة .

وفي صحيح البخاري من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء [٢] قالت: جاء النبي ﷺ يدخل حين بني علي فجلس علي فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، فقالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال : «**دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين**» . قال ابن حجر :

---

(١) راجع لذلك تفسير ابن جرير جـ ص٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ رقم الآية ١٠٧ من سورة التوبة .

(٢) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية النجارية لها صحبة ورواية ، زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها صلة لرحمها ، عمرت دهراً وروت أحاديث ، توفيت في خلافة عبد الملك سنة ٧٩. اهـ سير أعلام النبلاء ١٩٨/٣ .

زاد في رواية حماد بن سلمة : « **لا يعلم ما في غد إلا الله** »[١] .

فأشار إلى علة المنع إلى أن قال : وإنما أنكر عليهما ما ذكر من الإطراء حيث أطلقت علم الغيب له وهو صفة تختص بالله تعالى كما قال تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾[٢] وقوله لنبيه : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾[٣] وسائر ما كان النبي ﷺ يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك كما قال تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول** ﴾[٤] . اهـ.

وفي حديث فاطمة[٥] بنت قيس قالت : خطبني أبو جهم ومعاوية

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٠٠١ و ٥١٤٧ والترمذي في النكاح رقم ١٠٩٦ وابن ماجه في النكاح أيضًا رقم ١٨٩٧ وأحمد.

(٢) سورة النمل الآية ٦٥.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨.

(٤) سورة الجن الآيتان ٢٦, ٢٧.

(٥) فاطمة بنت قيس بن خالد الفهرية أخت الضحاك بن قيس ، كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فطلقها ، فخطبها أبو جهم ومعاوية ، فنصحها رسول الله ﷺ وأشار عليها أن تنكح أسامة فنكحت أسامة ، توفيت في خلافة معاوية ترجمها في تقريب ٢/٦٠٩ سير أعلام النبلاء ٢/٣١٩.

فقال النبي ﷺ : « **أما أبو جهم** [١] **فرجل لا يضع عصاه عن عاقته، وأما معاوية** [٢] **فصعلوك لا مال له ولكن انكحي أسامة** » . فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لعلم أن معاوية سيكون ملكًا وسيكون أغنى العرب [٣] .

وبالجملة فمن تتبع الكتاب والسنة سيجد من الأدلة ما لا يحصى على أن النبي ﷺ كان لا يعلم شيئًا من الغيب إلا ما علمه الله تعالى .

---

(١) أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي ، قيل : ان اسمه عبيد، وهو من مسلمة الفتح، كان ممن بنى البيت في الجاهلية ، وعمر حتى بنى فيه مع ابن الزبير ، وبين العمارتين أكثر من ثمانين سنة ، وكان علامة بالنسب، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس : « **أما أبو جهم فضراب للنساء وأما معاوية فصعلوك** » انتهى سير أعلام النبلاء ٢/٥٥٦ .

(٢) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي الخليفة الصحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ٦٠ وقد قارب الثمانين اهـ تقريب ٢/٢٥٩ وترجمه في سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/١١٩ وما بعدها وانظر صفحة ١٢٨ .

(٣) أخرجه أبو داود في الطلاق رقم ٣٩ والنسائي في النكاح برقم ٢٢ والدارمي في النكاح رقم ٧ ومالك في الموطأ في الطلاق رقم ٦٧ .

فصل في

نفي علم الغيب عنه ﷺ في البرزخ

وكل ما تقدم من الأدلة بالنسبة إلى نفي علم الغيب عنه في الحياة الدنيوية.

وإليك ما يدل على نفي علم الغيب عنه ﷺ في الحياة البرزخية: ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين. ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ثم يجاء برجال فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ..**»إلى قوله «**شهيد**» .

وقد ثبت مثل ذلك من حديث أنس وسهل بن سعد[1] وأبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر[2] .

(٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري الساعدي الإمام الفاضل المعمر . توفي سنة إحدى وتسعين وقد قارب المائة . الإصابة ٢/ ٨٧.

(٣) أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تسمى ذات النطاقين لأنها شقت نطاقها نصفين : نصفًا انتطقت به ، ونصفًا شدت به سفرة النبي ﷺ وأبي بكر حين هاجرا كانت أسن من أختها عائشة بـ١٣ عامًا عمرت طويلاً وتوفيت في عام ٧٣ بعد قتل ابنها رضي الله عنهما سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧ الإصابة ٤/ ٢٢٤ الاستيعاب ٤/ ٢٢٨.

وسعيد بن المسيب [١] عن جماعة من الصحابة عند البخاري في كتاب الرقاق باب ما جاء في الحوض [٢] .

فكما أخبر عن عدم علمه بشيء من الغيب في الدنيا في الأحاديث السابقة إما صراحة وإما لزومًا ، أخبر في هذا الحديث وما جاء في معناه من أحاديث الحوض، والتي لا يمن استقصاؤها الآن ، أنه لا يعلم بعد موته شيئًا من أعمالهم ولا أحوالهم ، بل قد كان في حياته شهيدًا عليهم بأعمالهم الظاهرة والتزامهم العلني بمتابعته أو عدمها، فلما توفاه الله كان هو وحده الرقيب عليهم والعليم بأحوالهم وأعمالهم.

وبالتأمل يظهر الفرق بين الكلمتين، أي : كملة (الرقيب) وكملة (شهيد) فالمعبر بها في حق ﷺ كلمة (شهيد) وهي مأخوذة من المشاهدة، وهي الرؤية البصرية. فقوله: «**وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم**». أي: حال حياتي في حال مشاهدتي لهم علمت من أحوالهم ما يجعلني أشهد عليهم بما رأيت وسمعت وعلمت من

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي الإمام العالم ، عالم أهل المدينة وأحد الفقهاء السبعة . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وقيل لأربع ، رأى عمر وسمع من عثمان وعلي وأبي هريرة وغيرهم. وعنه الزهري وغيره . توفي سنة ٩٣ وقيل سنة ٩٤ وقيل سنة ١٠٥ وهذا القول ضعيف . سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ تذكرة الحافظ ١/ ٥٤ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٧٤٠ تفسير.

أحوالهم وسلوكهم، من إيمان ومتابعة أو كفر ومنابذة.

أما بعد وفاتي فقد فات ذلك بغيابي عنهم، ولم يبق إلا علمك بهم ورقابتك عليهم ومشاهدتك لأحوالهم وضمائرهم ونياتهم، ذلك لأنك على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط، فهم خلق من خلقك ينفذ فيهم أمرك وتحيط بهم قدرتك ورقابتك، وتحصي أعمالهم بعلمك الذي لا يفوته شيء. فكلمة (رقيب) تفيد السيطرة التامة والهيمنة الكاملة والعلم الشامل الذي يحصي دقائق الأمور فضلاً عن جلائلها، وصغار الأعمال فضلاً عن كبارها .

وبما سطرته من أدلة يتضح كذب ابن الحاج العبدري بادعائه علم الغيب للنبي ﷺ وافترائه على الله ورسوله هو من اعتقد عقيدته ورأى رأيه، بل لو مات أحد على هذه العقيدة مات على الكفر المخرج من الملة المخلد في النار.

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾(١) والأموات ممن في السماوات أو في الأرض.

---

(١) سورة النمل الآية ٦٥.

فصل

في إخباره بشيء من الغيب مما علمه الله إياه

وقد ثبت أن النبي ﷺ أخبر عن أشياء من علم الغيب وقعت كما أخبر عنها، منها ما وقع في حياته[١] ومنها ما تحقق بعد موته في حياة الصحابة كالفتوح وقتل[٢] عثمان ومشاركة أم حرام بنت ملحان[٣] في أول غزوة في البحر وهي غزوة قبرص[٤] وقتل علي بن أبي طالب وأخبار الخوارج... وغير ذلك .

ومنها ما تحقق بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد، كظهور نار بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى[٥] ، وقد تحقق ذلك في عام ٦٥٤

(١) بإخباره عن قتل أمية بن خلف . راجع له صحيح البخاري رقم ٣٦٣٢ فتح .

(٢) انظر الحديث رقم ٣٦٩٥ من صحيح البخاري فتح.

(٣) هي أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك ، تزوجها عبادة بن الصامت وغزا بها إلى قبرص سنة ٢٨ وعند رجوعهم قربت لها بغلة لتركبها بعد أن خرجوا من البحر فصرعتها فماتت ، وتحقق بذلك علم من أعلام النبوة ، حديثها في الصحيحن ، انظر الهامش سير أعلام النبلاء ٣١٦/٢.

(٤) راجع له صحيح البخاري رقم ٢٧٨٨ ، ٢٧٩٩ ٢٨٧٧ ، ٢٧٩٤ ، ٦٢٨٢ ، ٧٠٠١ فتح .

(٥) انظر الحديث رقم ٧١١٨ من صحيح البخاري فتح جـ ١٣ ص ٧٨ وصحيح مسلم كتاب الفتن ص٥٥٩ ط حلبي .

هجرية. وكفتح القسطنطينية وقد تحقق في أواسط القرن التاسع الهجري على يد محمد الفاتح العثماني [١] وستفتح مرة أخرى هي، وروما، وهي تفتح بعد روما قبيل خروج الدجال أو عند خروج الدجال[٢]. ومنها ما تحقق في هذا الوقت كتقارب الزمن أي: تقارب المسافات[٣] وغير ذلك.

ولم تزل معجزاته ﷺ تتجدد إلى يوم القيامة... وليس في شيء من ذلك دليل على علمه الغيب، فعلم الغيب العام استأثر الله

---

(١) محمد الفاتح: قال في شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٣٤٤: هو سابع ملوك بني عثمان السلطان محمد بن السلطان مرادخان، ولد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، وولي السلطنة سنة ٨٥٦ وكانت مدة ولايته إحدى وثلاثين سنة. قال في الأعلام: كان من أعظم سلاطين بني عثمان وهو الملك الضليل الفاضل النبيل العظيم الجليل، أعظم الملوك جهادًا وأقواهم إقدامًا واجتهادًا وأثبتهم جأشًا وفؤادًا وأكثرهم توكلاً على الله واعتمادًا، له مناقب جَميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية في صفحات الليالي والأيام، ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والأعوام، وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والأصنام، من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى، وساق إليها السفن تجري رخاء برًا وبحرًا وحاصرها خمسين يومًا أشد الحصار، وضيق على من فيها من الكفار الفجار حتى فتح استنبول في يوم ٥١ وهو يوم الأربعاء ٢٠ من جمادي الآخرة سنة سبع وخمسين، وصلى صلاة الجمعة في أكبر كنائس النصاري وهي كنيسة أيا صوفيا، وتوفي سنة ٧٧٦ رحمه الله، انتهى.

(٢) راجع صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٥٥ ط حلبي.

(٣) انظر صحيح البخاري الحديث رقم ٧١٢١ والحديث رقم ٧٠٦١ فتح.

به وحـده، ومـا أطلع الله عليـه رسله صلوات الله وسـلامـه عليـهم أجـمعين إنما هو شيء قليل من عـلم الغيب العـام ليدل على صـدق رسالاتهم . ونبينا ﷺ أكثرهم مـعجزة، ومع هذا فإن ما أطلعه الله عليـه وأخبـره به من علم الغـيب قطرة من بحر وذرة في قـفر، وقـد خاطبـه الله بقوله : ﴿ **تلك من أنبـاء الغيب نوحـيها إليك مـا كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**﴾ [١] .

فصلى الله وسلم عليـه ، لقد نصح لأمته وبين لهم الحـق واضحًا لا غبـار عليـه، ولكن نعوذ بالله من عـمي القلوب وطمس البصـائر وسيطرة الشيطان واستحكام الخذلان.

فائـــدة:

قد وردت أحـاديث تدل على أن النبي ﷺ يبلغ صـلاة المصلين وسلام المسلمين عليـه من أمته أينمـا كانوا ، كما ورد في العـرض ما ينبغي الإلمام به وبيان الحق فيه لتعلقه بالموضع الذي نعالجه:

فمنها حديث علي بن الحسين الذي سبق غير مرة وفيه : «**وصلوا علي فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيث كنتم**»[٢] .

---

(١) سورة هود الآية ٤٩.

(٢) وقد عزاه الألباني في (تحذير الساجد) إلى ابن أبي شيبة ٢، ٨٣ ، ٢، قال : وعنه=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون من أمتي السلام**» (٣) .

وعن أيوب - : وهو السختياني - قال : بلغني والله أعلم أن ملكًا موكل بكل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم .

=أبو يعلى في مسنده ق ٣٢ ، ٢ ، وإسماعيل القاضي في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٨٩ ، ١ ، ورواه الضياء في المختارة ١، ١٥٤ من طريق أبي يعلى والخطيب في الموضح ٢ ، ٣٠ وسنده مسلسل بأهل البيت إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور كما قال الحافظ .

وقال في تخريج فضل الصلاة على النبي لإسماعيل القاضي : صحيح بطرقه وشواهده . قال : ويقويه ما رواه ابن أبي شيبة أيضًا وابن خزيمة في حديث علي ، ابن حجر ج٤ رقم ٤٨ وابن عساكر ٤، ٢١٧ ، ١ من طريقين : عن سهيل بن أبي سهيل أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه ومسح ، قال : فحصبني حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصولا علي فإن صلاتكم تبلغني** » .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم ٢٠٤٢ وأحمد ج٢ ص ٣٦٧ بسند حسن .

(٣) رواه النسائي والدارمي كما في المشكاة رقم ٩٢٥ قال محققه الألباني جزاه الله خيراً : إسناده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رواه إسماعيل القاضي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ [(١)] .

وبهذا يتبين أن صلاة المصلين عليه وسلام المسلمين عليه تبلغ إليه لا أنه يسمع ذلك بنفسه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[(٢)] .

قلت : يظهر من هذا الحديث معارضته للأحاديث السابقة حيث ذكر فيها أنه يبلغ الصلاة والسلام بواسطة الملائكة ، وفي هذا الحديث قال : **«إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»** .

وذلك أنه قد يفهم منه بعض الناس أن رد الروح يترتب عليه سماع السلام بنفسه، وعلى هذا فلا بد من الجمع بينه وبين الأحاديث السابقة بحمل تلك الأحاديث على النائي ، وحمل هذا الحديث على من صل عليه عند قبره.

وقد ورد بهذا الجمع حديث رواه البيهقي في (شعب الإيمان) عن

---

(١) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة رقم ٢٤ قال محققه : سنده إلى أيوب وهو السختياني صحيح وهو مرفوع في صورة مقطوع إلا أنه لا يقال بالرأي ، ويشهد له الحديث المتقدم ٢١ يشير إلى حديث ابن مسعود.

(٢) رواه أبو داود رقم ٢٠٤٢ والبيهقي . قال الألباني في تحقيقه للمشكاة : وإسناده حسن.

أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ : « **من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيًا بلغته** » . لكن قال الألباني في تعليقه على المشكاة : في إسناده محمد بن مروان السدي وهو كذاب، ولذلك أورده ابن الجوزي في الموضوعات، لكن تعقب بأن له متابعًا ينجو به الحديث من إطلاق الوضع عليه، ويظل في حيز الضعيف، مع أن ابن تيمية رحمه الله ذكر أن معناه صحيح ثابت بأحاديث، كأنه يشير إلى الأحاديث المتقدمة رقم (٩٢٤ و ٩٢٥) .

قلت : الذي رأيته أن شيخ الإسلام رحمه الله حكم على الحديث بالوضع، حيث قال في الفتاوى في رده على الأخنائي جـ «٢٧» ص (٢٤١) .

ومنها أنه لما أراد أن يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع من القرب ويبلغ الصلاة والسلام من البعد لم يذكر ما في ذلك من الأحاديث الصحاح والحسان التي في السنن ، بل إنما اعتمد على حديث موضوع « من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيًا بلغته» . وهذا إنما يرويه محمد بن مروان السدي عن الأعمش [1] وهو كذاب باتفاق.

---

(١) الأعمش هو سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام وشيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي مولاهم الكاهلي الكوفي الحافظ ، ولد سنة إحدى وستين بقرية من أعمال طبرستان وقدموا به إلى الكوفة طفلاً وقيل حملاً . أخذ عن كبار التابعين وأرسل عن أنس وعبد الله بن أبي أوفى ، وكان على جلالته مدلسًا ، توفي سنة ١٤٧ أو ١٤٨ ، اهـ سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦ شذرات ١/ ٢٢٠ .

وهذا الحديث موضوع على الأعمش بإجماعهم، ثم هو قد غير لفظه، ففي النسخة التي رأيتها مصححًا: «**ومن صلى عليَّ نائيًا سمعته**» وإنما لفظه « **بلغته** » ، انتهى.

قلت : ولم أر في الأحاديث الواردة في الموضع حديثًا صحيحًا يدل صراحة أن النبي ﷺ يسمع سلام المسلمين عليه بنفسه، أما الحديث السابق فهو محتمل لأن يكون رد روحه للرد أو للسماع والرد معًا .

وقال ابن عبد الهادي بعد ذكر الحديث السابق:

قلت : هو تبليغ صلاة أمته وسلامهم عليه كما في الأحاديث المعروفة، مثل الحديث الذي في سنن أبي داود [١] وغيره عن حسين الجعفي [٢] حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [٣] عن أبي الأشعث الصنعاني [٤] .

---

(١) أبو داود السجستاني صاحب السنن هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني . ثقة حافظ من كبار العلماء . مات سنة ٢٧٥ . تقريب ١/ ٣٢١.

(٢) هو الحسين بن علي بن الوليد الجعفي الكوفي المقريء . ثقة عابد من التاسعة . مات سنة ٢٠٣ أو ٢٠٤ تقريب ١/ ١٧٧.

(٣) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي أبو عتبة الشامي الداراني ثقة، من السابعة . مات سنة بضع وخمسين ومائة اهـ ، تقريب ١/ ٥٠٢.

(٤) هو شراحيل بن أده أبو الأشعث الصنعاني ، ثقة من الثانية . شهد فتح دمشق . اهـ . تقريب ١/ ٣٤٨ . وذكره في طبقات اليمن لابن سمرة ٦١ وسماه ابن كليب ابن أوس.

عن أوس بن أوس الثقفي [١] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي** » قالوا : كيف تعرض عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت. قال : « **إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** »[٢] .

وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي [٣] وابن ماجه [٤] ورواه أبو حاتم والبيهقي، وله شواهد .

وروى حديثين عن ابن مسعود وأبي أمامة ثم قال : وله شواهد

---

(١) أوس بن أوس الصحابي الثقفي . سكن دمشق ومات بها ، روى عن النبي ﷺ في فضل الاغتسال يوم الجمعة ، وعنه أبو الأشعث الصنعاني وعبادة بن نسي ، وجعله ابن معين أوس ابن أبي أوس وخطأه ابن حجر . اهـ ، تهذيب جـ١ ص٣٨١.

(٢) قلت : والحديث صحيح رجال سنده رجال الصحيحين إلا أن المعلق على سنن أبي داود قال : وأخرجه ابن ماجه وله علة دقيقة أشار إليها البخاري ، وقال الألباني في تعليقه على الحديث في كتاب فضل الصلاة على النبي لإسماعيل القاضي رقم ٢٢ : إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح وقد أعل بما لا يقدح ، وقد أخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وأحمد وله شاهد من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة ، راجع له الترغيب ج٢ ، ٢٨١.

(٣) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي صاحب السنن وأحد النقاد الحفاظ . توفي سنة ٣٠٣ ، وله ٨٨ سنة اهـ تقريب ١/ ١٦.

(٤) ابن ماجه هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الحافظ صاحب السنن والتفسير والتاريخ ، مات سنة ٢٧٣ وقيل ٢٧٥ وله ٦٤ سنة . اهـ تقريب ٢/ ٢٢٠.

أكثر مما ذكره البيهقي .

منها ما رواه ابن ماجه: حدثنا عمرو بن سواد البصري [(١)] حدثنا عبد الله بن وهب [(٢)] عن عمروب بن الحارث [(٣)] **عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن** [(٤)] عن عبادة بن نسي [(٥)] عن أبي الدرداء [(٦)] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها . قال : قلت : وبعد ، الموت ؟**

---

(١) عمرو بن سواد - بتشديد الواو - ابن الأسود بن عمرو العامري البصري . نسبه إلى البصرة - ثقة من الحادية عشرة . مات سنة ٢٤٥ . انتهى تقريب ٢/ ٧٢ .

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه . ثقة حافظ عابد من التاسعة ، مات سنة ١٩٧ وله ٧٢ سنة تقريب ١/ ٤٦٠ .

(٣) عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري ، مولاهم المصري أبو أيوب ، ثقة حافظ من السابعة . مات قديمًا قبل ١٥٠ ، روى له الجماعة اهـ . تقريب ٢/ ٦٧.

(٤) زيد بن أيمن مقبول من السادسة ورمز له (ق) أي : ابن ماجه اهـ . تقريب ١/ ٢٧٢.

(٥) عبادة بن نُسي - بضم النون وفتح المهملة الخفيفة - الكندي قاضي طبرية . ثقة فاضل من الثالثة . مات سنة ١١٨ . اهـ تقريب ١/ ٣٩٥.

(٦) أبو الدراد عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري . مشهور بكنيته صحابي جليل أول مشاهده أحد وكان عابدًا . مات في خلافة عثمان ، وقيل عاش بعد ذلك ، وقيل اسمه عامر اهـ تقريب ٢/ ٩١ .

قال: وبعد الموت. إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[(١)]

انتهى.

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله بع دذكر حديث أبي هريرة المتقدم وحديث الحسن بن الحسن في نهيه لسهيل بن أبي سهيل وحديث علي ابن الحسين.. ثم قال : فهذه الأحاديث المعروفة عند أهل العلم التي جاءت من وجوه حسان يصدق بعضها بعضًا، وهي متفقة على أن من صلى عليه وسلم من أمته فإن ذلك يبلغه ويعرض عليه ، وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المصلي عليه والمسلم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عله ويبلغه ﷺ تسليمًا ، ومعلوم أنه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر الله به ، سواء صلى عليه وسلم في مسجده أو في مدينته أو في مكان آخر، فعلم أن ما أمر الله به من ذلك فإنه يبلغه ، أما من صلى عليه عند قبره فإنه يرد عليه ، وذلك كالسلام على سائر المؤمنين، ليس ذلك من خصائصه»اهـ.

(١) قال الحافظ في اللسان في ترجمة زيد بن أيمن : روى عن عبادة بن نُسَي وعنه سعيد بن أبي هلال، ذكره ابن حبان في الثقات ، روى له ابن ماجه حديثًا واحدًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ قلت : أي ابن حجر - رجاله ثقات . لكن قال البخاري : زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسل ، قال في التقريب: زيد بن أيمن مقبول . قلت : ويبلغ درجة الحسن لغيره لما له من الشواهد.

فصل

فيما ورد في عرض الأعمال عليه ﷺ

وأما بالنسة لعرض الأعمال عليه ﷺ بعد موته فقد ور دذلك في حديثين مرسلين :

أحدهما : عن بكر بن عبد الله المزني[1] أخرجه إسماعيل القاضي رحمه الله في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٥ و ٢٦)، الأول : من طريق سليمان بن حرب [2] قال : حدثنا حماد بن زيد [3] حدثنا غالب [4] القطان عن بكر بن عبد الله المزني قال رسول الله ﷺ : « **حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فإن رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم** » . أما الطريق الثاني : فهو عن

---

(١) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري ثقة ثبت جليل من الثالثة . مات سنة ١٠٦ . اهـ . تقريب ١/١٠٦.

(٢) سليمان بن حرب الأزدي الواشحي بمعجمه ثم مهملة - البصري القاضي بمكة . ثقة إمام ثبت حافظ من التاسعة . مات سنة ٢٢٤ وله ٨٠ سنة . تقريب ١/٣٢٢.

(٣) حماد بن زيد تقدمت ترجمته ، وكذلك إسماعيل القاضي تقدمت ترجمته ، وكذلك حماد بن سلمة تقدمت ترجمته .

(٤) غالب بن خطاف - بضم المعجمة وقيل بفتحها - وهو ابن أبي غيلان القطان أبو سليمان البصري من السادسة . روى له الجماعة . اهـ . تقريب ٢/١٠٤.

الحجاج بن [١] المنهال قال : حـدثنا حماد بن سلمة ، عن كـثير أبي الفضل [٢] عن بكر بن عبـد الله المزني أن رسول الله قـال . . . نحو اللفظ الأول بمعناه.

الحديث الثاني : وهو ما استدل به ابن الحاج على ما قرره هنا من مـشاهدة النبي ﷺ لأمـته ومـعرفـته بـأحوالم ونيـاتهم وعزائمـهم وخواطرهم، ذلك عنده جلي لا خفاء فيـه . . . ثم أتبعه بقوله : فإن قال قائل : هذه الصفات تختص بالمولى سبحانه وتعالى، فالجواب أن كل من انتـقل إلى الآخرة من المؤمنين فـهم يعلمـون أحوال الأحـياء غالبًـا، وقد وقع ذلك في الكثيـر بحيث المنتهـى من حكايات وقعت منهم.

ويحتمل علمهم بذلك حين عرض أعمـال الأحياء عليهم ويحتمل

(١) حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي أبو محمـد مولاهم البصري . ثقة فاضل . مات سنة ٢١٦ أو ٢١٧ . روى له الجماعة . تقريب ١/ ١٥٤.

(٢) كثيـر أبو الفضل واسم أبيه يسار . أورده ابن أبي حاتم ٣/ ٢/ ١٥٨ ولم يذكـر فيه جرحًـا ولا تعديلاً . وقال ابن حـجر في تعجيل المـنفعة ٣٥٠ وترجمـه ٩٠٤ وقال البخاري : كثير بن يسار أبو الفـضل سمع يوسف بن عبد الله بن سلام وهو طفاوي بصري ، وقـال ابن القطان الفاسي : مـجهـول الحال ، وكأنه لم يقـف على كلام البخـاري ، ورد كلام ابن القطان أيضًا في اللسان ٤/ ٤٨٥ وأطال وقـال : ذكره ابن حبان في الثقات ، ثم قال : فهؤلاء عشرة أنفس رووا عنه ثناء سعيد بن عامر فكيف لا يكون معروفًا ؟ انتهى .

غير ذلك . وهذه أشياء مغيبة عنا، وقد أخبر الصادق بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك [١] والكيفية فيه غير معلومة، والله أعلم بها وكفى هذا بيانًا قوله ﷺ : « **المؤمن ينظر بنور الله** » انتهى ونور الله لا يحجبه شيء ، هذا في حق الأحياء من المؤمنين، فكيف من كان منهم في الدار الآخرة؟.

وقد قال الإمام أبو عبد الله القرطبي في تذكرته ما هذا الفظه : ابن المبارك، أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمر [٢] وحدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا وتعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم. قال الله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ [٣] اهـ ، ما قصدت نقله .

وهذا هو الأثر الثاني المرسل الذي بنى عليه ابن الحاج عقيدته أن

---

(١) قوله : وقد أخبر الصادق بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك صدر كلامه بقد التحقيقة ثم قال : فلا بد من وقوع ذلك . وأقول : متى وأين ورد هذا الخبر ؟ وهل هو صحيح أم لا ؟ هذه أسئلة تحتاج إلى إجابة . والحق أنه لم يرد في ذلك إلا حكايات لا يعتمد على مثلها . ومن قال أنه وارد عن الرسول ﷺ فليأت به مسنداً، وإذا صح فنحن أول من يقبل .

(٢) المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي . صدوق ربما وهم . من الخامسة . تقريب جـ ص ٢٧٨.

(٣) سورة النساء الآية ٤١ .

النبي ﷺ يعرف أحوال أمته الآن وخواطرهم ونياتهم وعزائمهم، وبناء على شفا جرف هار فنهار به إلا أن يتوب قبل موته، فالخبر كما ترى مرسل وفيه رجل مجهول.

والخبر الثاني مرسل أيضًا . وإن كان الطريق الأول صحيحًا إلى بكر بن عبد الله المزني - وبكر بن عبد الله المزني تابعي وسط توفي سنة ١٠٧ هـ أو ١٠٦ هـ . ولكن الواسطة بينه وبين النبي ﷺ لا يدرى هل هو صحابي أو تابعي ؟ ، وإن كان تابعيًا فهل هو ثقة أو غير ثقة؟ وهل سمعه من صحابي أو من تابعي آخر؟ وهل هو ثقة أو غير ثقة؟ وهكذا . الاحتمال حاصل فيمن بعد الثاني. وهناك حديث ثالث أشار إليه الألباني جزاه الله خيرًا في تخريجه لحديث بكر بن عبد الله المزني في الكتاب المذكور سابقاً. حيث قال: وقد رواه البزار موصولاً من حديث ابن مسعود. وقال الحافظ العراقي : رجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن أبي رواد [1] وإن أخرج له مسلم ووثقه يحيى بن معين والنسائي، فقد ضعفه بعضهم [2] .

(١) عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد - بفتح الراء وتشديد الواو - صدوق يخطيء وكان مرجئًا أفرط ابن حبان فقال : متروك . من التاسعة . مات سنة ٢٠٦ ورمز له (م عم) اهـ تقريب ١/ ٥١٧ .

(٢) قلت : في هذا إشارة من الحافظ العراقي إلى تضعيفه.

قلت : كلام علماء الجرح والتعديل فيه يدل على الضعف حتى ممن يوثقونه، فقول ابن معين : فيه ثقة ليس به بأس، وقال مرة ثقة كان يروي عن قوم ضعفاء، وقال البخاري كان يرى الإجاء، وكان الحميدي [١] يتكلم فيه، وقال أبو رواد كان مرجئًا داعية في الإجاء، وما فسد عبدالعزيز [٢] حتى نشأ ابنه وأهل خراسان لا يحدثون عنه.

وقال النسائي : ثقة.

وقال في موضع آخر ليس به بأس.

وقال أبو حاتم : ليس بالقوي، يكتب حديثه.

وقال عبد الرازق حين بلغه موته ، الحمد لله الذي أراح أمة محمد من عبد المجيد.

وقال الدارقطني : لا يحتج به .

وقال العقيلي : ضعفه محمد بن يحيى [٣] .

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي أبو بكر . ثقة حافظ فقيه . أجل أصحاب ابن عيينة: مات سنة ٢١٩ وقيل بعدها. قال الحاكم. كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه. اهـ . تقريب ١/ ٤١٥ .

(٢) عبد العزيز بن أبي رواد - بفتح الراء وتشديد الواو - صدوق عابد ربما وهم . رمي بالإرجاء . من السابعة . مات سنة ١٥٩ . اهـ . تقريب ١/ ٥٠٩ .

(٣) محمد بن يحيى هو ابن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري ، أحد شيوخ البخاري. ثقه حافظ جليل من الحادية عشرة . مات سنة ٢٥٨. اهـ تقريب ٢/ ٢١٧.

وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالمتين عندهم .

وقال ابن سعد : كان مرجئًا ضعيفًا .

وقال الساجي : روى عن مالك حديثًا ثم ساقه بسنده وهو حديث « **الأعمال بالنيات**» من طريق غير طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال الدارقطني في العلل : كان أثبت الناس في ابن جريج .

وقال ابن حبان : كان يروي المناكير عن المشاهير . انتهى.

قلت : فأنت ترى كلام علماء الجرح والتعديل في عبد المجيد الذي انفرد بوصل هذا المرسل وأن جمهورهم يضعفه، ومن روي عنه توثيقه فقد روى عنه تضعيفه، ثم إن التوثيق يأتي بصيغة قريبة إلى الضعف كقولهم : ليس به بأس، ليس بالقوي، ليس بالمتين . وهنالك شيء آخر لم يخطر ببالي إلا في هذا اللحظة ، وهو أن عبد المجيد كان مرجئًا داعية إلى الإجاء، كما صرح به غير واحد، وهذا الأثر يؤيد مذهبه الإرجاء وهو كون النبي ﷺ يستغفر لأمته في البرزخ[1] ، وعلى هذا فإن الأثر الذي رفعه يؤيد مذهبه فلذلك لا

(١) حتى ولو قدر صحة استغفار النبي ﷺ في البرزخ فذلك لا يعني أن مطلع عليهم وعلى أعمالهم ونياتهم وخواطرهم ، ولا أنه يعرف أعيانهم وأسماءهم ويستغفر لهم فردًا فردًا ، بل إذا قدر صحة ذلك فهو يستغفر للمسيئين منهم على العموم .

ومن جهة أخري فلا يجوز لأحد من أمته أن يجتريء على المعاصي اعتمادًا على أن=

يقبل، وعلى هذا فلا حجة في هذه الأحاديث مرسلها وموصولها، ولا يحسن الاعتماد عليها في هذا الأمر الذي هو أصل من أصول العقيدة، وهو أمر غيبي لا ينبغي الاعتماد فيه على المراسيل ولا أحاديث الضعفاء، وإذا كان الضعيف صاحب بدعة وكان الحديث يدعو إلى بدعته بطل الاحتجاج به.

وإذا كان جمهور المحدثين وبعض الفقهاء قد ذهبوا إلى عدم قبول المرسل في الفروع، فكيف إذا كان في أصل من أصول العقيدة وقد خالف المقطوع به من الكتاب والسنة؟ أما من الكتاب فالآيات الدالة على استئثار الله عز وجل بعلم الغيب، ومن المسلم به قطعًا أن الإحاطة بأعمال البشر والاطلاع على ما سجل في دواوينهم تفصيلاً من خصائص المولى القدير جل وعلا.

وأما من السنة فقد ثبت من طرق وعن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ يقول حين يذاد بعض أصحابه عن حوضه: «**أصحابي أصحابي**» وفي رواية: «**أصيحابي**

=النبي ﷺ يستغفر له، فكل معصية تقع منهم تقع مغفورة باستغفار النبي ﷺ لهم في البرزخ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد أن كل من انتسب إلى أمة محمد سيدخل الجنة بمجرد هذه النسبة. لأن النبي ﷺ لما أنزل عليه ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ قال: لا يرضى وأحد من أمته في النار. كل هذه تصورات خاطئة لا يعتقدها ويدين بها إلا كل مبتدع ضال.

أصيحابي» فيقال : « **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»** وفي رواية : « **إنهم لم يزالوا يمشون القهقري»** وفي رواية « **إنهم بدلوا بعدك . فأقول : سحقًا لمن بدل بعدي** » وفي رواية « **فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد»** والشاهد قوله : « **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** » .

فهذا صريح في أنه لا يدري، فكيف نترك الأحاديث الثابتة التي تقول إنه لا يدري ونعتمد على مرسل في الإيمان بالغيب ونقول إنه يدري؟ فقد روى البخاري هذا الحديث بهذا اللفظ أي : « **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»** من حديث ابن عباس في تفسير سورة الأنبياء [(١)] وفي باب ما جاء في الحوض من حديث عبد الله بن مسعود [(٢)] وأنس [(٣)] وسهل بن سعد [(٤)] ومن حديث أبي هريرة بلفظ : « **إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك** » [(٥)] ومن حديث سعيد بن المسيب عن أصحاب النبي ﷺ [(٦)] بلفظ حديث أبي هريرة، ومن حديث أسماء

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير رقم ٤٧٤٠ .
(٢) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٧٦ .
(٣) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٨٢ .
(٤) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٨٤ .
(٥) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٨٥ ، ٦٥٨٧ .
(٦) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٨٦ .

بنت أبـي بكر « **هل شعـرت ما عملوا بعـدك؟ والله ما برحوا يرجـعون على أعقابهم**» [١] أليـست هذه الأحاديث صـريحـة أنه لا علم له بما عمله الناس بعـده وكلها في صـحيح البخـاري ؟والذي يتضح لي أن الذين رووا عرض الأعـمال وهموا من عـرض الصلاة والسـلام عليه صلوات الله وسلامه عليه.

وما يدل على صحة ما قلته ما ذكره الحافظ في الفتح حيث قال : ووقع في رواية مـحمـد بن فـضالة الظفـري أخـرجه ابن أبي حـاتم والطبراني وغيرهما من طريق يونس [٢] بن محمد بن فضالة عن أبيه[٣] أن النبي ﷺ أتاهم فـي بني ظفـر ومـعـه ابن مـسـعـود وناس من أصحابه، فأمر قارئًا فقرأ فأتى على هذه الآية : ﴿ **فيكف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجـئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ فبكى حتى ضرب لحياه ووجنتاه فقال : « **يا رب هذا من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره**».

وسكـوت ابن أبي حـــاتم عن رواة هذا الحــــديث يدل عــلى

---

(١) أخرجه البخاري باب ما جاء في الحوض رقم ٦٥٩٣.

(٢) ترجمه ابن أبي حاتم ج ٤ ت ١٠٣٢ حرف الياء فقـال : يونس بن محمد بن فضالة ابن أنس الظفري أبو محمد روى عن أبيه . وسكت فلم يوثقه ولم يضعفه.

(٣) هو محـمد بن فـضالة الظفـري . ترجمـة ابن أبي حاتم جـ٤ ق١ت٢٥٨ صـحابي صغير . روي أن أمه أتت به النبي ﷺ قال : فـمسح على رأسه فشمط رأسه إلا قدر ما مر عليه يد النبي ﷺ وترجـمه في الإصابة ٣/ ٣٥٠ وبين أنه ولد قبل قدوم النبي ﷺ بأسبوعين أي : حين هاجر.

اعتبارهما، وهو الظاهر من صنيع الحافظ أيضًا رحم الله الجميع.

وأما قول ابن حجر بعد أن ذكر مرسل سعيد بن المسيب الذي سبق أن ذكرناه ، ففي هذا المرسل ما يرفع الإشكال الذي تضمنه حديث ابن فضالة أي الحديث الآنف الذكر - فهذا بناء منه على قبول مراسيل سعيد بن المسيب كما هو مذهب الشافعي، وذلك يتمشى ما لم يعارض بأقوى ، وهذا فيه مجهول ، وقد عارضه ما هو أقوى .

وأقول : لا إشكال فإن شهادة الرسل شهادة بالتبليغ للأمة ، وهي شهادة إجمالية ، ويمكن أن تكون تفصيلية في حق من بعث فيهم فكذبوه من معاصريه، فقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن جريج أنه قال في قوله : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا** ﴾ [1] قال : رسولها، فيشهد عليهم أن قد بلغهم بما أرسله الله به إليهم.

وأخرج من طريق عبد الله بن محمد الزهري[2] قال : حدثنا

(١) سورة النساء الآية ٤١.

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري البصري . روى عن سفيان بن عيينة : سئل أبي عنه فقال صدوق اهـ . ابن أبي حاتم ق٢ جـ٢ .

سفيان[١] عن المسعودي[٢] عن جعفر[٣] بن عمرو بن حريث عن أبيه[٤] ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «**شهيدًا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**».

وأخرجه من طريق أخرى عن سفيان عن المسعودي عن القاسم مرسلاً بكامل القصة. وفي آخره قال المسعودي: فحدثني جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه نحوه.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ كان يرفع أصبعه إلى السماء في خطبته في حجة الوداع بعد قوله: «**ألا هل بلغت**» وقول من حضره: اللهم نعم، ويقول: «**اللهم أشهد**»[٥]

---

(١) سفيان هذا لا أدري من هو؟ فإن كان هو ابن عيينة أو سفيان بن دينار الكوفي فالسند منقطع بينه وبين المسعودي، لأن المسعودي توفي سنة ٧٩، أي قبل ولادة كل منهما بزمن، فالله أعلم. وكلا المذكورين في التراجم لا ينطبق على أحد منهم.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الهذلي الكوفي. ثقة من صغار الثانية. مات سنة ٧٩ وقد سمع أباه لكن شيئًا يسيراً. اهـ. تقريب ١/ ٤٨٨.

(٣) هو جعفر بن عمر بن حريث المخزومي، مقبول من الثالثة. رمز له (م د تم س ق) اهـ تقريب ١/ ١٣١.

(٤) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، صحابي صغير. مات سنة ٨٥ رمز له (٤) اهـ. تقريب ٢/ ٦٧.

(٥) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ٧٣٩ ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه رقم ١٧٤١ ومن حديث ابن عمر ١٧٤٢، ٤٤٠٣، ٦٠٤٣، ٦١٦٦، ٦٧٨٥، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧ وأخرجه مسلم من حديث جابر رقم ١٢١٨ باب حجة النبي ﷺ.

فهذه الأحاديث تدل على أن شهادة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة شهادة إجمالية بالتبليغ فقط، ويمكن أن تكون تفصيلية في حق معاصريه الذين كذبوه ، والله أعلم .

وفي حديث أنس عند مسلم قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك فقال : « **هل تدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة : يقول أي رب أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال : فيقول : فإني لا أقبل علي شاهدًا إلا من نفسي. فيقول الله تبارك وتعالى : أو ليس كفى بي شهيدًا وبالملائكة الكرام الكاتبين شهودًا** »[1] فلو كان النبي طلع على أعمال كل أمته ليشهد عليهم بها، لكان في الحديث ، ونبيك شهيدًا . ولكن لم يرد، وما كان ربك نسيًا.

أما حديث أنس عند أبي داود والترمذي مرفوعًا بلفظ : « **عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها** » ففيه ضعف كما قال الحافظ، ولو صح لم يكن فيه دليل على محل النزاع، لأنه في حياة النبي ﷺ ثم هو عرض للأعمال غير منسوبة إلى أحد . ومن جهة أخرى فإن حديث العرض ليس فيه دليل

(١) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢٩٦٩ وأخرجه البزار ولفظه « عجبت من مجادلة العبد ربه . . . » وآخره . يوافق الذي هنا كما نقلته من تفسير ابن كثير والقرطبي ، وعزاه ابن كثير أيضًا إلى ابن أبي حاتم.

على اطلاع النبي ﷺ على نيـات أمتـه وخواطرهم وأعـمالهم وإن صح.

فصل

في بيان أن حديث العرض لا يدل على اطلاع النبي ﷺ على أمته وقت مباشرة الأعمال.

ثم إن ما ادعاه ابن الحاج من اطلاع النبي ﷺ على أعمال أمته وخواطرهم ونياتهم لا يدل عليه حديث عرض الأعمال ، وإن صح، لا من قرب ولا من بعد، ولا بمفهوم ولا منطوق، ولا بتصريح ولا تعريض، فعلى فرض صحته وثبوته فإن العرض إنما يكون لدواوين الأعمال التي تكتبها عليهم الحفظة، وذلك يحصل بعد الفراغ منها أي: بعد أن يعملها العباد فتثبتها الملائكة في الدواوين ثم تعرج بها، وليس في ذلك ما يدل على أنه ﷺ يعلم أحوالهم حينما يعملونها، ولا أنه يطلع عليهم حين مباشرتهم لتلك الأعمال، ولا قبل ذلك حينما تتحرك إليها نياتهم ، وخواطرهم وإرادتهم، بل إن ذلك لا يعدو أن يكون غيبًا عنه حتى حين توضع دواوينهم بين يديه.

ومن زعم أنه يعلم أحوالهم قبل ذلك ويطلع على نياتهم وإراداتهم حين تتحرك إلى هذه الأعمال فهو مفترٍ كذاب ضال مضل يقول على الله وعلى رسوله بالخرص الكاذب والتنطع الممقوت، وما مثل ذلك إلا كمثل إنسان كتب لك كتابًا وهو غائب عنك فإذا وصل

إليك كتابه وقرأته لا تكون قد اطلعت على جميع أمره ، لا حين كتب لك الكتاب ولا حين وصل إليك الكتاب وقرأته، بل غاية ما في الأمر أنك تطلع على ما كتب في الكتاب، وهذا بين لا يخفى . والله أعلم.

فصل

إبطال استدلاله بحديث «المؤمن ينظر بنور الله».

وأما استدلاله بحديث « **المؤمن ينظر بنور الله** » فهو استدلال باطل يدل على غباء المستدل وجهله. فالحديث ضعيف لم يخرجه المستدل وجهله.

فالحديث ضعيف لم يخرجه سوى الديلمي ، وقد أورده السخاوي رقم ١٢٣٤) ويمكن أن نستدل على بطلانه وعدم صحته من لفظه ، فإن اللفظ الذي نقله السخاوي : « **المؤمن ينظر بنور الله الذي خلق منه»** المقاصد (٤٤٠) .

وهذا باطل . فالمؤمن خلق من الطين ولم يخلق من نور الله ، ولكن روى الترمذي: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وقال : غريب.

ومع هذا فليس فيه دليل على ما زعم، ثم قال : ونور الله لا يحجبه شيء. وأقول : نور الله لا يحجبه شيء صح. أما المؤمن فإنه بشر يحجبه الباب والجدرُ والستر والليل والبعد. . . وغير ذلك من الحواجز والحجب، فمن زعم أنه لا يحجبه ذلك فقد افترى أعظم الفراء. وقد نقل عن بعض الصوفية أنه كان يقول لأصحابه: لا خير فيمن يحجبه عن أصحابه قليل من التراب. سبحانك ربي ما أكذب

هؤلاء وما أقل حياءهم!

أما الفراسة فهي ظن . وقد ذم الله عز وجل بعض الظن وأمر المؤمنين باجتنابه فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾(١) كما حذر منه النبي ﷺ فقال: «**إياكم والظن الظن أكذب الحديث**» (٢) وقال أيضًا : « **إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ**» (٣) والفراسة لا تعدو أن تكون ظنًا ، فمن اعتقد في بشر غير الرسول ﷺ أن كل ظن يظنه حق لأنه ينظر بنور الله فقد كذب وافترى وخاب وخسر، وكذلك من اعتقد في الرسول ﷺ أنه يرى وهو في قبره ما يعمل الناس ويعرف نياتهم وخواطرهم وأحوالهم؛ فقد أعطاه حق الألوهية واعتقد فيه ما يعتقده النصاري في عيسى ابن مريم.

ولهذا قال ابن عبد الهادي رحمه الله في الصارم : ليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم، ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصاري الذين يقولون: إن المسيح هو الله،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢.

(٢) بعض حديث عزاه في الجامع الصغير إلى مالك وأحمد وابن ماجه وأبي داود والترمذي عن أبي هريرة قال الألباني في تخريج الجامع الصغير صحيح.

(٣) عزاه في الجامع الصغير إلى ابن ماجه عن جابر وقال ضعيف وكذلك قال الألباني ضعيف ولفظه إذا ظننتم فلا تحققوا إلخ قلت : معناه صحيح يؤخذ من الآية المتقدمة.

وأنه يعلم ما يفعله العباد ويسمع أصواتهم ويجيب دعاءهم اهـ.

الرد على ابن الحاج في عدم الفرق بين موت النبي ﷺ وحياته.

وأما قوله : إذ لا فرق بين موت النبي ﷺ وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، ذلك عنده جلي لا خفاء فيه.

قلت: هذا زعم باطل وتمحل كاذب سبق الرد على جانب منه، وهو دعوى الاطلاع على الغيب، والآن سأرد على الجانب الآخر وهو الحكم على الحياة البرزخية بأنها مساوية للحياة الدنيوية في جميع الأحكام بالنسبة للنبي ﷺ وذلك نأخذه من قوله: (إذ لا فرق بين موته وحياته) وعدم الفرق يلزم منه التساوي في جميع الأحكام.

وإذا كان كذلك فيلزم منه أن القرآن قد قرر خلاف الحقيقة حيث يقول : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾[1] ويقول تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا** ﴾[2] ونقول : صدق الله وكذب المفترون

(١) سورة الزمر الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

الكاذبون ، ويلزم من ذلك تكذيب الصحابة كلهم ، حيث وقف فيهم أبو بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين حين مات النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد : فمن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت [٣] ثم تلا الآيتين السابقتين . فخرج الناس من المسجد وهم كلهم يتلونها، وارتجت المدينة بالبكاء ، وبعد تعيين الخليفة بعده دفنوه وقلوبهم تكاد تتقطع حزنًا عليه صلوات الله وسلامه عليه.

ويلزم من ذلك أنهم قد دفنوه حيًا ليستريحوا منه،وأنه قد جنى على نفسه وعلى الإسلام إذا مكنهم من نفسه حتى دفنوه وهو حي ، ولم يكلمهم ويخبرهم أنه حي ، بل أوقعهم في البلبلة والحزن وكلفهم حروبًا للمرتدين وغيرهم في الجزيرة ، الذين ارتدوا حين سمعوا بموته بعد أن دخلوا في الإسلام قبل ذلك.

ويلزم من ذلك أنه بقي يسمع وينظر لأصحابه وهم يختلفون ويتقاتلون ولم يحكم بينهم .

ويلزم من ذلك تكذيبه في قوله : « **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة**»[١] ويلزم من ذلك أن عليًا والعباس وفاطمة

(٣) أخرجه البخاري جنائز ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ،٣٦٦٨ ، ٣٦٧٠ ، ٤٤٥٣ ، ٤٤٥٤، ٤٤٥٧.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**لا نورث ما تركنا فهو صدقة**» رقم ٦٧٢٥ ، ٦٧٢٦ ، ٦٧٢٧ وما بعده من الأرقام إلى الثلاثين.

رضي الله عنه مخطئون ظالمون حين طالبوا أبا بكر بميراثهم من النبي ﷺ فأقنعهم بالحديث السابق (١) والتزم أن يصل كل قرابة كان يصلها رسول الله ﷺ وأن ينفق على من كان ينفق عليه النبي ﷺ .

وبالجملة فإن في ذلك تكذيباً لكتاب الله تعالى وتكذيباً لرسول الله ﷺ ومخالفة لإجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

ونحن نؤمن بأن رسول الله ﷺ حي حياة برزخية كما أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، والرسول ﷺ أفضل منهم ومن جميع الأنبياء والمرسلين.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه وجد الأنبياء ليلة عرج به إلى السماء أحياء على منازلهم في السموات، كما ثبت عنه بالتواتر(٢) وأنهم جميعًا سلموا عليه وهنؤوه بالرسالة، وأن موسى عليه السلام قال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عدة مرات (٣) .

وثبت أن موسى عليه السلام حاج أبانا آدم في إخراجنا ونفسه من الجنة، وأن آدم حج موسى عليهما السلام (٤) بأن ذلك كان مكتوبًا

(١) انظر رقم ٦٧٢٥ ، ٦٧٢٦ المشار إليهما سابقًا .

(٢) أخرجه البخاري باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء رقم ٣٤٩ وأخرجه أيضًا ١٦٣٦ ، ٣٣٤٢.

(٣) انظر الأحاديث المشار إليها في الرقم السابق.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦١٤ في كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى عند الله وأخرجه أيضًا في كتاب التوحيد رقم ٧٥١٥.

عليه في الأزل.

وجميع هذه الأخبار تثبت أن الأنبياء أحياء كما أن الشهداء أحياء، وكلهم عند ربهم يرزقون.

ولكن الحياة البرزخية أمر غيبي لا يعلمه إلا الله، ومن زعم أنها مساوية للحياة الدنيوية فقد كذب وافترى وضل ضلالاً بعيداً، لأن الحياة البرزخية لا مجال للعقل فيها، وما لا مجال للعقل فيه فلا يجوز الحكم عليه، ولا يجوز أن نقيسه على الحياة الدنيوية التي يتوقف البقاء فيها على الطعام ، وللجسم فيها حاجات لا تطيب الحياة إلا بها، أما تلك الحياة فشيء لا نعلم منه إلا اسم الحياة ولا ندري ما هي.

ولنستمع الآن إلى صاحب القلم السيال والسحر الحلال العالم الجليل والحبر النبيل الشيخ محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية في نونيته يحدثنا عن هذا الموضوع المهم، ويرد على من زعم أن النبي ﷺ حي في قبره حياة كحياته الدنيوية.. فإلى ما قاله رحمه الله :

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعة يا كثرة الخلقان

قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان

من فوقه أطباق ذاك الترب واللبنات قد عرضت على الحيطان

لو كان حيًا في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الأرض حيًا ثم لا يفتيهم بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء والخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حيًا عاجز عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللآت قد أثبتموها أوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتيا وهو في الأكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذا بالحق والبرهان
هلا أجابهم جوابًا شافيًا إن كان حيًا ناطقًا بلسان
هذا وما شهدت ركائبه عن حجرات للقاضي والبلدان[1]
مع شدة الحرص العظيم له على إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
إن قلتم سبق البيان صدقتم قد كان بالتكرار ذا إحسان

---

(١) أي: مدبرة عن الحجرات تاركة لها ذاهبة للقاصي من البلدان في طلب العلم.

هذا وكم من أمر أشكل بعده ... أعني على علماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ود بأنه ... قد كان منه العهد ذا تبيان
للجد في ميراثه وكلالةٍ ... ولبعض أبواب الربا الفتان[1]
قد قصر الفاروق عند فريقكم ... إذ لم يسله وهو في الأكفان
أتراهم يأتون حول ضريحه ... لسؤال أمهم أعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ... ولا يأتي لهم ببيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله ... إن كان حيًّا داخل البنيان
يا قومنا استحيوا من العقلاء ... والمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر الرسول عرفتهم ... كلاولا للنفس والإنسان
من كان هذا قدر مبلغ علمه ... فليستتر بالصمت والكتمان

انتهى ما قصدت الرد عليه من كلام ابن الحاج.

---

(١) يشير إلى حديث عمر ... وددت.

الكلمة العاشرة

قال ١٩ ألف الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي المتوفي سنة ٧٥٦ كتابًا حافلاً في زيارة قبر النبي الأعظم في١٨٧ صحيفة سماه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ردًا على ابن تيمية، وذكر كثيرًا من أحاديث الباب . . . إلى أن قال : وقال في صحيفة ٥٩ : كيف يتخيل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى؟ وسنذكر ذلك وما ورد من الأحاديث والآثار في زيارتهم.

وحكى ٦١ عن القاضي عياض وأبي زكريا النووي إجماع العلماء على استحباب الزيارة. فإن قلت : إن الفرق - يعني بين زيارة قبر النبي ﷺ وغيره - أن غيره يزار للاستغفار له لاحتياجه إلى ذلك ما فعل النبي ﷺ في زيارته لأهل البقيع والنبي ﷺ مستغن عن ذلك ، قلت : زيارته ﷺ إنما هي لتعظيمه والتبرك به ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه.

كما أننا مأمورون بالصلاة والسلام عليه وسؤال الوسيلة له. . . وغير ذلك مما يعلم بأنه حاصل له ﷺ بغير سؤالنا ، ولكن النبي ﷺ أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا متعرضين للرحمة التي رتبها

الله على ذلك.

فإن قلت: الفرق أيضًا أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره ﷺ يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد.

قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود، ولولا خشية اغترار الجهالة به ما ذكرته، فإن فيه تركًا لما دلت عليه الأدلة الشرعية بالآراء الخيالية الفاسدة، وكيف نقدم على تخصيص قوله ﷺ «**زوروا القبور**» وعلى ترك قوله: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة؟ انتهى.

ج - الرد عليه من وجوه:

أولاً: أما الأحاديث التي في باب الزيارة فقد عرفت أنه لم يثبت منها شيء البتة، والثابت من السنة يخالف ما ورد فيها.

ثانيًا: قياس زيارة قبر النبي ﷺ على زيارة سائر القبور باطل من وجيهن:

الوجه الأول: الفرق بين قبره وقبر غيره، من ناحية أن قبره يخشى أن يعظم فيعبد، وذلك هو الذي حذره النبي ﷺ حين نهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا ودعا الله أن يمنعه ذلك.

الوجه الثاني: أن محل النزاع - وهو شد الرحال للزيار- ممنوع

في الأصل كما هو ممنوع في الفرع وكما قد سبق بيانه، وتوضيح ذلك أنه لا يجوز لأحد أن يشد رحلاً لزيارة قبر مسلم بعيدًا عنه، فإن كان القبر المزور قريبًا من الزائر بحيث لا يحتاج إلى شد رحل إليه جاز ذلك.

ثالثًا: الإجماع المدعى قد سبق أن بينا أن شيخ الإسلام حكاه وقال به، أما الاستدلال بهذا الإجماع على جواز الزيارة البدعية والزيارة الشركية فذلك تضليل وكذب.

رابعًا: وأما قوله: قلت: زيارته ﷺ إنما هي لتعظيمه. وأقول: سبق أن نقلت عن ابن عبد الهادي أن زيارة قبره ﷺ ليست من تعظيمه المشروع، ولو كانت من تعظيمه المشروع لسبقنا إلى ذلك أصحابه ﷺ، ولكن تعظيمه بمتابعته والتقيد بأوامره ونواهيه والتخلق بأخلاقه ونشر سنته والإكثار من الصلاة والسلام عليه.

خامسًا: قوله: ولتنالنا الرحمة بالصلاة والسلام عليه، وأقول: أما الصلاة والسلام عليه فلا يلزم منها أن تكون عند قبره، بل أينما صلينا أو سلمنا عليه من بقاع الأرض فإن ذلك يعرض عليه ﷺ.

سادسًا: وأما قوله: فإن قلت الفرق أيضًا أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره ﷺ يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد. قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود... إلخ.

وأقول : هذه العلة التي ذكرها هي التي خشيها ﷺ حتى قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»(١) وهي التي لعن الله اليهود والنصارى من أجلها بقوله : «**لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (٢) .

سابعًا : وأما قوله : هذا الكلام تقشعر منه الجلود: فأقول : من اقشعر جلده من الحق ومن التوحيد فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ (٣) وبعد أن كتبت هذا رأيت ابن عبد الهادي قد كتب نحوه ، فحمدت الله على هذه الموافقة .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) سورة الزمر الآية ٤٥ .

الكلمة الحادية عشر

وقد قال في ص٣٢ نقلاً عن الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار ٤/ ٣٢٤ قال : وقد اختلفت فيها - أي في زيارة قبر النبي ﷺ - أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة، وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى إنها واجبة، وقالت الحنفية أنها قريبة من الواجبات . . إلى أن قال : وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو أفضلها عند مالك.

وليس لشد الرحال إلى غير الثلاثة فضل لأن الشرع لم يجيء به، وهذا الأمر لا يدخله قياس لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص بهذه دون غيرها.

وقد صح عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد للسلام على النبي ﷺ والسفر إليه قربة لعموم الأدلة، ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا، وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهًا واحدًا . . . انتهى.

إلى أن قال : وللشيخ تقي الدين بن تيمية كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية، وأنه ليس من القرب بل بضد

ذلك ، ورد عليه «**تقي الدين السبكي**» في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين.

ج - أقول : بالرجوع إلى نيل الأوطار بالرقم المشار إليه وجد ما يأتي:

أولاً : أن الكلام الذي نقله عن الشوكاني في النيل - كماتراه هنا - لم يوجد كلة في النيل ، بل من قوله : وينبغي للزائر. . . إلخ ما نقل ، لم أره في النيل بعد التأكد الشديد والمطالعة الحبث عدة مرات، بل الموجود فيه : وقد اختلفت فيها أقوال أهل العلم ، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة، وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة، وقالت الحنفية إنها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلي حفيد المصنف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنها غير مشروعة، وتبعه على ذلك بعض الحنابلة. وروي ذلك عن مالك والجويني والقاضي عياض كما سيأتي . . ثم قال : احتج القائلون . . . إلخ ما ذكر من إيراد حجج كل فريق وما أجاب به الآخرون ، وما نقله هنا لم يوجد في النيل. ولا أستبعد أن يكون الزائد قد زاده الروافض في النسخة التي بأيديهم، ومع هذا فإن الرد عليه فيه من وجوه:

الوجه الأول: أن ما أورده الشوكاني من خلاف في حكم الزيارة إنما هو في زيارة المسجد وليس في زيارة القبر، وكلام السلف الأوائل إنما هو في زيارة المسجد. أما المتأخرون فقد حملوه على زيارة القبر

متأولين لحديث النهي عن شد الرحال، أو متأثرين بالواقع الذي قد رسمت فيه مخالفات النصوص والتهاون في النواهي الشرعية .

الوجه الثاني: وأما قوله: ومنع ذلك تقي الدين ابن تيمية حفيد المصنف. . . فهذا يدل على أن الشوكاني رحمه الله لم يقرأ شيئًا من مؤلفات شيخ الإسلام ولا رأى كلامه في الزيارة ولم ير الرد على السبكي لابن عبد الهادي؛ وإنما قرأ النقول عنه والنقول مشوهة كما عرفت، فشيخ الإسلام لم يمنع الزيارة الشرعية كما رأيت في كلامه الذي نقلته فيما سلف من هذا الكتاب، ولكن أعداء شيخ الإسلام شوّهوا الحقائق قاصدين التنفير عنه وتصويره بصورة العداء للشريعة وصاحب الشريعة ﷺ وهم في ذلك كاذبون مفترون.

الوجه الثالث: وأما قوله : وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة المسجد . . . إلخ فأقول : من الخطأ أن ينوي زيارة القبر ويجعل زيارة المسجد تابعة لها، والحق أن ينوي زيارة المسجد وتكون زيارة القبر تابعة لها تمشيًا مع أصول الشريعة الثابتة، لأن زيارة القبر لم يثبت فيها شيء كما تقدم.

الوجه الرابع: قوله : وليس لشدِّ الرحال إلى غير الثلاثة فضل، لأن الشرع لم يجيء به، وهذا الأمر لا يدخله قياس لأن شرف البقعة لا يعرف إلا بالنص الصريح عليه ، وقد ورد في هذه دون غيرها.

وأقول : هـذا هو الحق الذي لا ينبغي العـدول عنه ، وهو الذي وقف عنده شـيخ الإسلام وغـيره من السلف الأخـيار، فـمنعوا شـد الرحال إلى غـير المساجـد الثلاثة وعـدوه معصـية تأسيًـا بهذا النص واتباعًا له.

الوجه الخامس: وأما قوله : وقد صح عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبـرد البريد للسـلام على النبي ﷺ فالسـفر إليـه قربة لعـموم الأدلة. . وأقول : لم يصح إبراد البريد عن عمـر بن عبد العزيز، بل هو ضعيف جدًا كما ستعرف ذلك.

وأما قوله : فالسـفر إليه قربة لعموم الأدلة. فـإن كان المقصود به القبر فـهو باطل كما قلت سـابقًا ، لأنه لم يثبت فيه دلـيل البتة، بل الأدلة دالة على المنع من ذلك كقوله: « **لا تتخذوا قبري عيداً**» وغيره.

وقد أورد السبكي هذا الأثر عـن عمر بن عبد العـزيز في معرض احتجاجه على شرعية شد الرحال لزيارة القبر الشريف، ورد عليه ابن عبـد الهادي في (الصارم المنكي) ص ٢٠٤ وقال : والجـواب عليه من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة الإسناد إلى عمر بن عبد العزيز. ولـم يذكر المعترض الإسـناد في ذلك لينظر فيه هل هو صحـيح أم لا؟ وكأنه لـم يظفر به، فـإنه لو ظفر به ووقف عليه لبادر إلى ذكـره ولو كان إسنادًا

ضعيفًا كما هي عادته .

الوجه الثاني: إن ما نقل عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام قاصدًا إلى المدينة لمجرد الزيارة ليس بصحيح عنه، بل في إسناده ضعف وانقطاع.

وأمثل ما روي عنه في ذلك ما رواه البيهقي في (شعب الإيمان) فقال : حدثنا سعيد ابن أبي عمر، أنبأنا أبو عبد الله الصفار [١] حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثني إسحاق ابن أبي حاتم المدائني حدثنا ابن أبي فديك [٢] عن رباح بن أبي بشير عن يزيد ابن أبي سعيد مولى المهري[٣] قال : قدمت على عمر بن عبد العزيز[٤] إذ كان خليفة

---

(١) أبو عبد الله الصفار محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار . محدث راوية . سمع من ابن أبي الدنيا كتبه . ولد سنة ٢٤١ وتوفي سنة ٣٣٩ . معجم المؤلفين لكحالة ١٠/ ١٩٥.

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك - مصغرًا - الديلي . مولاهم المدني أبو إسماعيل من الثامنة . مات سنة ١٨٠ على الصحيح رمز له (ع) أي : الجماعة . اهـ . تقريب ٢/ ١٤٥.

(٣) يزيد بن أبي سعيد مولى المهري ، مقبول من السادسة . رمز له (م د) . اهـ . تقريب ٢/ ٣٦٥.

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين . أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير . وولي الخلافة بعده فعد من الخلفاء الراشدين ، من الرابعة . مات سنة ١٠١ في رجب وله أربعون سنة . مدة خلافته سنتان ونصف رمز له (ع) رحمه الله تقريب ٢/ ٥٩.

بالشام، فلما ودعته قال : إن لي إليك حاجة، إذا أتيت المدينة فسترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام. فـهذا أجود ما روي عن عمر بن عبد العزيز في هذا البـاب، مع أن في ثبوته عنه نظرًا ، فإن رباح بن أبي بشير شيخ مجهول لم يرو عنه غير ابن أبي فديك، ولو فرض أنه شيخ معـروف بالثقة فليس في روايته ذكر إبراد الـبريد لمجرد الزيارة، وإنما فيهـا إرسال السلام مع بعض من قدم على عمر بن عـبد العزيز من أهل المدينة، وكـان قد قـدم منها إلى الشـام على عمـر بن عـبد العزيز، فلما ودعه وأراد الرجوع إلى بلده قال له عمر بن عبد العزيز: سـترى قـبر النبي ﷺ فـأقرئـه مني السلام. وقـد عرف أن شـيخ الإسلام لم يذكر نزاعًا في الجواب فيـمن سافر إلى المدينة لحاجة وزار عند قدومه، أو اجتمع في سفره قصدُ الزيارة مع قصدِ آخر، وإنما ذكر الخلاف فيمن قصد مجرد القبر.

ويزيد بن أبي سعيد قصد الرجوع إلى بلدة المدينة وانضم إلى ذلك قـصد آخـر وليس هذا مـحل النزاع، وإنما الخـلاف في شد الرحـال وإعمال المطي إلي مجرد زيارة القبور.

إلى أن قال : فإن قـيل: قد روى البيهقي نحـو هذا من وجه آخر فقال : حدثنا عبـد الله بن يوسف الأصبهاني، أنبأنا إبراهيم بن طرس بمكة، حدثني محمـد بن صالح الرازي، حدثنا زياد بن يحيى[1] عن

(١) زياد بن يحيى بـن حسان الحـساني النكري أبو الخطاب (ع) ثقـة مات سنة ٢٥٤ . اهـ. تقريب ١/ ٢٧٠ .

حاتم بن وردان[1] قال : كان عمر بن عبـد العزيز يوجه البريد قاصدًا إلى المدينة لـيـقـرأ عنه النبي ﷺ السـلام. هـكذا رواه في شـعب الإيمان، وهذه الرواية هي التي ذكرها المعـترض من المناسك لابن أبي عاصم بلا سند.

والجواب أن يقال: هذه رواية منقطعة غير ثابتة، وحاتم بن وردان شيخ من أهل البصرة لم يلق عمر بن عبد العزيز ولم يدركه، فروايته عنه مرسلة غير متصلة، وقد توفى عمر بن عبد العزيز في سنة إحدى ومائة، وكانت وفاة حاتم بن وردان في سنة أربع وثمانين ومائة وأكبر شيخ لحاتم أيوب السختياني، وكانت وفاة أيوب في سنة إحدى وثلاثين ومائة.

الوجه الثالث: أنه لو ثبت عن عمـر بن عبد العزيز أنه كـان يبرد البريد من الـشام قاصـدًا إلى المدينة لمجرد الزيارة والسـلام، كان في فعله ذلك من جـملة المجتـهدين، ومن المعلوم أنه رضي الله عنه أحـد الخلفاء الراشدين ومن كبـار الأئمة المجتهـدين، فإن قال قولاً باجتـهاده وفعل فعـلاً برأيه فإن قام دليله وظهرت حـجته تعين المصـير إليه والاعتـماد عليه، وإلا فهو ممن يحتج لقوله ويستدل لفعله، وقد قال الله تعالى :

(١) حاتم بن وردان بن مروان السعدي أبو صالح البـصري ثقة من الثامنة . مات سنة ١٨٤ تقريب ١/١٣٨.

﴿ فإن تنازعتم في شيء فـردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (١) ، انتهى.

وخلاصة القول فيما رد به ابن عبد الهادي رحمه الله هذا الأثر : أنه منقطع لا يصح أبدًا ، وإن صح فهو اجتهـاد من عمر - رحمه الله - لا يلزم اتباعه وقبوله حتى يعرف دليله الذي أخذه منه.

وأما الأثر الثاني - وهو إرسال السلام- فـهو ضعيف أيضًا وليس فيه حجة على محل النزاع . والله أعلم.

الكلمة الثانية عشر

وقال في ص ٢٢ - ٢٤ قال ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي ت ٩٧٣ في كتابه (الجوهر المنظم في زيارة القـبر المكرم) ص ١٢ بعدما استـدل على زيارة قـبر النبي ﷺ بعـدة أدلة منها الإجـماع : فـإن قلت: كيف الإجماع على مشروعيـة الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمـية من متأخـري الحنابلة منكر لذلك كله كمـا رآه ابن السبكي في خطه ؟ وقد أطال ابن تيمية الاستـدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعًا وأنه لا تقصر فيه الصلاة وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعه، وتبعه بعض من تأخر من

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟ وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقاطته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة [1].

عبد أضله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأراده وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان. هذا ما وقع من ابن تيمية، وكان عثرة لا تقال أبدًا، ومعصية يستمر شؤمها سرمدًا، وليس بعجيب فإنه سوَّلت له نفسه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما دري المسكين أنه أتى بأقبح المعايب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس، المنزه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى

---

(١) ابن جماعة هو قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكتاني الحموي الأصل ولد في ٤/٤/٦٣٩ وسمع الحديث واشتغل بالعلم وحصل علومًا باشر التدريس ثم ولي الحكم والخطابة بالقدس ثم بمصر ثم بالشام، ثم ترك القضاء بعد أن عمي وكبر، توفي في ٢١/٥/٧٣٣. تذكرة

الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين اهـ.

ج - هذا كلام ابن حجر الهيتمي في حق شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلكم الجهبذ الفذ والمجاهد العظيم، الذي ناضل وجاهد كل حياته لإظهار الحق وإحياء السنن التي أميتت وإزالة الغشاوات والظلم وركام الباطل الذي شوَّه وجه الإسلام المنير الوضاء ردحًا من الزمن، نتيجة لما ألصقه به المبتدعون على اختلاف آرائهم ونحلهم المتعددة والمتباينة، حتى أعاد للحق نوره ونصاعه.

فلا غرابة أن قالوا فيه وبالغوا في عداوته وذمِّه بالزور والبهاتن وقلب الحقائق. ولست مبالغًا حينما أصفه بهذا الوصف، فهذه كتبه وفتاواه موجودة ومتداولة يستطيع كل طالب علم يريد معرفة الحق أن يصل إليها ويقرأها، وأنا كفيل لمن قرأها بتدبر وتفهم وتجرد عن الهوى، قاصداً معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة أن يخرج بالنتيجة التالية:

أولاً: العلم أن كل ما أشاعه عنه أعداؤه - الذين هم في الحقيقة أعداء الحق- من الافتراءات الكاذبة والتهم الزائفة إن هي إلا وليدة حقد دفين وبغض كمين، منشؤه هوى نفسي أؤ حسد شيطاني أو انتصار لمذهب باطل أو رأي فاسد بين الشيخ رحمه الله بطلانه وفساده.

ثانيًا : أنه يسير في أقواله على ضوء الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين المعتبرين، متوخيًا للأخذ بما صح ، مقدمًا للنصوص الشرعية على غيرها ، ثم لأقوال الصحابة وفتاويهم، مؤثرًا لآراء الخلفاء الراشدين على غيرها، متحررًا عن التقيد بالمذاهب وتقليدها تقليدًا أعمى، مؤثرًا لاتباع الحق وإن خالف الناس جميعًا.

ثالثًا : الاطمئنان إلى رسوخ علمه وغزارة اطلاعه وفهمه وكمال نصحه وإخلاصه ، مما يجعلك تجزم بأنه على رأس المصلحين الذين حرروا العقول من الخرافة بجميع أنواعها، والتقليد الذميم بجميع أشكاله وألوانه، الذين عاشوا كل حياتهم، للحق بحثًا عنه وضراعة إلى الله في معرفته والوصول إليه، ثم جهادًا في بيانه للناس وتبصريهم به مهما كثرت العوائق وتكاثفت الغيوم، غير هياب لصولة الباطل وإن ضخمت ، ولا لبطش السلطان وإن تجبر . ولست أريد في هذه العجالة عرض ما آتاه الله من سجايا عالية، وما منحه من علم وبيان ، وما رزقه من قوة شخصية وصلابة على الحق وإخلاص لله وترسم تام للشريعة الإسلامية، فلذلك مقام غير هذا . . . وبالله التوفيق.

أما الآن فإلى الجواب على الجمل السابقة فأقول:

أولاً : أما الإجماع المدعى فقد سبق الكلام عليه بما أغنى عن

إعادته.

ثانياً: وأما قوله: وقد أطال ابن تيمية الاستدلال بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع. فأقول: قد نقلت من كلام شيخ الإسلام ما يبين كذب هؤلاء فيما قالوا، ومن أراد الاطلاع على كامل كلامه فعليه بمطالعة المجلد ٢٧ من الفتاوى.

ثالثاً: وأما قوله: وإن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة. وأقول: نعم. وليس شيخ الإسلام وحده الذي حكم عليها بالوضع، بل قد حكم عليها قبله رجال ورجال من علماء الجرح والتعديل. ولكن نعوذ بالله من الهوى.

رابعاً: وأما قوله: ومن هو ابن تيمية؟ إلخ ما قال.

فهنذا وأمثاله سيحاكمهم فيه شيخ الإسلام بين يدي الملك العلام وقد قدم كل منهم على ما قدم ورأى نتيجة ما كسب. ولو تفرغ أحد لعرض كلامه وكلام هؤلاء لبانت السقطات عندهم وفي كلامهم، ولسنا بحمد الله نعتقد فيه العصمة، كما لا نعتقدها لأحد سواه غير نبي الهدى ﷺ ولكنها الحقيقة التي يجب أن تقال وأن تقرر امتثالاً لأمر الله تعالى حيث يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾**[1] الآية.

خامساً: وأما قوله: وحججه الكاسدة. فأقول: إذا كان من احتج

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٥.

بالسنة وأقوال الصحابة واتبع ما جاء عن الله ورسوله وسلف الأمة حجته كاسدة، فلا أدري بعد هذا أي حجة توصف بأنها غير كاسدة؟ ولا أدري ما قيمة الإسلام عند من يرى أن الاحتجاج بمصادر الإسلام والاعتماد عليها والتحاكم إليها ضلال وغواية وخزي وهوان؟ أليس كان الواجب على هؤلاء أن ينظروا في حججه قبل أن يصفوه بهذه الأوصاف التي لا يوصف بها إلا أهل الشقاء. وليس من شك في أن ابن جماعة وابن السبكي قد سمعا كلامه وناظراه كما حكى ذلك التاريخ، ولكن الهوى هو الذي يعمي القلوب. نسأل الله السلامة.

سادساً: وأما قوله: وتدارك على أئمتهم سيِّما الخلفاء الراشدين منهم باعتراضات سخيفة شهيرة، وأقول: أما القائل فقد مضى بأجله ورأى في البرزخ مغبة عمله، ولست بحاجة إلى مناقشته، ولكن أريد أن أناقش الأحياء الذين ربما اغتروا بهذا الكلام وأعرضوا عن النظر في كتب شيخ الإسلام، ركوناً إلى كلام هؤلاء الذين يعتبرون في نظرهم أئمة وأعلاماً أقول لهم: إنكم لم تنصفوا حين تأخذون هذا الحكم على علاته. وأنتم تعلمون أن الحكم في مسألة دنيوية لا تزيد قيمتها على ثلاثة دراهم بعد سماع حجة خصم واحد ضلالة حتى يسمع الحاكم حجة الخصم الآخر ويحكم على ضوء ذلك؛ وإن قلت: ليس هنا خصومة ولكن دين وأمانة فأقول: إن

الخصومة في الدين أعظم أثرًا وأكثر نتائج وعواقب من أمر الدنيا، فما لم يجز في الخصومة الدنيوية فهو من باب أولى غير جائز في الخصومة الدينية، وإني أنصحكم أيها الأخوة أن تنظروا في كلام شيخ الإسلام وتقرأوا كتبه ثم تحكموا بعد ذلك ، حتى تحكموا على علم ويقين ، وحينئذٍ ستعرفون عن كثب كذب الكاذبين وجور الجائرين وبهتان المفترين.

إن شيخ الإسلام من أعظم الناس إجلالاً للخلفاء الأربعة وأوسعهم لهم اتباعًا ، ولكن إذا جاءت سنة عن رسول الله ﷺ فإنه يقدم سنة رسول الله ﷺ ولا عيب عليه في ذلك، كما في مسألة الطلاق وغيرها، ولم يكن في فعله هذا منتقصاً للخلفاء أو مستدركًا عليهم.. معاذ الله ! والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾[1].

والنبي ﷺ يقول : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين** » فقدم سنته على سنة الخلفاء، وهذا بين لا يخفى إلا على جاهل.

سابعًا : وأما قوله : حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس والمنزه عن كل عيب والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوي الجهة

(١) سورة الحجرات الآية ١.

والتجسيم.

وأقول: سبحانك ربي! أنت المتعالي والمنزه عن أن ينالك أحد بسوء. كيف لا وأنت المهيمن القهار المسيطر على عبادك جميعًا، وكلهم في قبضتك وتحت تصرفك وقهرك، فهل يستطيع أحد من الخلق- كائنًا من كان - أن يخرق سياج عظمته؟ . والخلق جميعًا ضعاف مهازيل أمام قدرته وقوته وجبروته جل شأنه وعز سلطانه؟

﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ [1] فمن تنقص بالجناب الأقدس فقد أهلك نفسه وأوبقها وورطها فيما لا طاقة لها به ، وهو مع ذلك عاجز عن أن ينال ربه بسوء.

« ياعبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولم تبلغوا نفعي فتنفعوني» . وأخيرًا : فهل من انتقاص الله جل شأنه أن نثبت له ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال؟ وهل يكون ذلك خرقًا لعظمته جل ثناؤه وعز وجهه؟ إنه لا يقو لذلك إلا جهمي مفتون يعبد عدمًا !

إن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأسماء والصفات هو كلام سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين الذين أجمع على

---

(١) سورة فاطر الآيات ١٥، ١٦ ، ١٧.

إمامتهم وصحة عقيدتهم، وهو إثبات صفات الله تعالى التي وردت في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ إثباتًا يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، وهذه كتبه موجودة بين أيدي المسلمين متداولة، وفيها أعظم شاهد على اتباعه للكتاب والسنة وسلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعتبرين؛ ولم يكن متبعًا لأصحاب الكلام من الجهمية المعطلة أو القدرية المشبهة والمجسمة ، ولم يأخذ بآراء قوم حكموا عقولهم المريضة وآراءهم السخيفة فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأخذوا منها ما شاؤوا وردوا منها ما شاؤوا، وتأولوا أو حرفوا منها ما شاؤوا، فقالوا في إلههم ومعبودهم لا فوق ولا تحت ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا يسار ولا داخل العالم ولا خارجه، فردوا قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ في سبعة مواضع من القرآن [٢] أترون

---

(٢) الآية في سورة الأعراف : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوت والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ٥٤.

الثانية : قوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾ سورة يونس الآية ٣.

الآية الثالثة : قوله تعالى في سورة الرعد ٢ : ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ .

الآية الرابعة : قوله تعالى في سورة الفرقان آية ٥٩ : ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾.

=

من الأولى بالذم؟ من وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من صفات عليا في كتابه وعلى لسان رسوله أم من عطله عنها؟ ومن قدم كتاب الله وسنة رسوله على آراء الرجال أم من قدم آراء الرجال على كتاب الله وسنة رسوله، وزعم أن الكتاب والسنة لا تفيد يقينًا؛ وأن العقل يجب أن يحكم في النصوص الشرعية فما قبله منها قبل وما رده منها رد؟

سأترك الحكم للقاريء المنصف الخالي عن التعسف والتعصب، ولنتذكر دائمًا قوله الله تعالى: ﴿ **قل أأنتم أعلم أم الله؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** ﴾[1] .

= الآية الخامسة: قوله تعالى في سورة السجدة ٤: ﴿ **الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾.

الآية السادسة: قوله تعالى في سورة طه ٥: ﴿ **الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** ﴾.

الآية السابعة: قوله تعالى في سورة الحديد ٤: ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها** ﴾.

(١) سورة البقرة الآية ١٤٠ .

الكلمة الثالثة عشرة

وقال في ص ٤٠ ، ٤١ : قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في (تكملة السيف الصقيل): والأحاديث في زيارته ﷺ في غاية الكثرة، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزء كما سبق، وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذ ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك . قال علي القاري في (الشفاء) : وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال : كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب، لأن تحريمهم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرًا لأنه فوق تحريم المتفق عليه . فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه ﷺ أنه عبده ورسوله، وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرة في كل يوم وليلة ؟ ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة في شيء ولم يعدهم مشركين بسبب الزيارة والتوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان؟ وأول من رماهم بالإشراك

بتلك الوسيلة هو ابن تيمية ، وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة في النفس . . . انتهى.

ج - والرد على الكوثري في هذا المقطع من وجوه:

الأول: قوله الكوثري : والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة.

قلت : وهي في الغاية من الضعف ، بل معظمها حكم عليه المحدثون بالوضع. والعجب أن الكوثري يزعم بأنه محدث وهو مع ذلك يقر الأحاديث الموضوعة، اللهم إلا إذا كان بعض المحدثين يحكمون على الحديث بحسب أمزجتهم ، فيأخذون ما شاؤوا ويتركون ما شاؤوا ويصححون ما شاؤوا ويضعفون ما شاؤوا ، وليس بالقواعد الحديثية وأقوال علماء الجرح والتعديل، ويسمون أنفسهم علماء حديث فلعله، أما المحدث المنصف فلا يمكن أن يحكم على أحاديث الزيارة بالقبول.

ثانيًا : قوله : وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذ ابن تيمية.

وأقول : أما الزيارة السنية التي أجمع على مشروعيتها فلم ينكرها ابن تيمية، بل حكى الإجماع عليها في غير موضع من كتبه، وقد نقلت شيئًا من كلامه فيما مضى. وأما الزيارة البدعية فلم يقل بها أحد

من السلف فالكلام غير مسلم الطرفين.

ثالثًا : وأما قـول علي القاري[١] وقد فـرط ابن تيميـة من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ .

وأقـول : إن شيخ الإسـلام لم يحرم السـفر للزيارة السنيـة. أما الزيارة البدعية فهو محق في تحـريم السفر لها، ممتثل للحديث النبوي الشـريف : « **لا تشـد الرحـال إلا إلى ثلاث مسـاجـد** » وكيف يكون مفرطًا أو كافرًا من امتثل ما أمره به نبيه ﷺ ؟

رابعًـا : كمـا أفرط غيـره حيث قـال كون الزيارة قربـة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر.

وأقول : لا شك أن هذا إفراط من وجوه:

الأول: قوله : إن الزيارة قربة هذا كذب ، فإن الحكم على الشيء بأنه قربة لا يكون إلا من طريق الشرع وبدليل شرعي، ومن حكم على شيء بأنه قربة بدون دليل شرعي فقد نصب نفسه مشرعاً مع الله.

فإن قيل: الدليل الأحاديث الواردة في الزيارة، قلنا: قد عرفت أن أحاديث الزيـارة لم يثبت منها شـيء فأين الدليل الصـحيح الذي

---

(١) علي بن سلطان القاري الهروي الحنفـي ، ولد بهراة ورحل إلى مكة وأخذ على ابن حـجر الهيـتـمي المكي وغيـره ، توفي بمكة سنة ١٠١٤ . البـدر الطالع للشوكـاني ١/ ٤٤٥ معجم المؤلفين لعمر كحالة ٧/ ١٠٠.

يعتمد عليه ويحكم بأنها قربة؟ مع العلم أن الأحاديث الثابتة تدل على خلاف ذلك، فالنبي ﷺ يقول : « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» فيفهم من هذا الحديث أن التردد على القبر من قرب والسفر إليه من بعد من أجل الصلاة عنده من اتخاذه عيداً .

أما الصلاة عليه التي هي مطلوبة ، فلا يلزم منها ومن قبولها والتقرب بها إلى الله أن تكون عند القبر، وهذا هو الذي فهمه من الحديث حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب حيث قال لمن رآه عند القبر وأخبره أنه جاء للسلام على النبي ﷺ بعد ذكر الحديث : ما أنت ورجل بالأندلس إلا سواء. ومثل هذا أيضًا الحديث :«**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»فإن فيه تلميحًا بينًا بالنهي عن التردد على القبر لما يخشى من الإفراط في تعظيمه أن يصل بالناس إلى عبادته . فتبين أنه لا دليل على كون زيارة القبر قربة.

وقد تقدم ما نقلته عن ابن عبد الهادي في رد هذه الدعوى من اثني عشر وجهًا فارجع إليه.

الوجه الثاني: قوله : معلوم من الدين بالضرورة:

أقول :هذا من أكبر الكذب ، فإذا كانت الدعوى بأنها قربة لم تثبت فكيف تكون معلومة من الدين بالضرورة؟ فإن قيل : تعظيم النبي ﷺ معلوم من الدين بالضرورة ومن تعظيمه زيارته.

فالجواب : أما تعظيم النبي ﷺ فلا شك أنه من ضرورات الإسلام ، وهذا من المسلَّمات التي لا نزاع فيها بين كل من ينتمي إلى الإسلام، ولكن الجهل بحقيقة التعظيم ، وما هو الذي يدخل فيه وما هو الذي يخرج عنه هو الذي يؤدي بكثير من الناس أو بالأحرى ببعض من ينتمون إلى العلم أن يدخلوا في التعظيم ما ليس منه ،فارجع إلى ما نقلته عن ابن عبد الهادي فإنه يروي الغليل ويشفي العليل جزاه الله خيراً.

الوجه الثالث: قوله : وجاحده محكوم عليه بالكفر. وأقول : هذه نتيجة غير مسلمة ، لأن الأصل الذي بنيت عليه غير مسلم ، فليست زيارة القبر قربة ذاتها، ولكنها تابعة لزيارة المسجد، وزيارة المسجد مجمع عليها ، وشيخ الإسلام لم ينزاع فيها ولا في مشروعية الزيارة لمن زار المسجد، ومن زعم أنه أنكر ذلك فقد كذب عليه ، بل يقول : إن زيارة قبره ليست كزيارة قبر غيره، فإن الزائر لقبره يصل إلى مسجده فهو وإن سماها زيارة للقبر لكنها في الحقيقة زيارة للمسجد، لأن الزائر لا يستطيع الوصول إلى القبر ولا يتمكن من ذلك ، وقد نقلت عنه فيما تقدم ما يبين كذب أعدائه في تجنيهم عليه.

وبهذا يعلم أن النتيجة باطلة لأن الأصل الذي بنيت عليه باطل. ونحن لا نرمي معينًا بالكفر إلا أن يعتقد اعتقادًا يوجب الكفر. فنحن نحكم عليه بعقيدته مادام مقيمًا عليها، فنقول : من اعتقد كذا فهو

كافر.

وهؤلاء الذين رموا شيخ الإسلام بالكفر قد شيدت في أزمنتهم القباب على القبور، وسيق إليها القرابين والنذور، ودعا العامة المقبورين من دون الله عز وجل وطلبوا منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والمعروف عن كثير من هؤلاء العلماء أنهم أباحوا للعامة هذه الأفعال ، ولم ينكروا عليهم إشراك المخلوقين في عبادة الكبير المتعال، بل نصبوا أنفسهم مدافعين عمن يتعاطى هذه الأمور وقرروا بأن هذا وأمثاله لا يدخل في الشرك المحظور ، لأن الشرك على حد زعمهم أو زعم بعضهم إنما هو السجود للصنم.

وقد قال النبي ﷺ : « **إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب**». أليس الشرك بالله مما علم من الدين بالضرورة منعه وتحريمه وتكفير فاعله والحكم بتخليده في النار وتحريم الجنة عليه وأنه لا يغفر له ذنب ولا تقبل منه حسنة؟

فالدليل على كفره قوله تعالى: ﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**﴾ [١] .

والدليل على تخليده في النار وتحريم الجنة عليه قوله تعالى على لسان عيسى ابن مريم : ﴿ **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من**

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧ .

يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[(١)] .

والدليل على أنه لا يغفر له ذنب قول الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء﴾** [(٢)] والدليل على أنه لا تقبل منه حسنة قوله تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾**[(٣)] .

فمن أباح هذا الشرك ودافع عن فاعليه وزعم أنه ليس بشرك فهو كافر يباح دمه وماله وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم. ولو أن هؤلاء رجعوا إلى الكتاب والسنة متجردين عن الهوى لاتضح لهم الحق وأراحوا واستراحوا، ولكن نعوذ بالله من الخذلان.

خامسًا :

وأما قوله : ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرًا لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه.

وأقول : هذا ارتكاس منه بعد أن قرر الحق ونقول : أين إجماع العلماء؟ وأين دليل الإجماع الدال على الاستحباب؟ كأن التكفير

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٨ ، والآية ١١٦.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

أصبح عند هؤلاء أمرًا سهلاً.

سادسًا: وأما قول الكوثري: فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ.

فأقول: سبحانك ربي ما أجرأ هؤلاء على الكذب، وما هذه إلا فرية على شيخ الإسلام رحمه الله يريد الله أن يضاعف له بها الحسنات ويرفع له بها الدرجات، تبع فيها الكوثري ابن السبكي والهيتمي ومن نزع إلى هذا المنزع، والأصل أن ابن السبكي أسس ذلك مندفعًا بالحسد لشيخ الإسلام، وهو الذي تولى كبره، فكانوا كما قال القائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه　　فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　حسدًا وبغيًا إنه لذميم

وأقول: كيف يدل على ضغينة فيه نحو الرسول وهو ممتثل لأمر الرسول ومعظم لتوجيهاته؟ سبحانك هذا بهاتن عظيم!

سابعاً: وأما قوله: وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على الأقل؟... إلى أن قال: ولم يعده في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان؟.

وأقول: هذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهل قائله أو تجاهله للحقائق ومغالطته، أليس قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان**»(١) ؟

أليس هذا الحديث الذي صح سنده وأيده الواقع دليل صارخ على أن كثيرًا من الناس سيعودون إلى عبادة الأوثان؟

فإن قيل: فما معنى قوله ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم**»(٢) .

فأقول: هذا إخبار عما حصل للشيطان عند ظهور الإسلام من اليأس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، وأنه رضي وقنع بالتحريش بينهم، ورأى أن فيه إدراكًا لبعض حاجته.

وأما حديث «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة**» فهو إخبار عما هو مخفي من وراء ستار الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وقد ظهر فصار أمرًا مشاهدًا ومعلومًا،

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن تحت رقم ٧١١٦ فتح، ومسلم في الفتن أيضًا جـ٢ ص٥٦٠ ط حلبي.

(٢) أخرجه مسلم باب تحريش الشيطان ١٧/١٥٦ والترمذي في كتاب البر باب ما جاء في التباغض. وابن ماجه في كتاب المناسك باب ٧٦ الخطبة يوم النحر، وأحمد ٢/٣٦٨، ٣/٣١٣ وغيرها.

والمهم أنه لا تنافي بين الحديثين، فإنه بعد أن يئس من عودة المسليمن إلى الشرك وبقي مدة طويلة لا يطمع في ذلك ، ثم تبين له بعد ذلك أنه يستطيع أن يضل بعضهم ، ففعل وواصل سيره في الإضلال حتى انتشر الشرك في كل بلاد الإسلام مصداقًا لحديث النبي ﷺ .

وقد اتضح من هذا أن قوله : وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة... إلخ. إنه هراء باطل، بل الشرك قد فشا في كل بلاد الإسلام، وفي بلد القائل مصر عدة معابد وأضرحة من أعظمها ضريح البدوي الذي تجبى إليه النذور ويحج إليه ، كما يحج إلى بيت الله الحرام، حتى إن الباجوري قال في حاشيته على القاسمي: فإن لم يتمكن من استلام الحجر لشدة الزحام أشار إليه بمحجن كما يفعل عند قبر سيدي أحمد البدوي. فإذا كان هذا حال علمائهم فكيف بالعامة؟ وهل يمكن بعد هذا إنكار وقوع الشرك من أمة محمد؟ وهل إنكار ذلك إلا مكابرة وجحد لواقع مشاهد كالشمس في رابعة النهار؟ وحتى حول القبر النبوي يحصل من كثير من الناس دعاء واستغاثة بالنبي ﷺ وطلب للحوائج منه واستدفاع للمكروه منه ، وذلك هو الشرك بعينه ، ومن جلس حول القبر سيرى من مثل هذا الشيء الكثير.

أما التلفظ بالشهادة مع عدم العلم بمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك لا ينفع أحدًا أبدًا . قال الله تعالى : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم**

يعلمون﴾[١] .

ثامنًا : وأما قوله : وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة في النفس.

ج - وأقول : إن شيخ الإسلام دعا الناس إلى إحياء ما أماته علماء السوء من معالم الدين وأحكامه ، فلذلك كان مجددًا ومجاهدًا بحق، وكان ذنبه أنه صدع بالحق ولم يجامل ولم يداهن كما جامل وداهن غيره من طلاب المناصب والمنتفعين الذين يحرصون على استبقاء المنزلة عند الأمراء وعند العوام؛ ولم يضعف ولم يهن كما ضعف أقوام ممن عرفوا الحق ولكن لم تكن عندهم الشجاعة الكافية، أو كانت عندهم شجاعة ولم يكن عندهم العلم الكافي لمقارعة الحجة بالحجة، فاستكانوا بسبب ذلك للباطل لا موافقة لأهله ولكن لعدم القدرة على المقارعة .

أما شيخ الإسلام فكانت لديه الشجاعة النادرة والشخصية الفذة والعلم الواسع والحجة القوية والإيمان العميق والإخلاص لله والحب للجهاد في سبيل الله والتضحية من أجله، فذلك هو الذي حفزه ودفع به أن يخوض غمار المعركة ثورة على الباطل بجميع أشكاله وألوانه، حاملاً لواء السنة المطهرة ، فأقام حرباً شعواء على البدع

---

(١) سورة الزخرف الآية ٨٦ .

والضلالات ، وهدم بمعاول الحق حصون الباطل وأوكار الضلال التي قد عشش فيها الشيطان وباض وفرخ ، فلم يعجب ذلك أصحاب البدع لأنه هدم أوكارهم ودمغ بالحق عقائدهم الفاسدة وأفكارهم، فكان بديهيًا أن يحاربوه ويرموه عن قوس بالعدواة وينابذوه . فذلك هو ذنبه وهذه هي جريمته.

وأما قوله : وجرى خلفه من أراد استبحاة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس.

وأقول : هذا تعريض بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي نصرت هذه الدعوة إبان ظهورها.

ولا شك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تأثر بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وكلهم متبعون للكتاب والسنة في تكفير من دعا غير الله عز وجل وسأله ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحوائج وتفريج الكروب والاطلاع على مكنون الغيوب من الأولياء والمقبورين والسحرة والمنجمين وأصحاب الشعوذة والدجل والتضليل؛ وهم في ذلك متبعون للكتاب والسنة، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر قال الله تعالى : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**﴾ [1] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧ .

فسمي المدعو إلهاً لأن الداعي قد تأله له أي : تعبد له وخضع له ، وسمى الداعي كافرًا لأنه كفر بوحدانية الله ودعا معه غيره.

فمن اعتقد في مخلوق غير الله أنه يعطي الرزق أو يشفي المرض أو يهب الولد أو ينصر على العدو أو يعلم الغيب ودعاه من أجل ذلك كان يقول : يا سيد بدوي أو يا عبد القادر جيلاني أو يا دسوقي أو يا ابن علوان اشف مريضي أو أردد ضالتي أو هب لي أولادًا أو أعطني مالاً ، فإنه مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قال الله تعالى : ﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفًا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا يضرك ولا ينفعك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاءإناثًا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل**

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٧ .

(٢) سورة يونس الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾[٢] .

وكذلك استعمال السحر والتنجيم كفر بصريح القرآن كما في سورة البقرة: ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾[٣] .

وهذه الأمراض قد فشت من مجتمعات المسلمين في العصور المتأخرة وبالأخص من بعد المائة الثامنة، فقد شُيدت القباب والمشاهد على القبور ، وقصدت من دون الله في كل النوازل من عظائم الأمور، بل قد بلغ الحال ببعضهم أنه يعظم الولي الحي أو المقبور أكثر من تعظيم بديع السماوات والأرض وما فيها من محسوس ومسموع ومنظور ، ويتجرأ على الفاطر ويجل العبد المفطور، فلو وجبت عليه اليمين حلف بالله كاذبًا واجتهد في اليمين فإذا قيل له أحلف بالولي تلكأ واعترف خوفًا من بطش ذلك الولي، لأن إيمانه به بلغ إلى حد

(١) سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سورة يس الآيتان ٧٤ ، ٧٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

اليقين.

أفيكون فاعل هذا مسلمًا أو معدودًا من المسلمين؟

والمهم أن هؤلاء المشايخ إن كفروا مثل هؤلاء وأبحوا دماءهم وأموالهم بعد قيام الحجة عليهم وبيان الحق لهم ودعوتهم إلى اتباعه والرجوع إليه وترك ما هم عليه من الشرك كما فعل ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله ، وكذلك ذريتهما من بعدهما ، حيث قام الأول وذريته بمهمة الدعوة إلى الله ونشر العلم ، وقام الثاني وذريته بجهاد المعاندين وردهم إلى الحق ونشر التوحيد بسيفه، إذ قاتل المشركين حتى أذلهم للحق ووطد للدين حتى عبد الله وحده وقضى على كل المشاهد والقباب التي كانت تضاهي اللات والعزى في جزيرة العرب، فهم إن كفروا هؤلاء إنما كفروا من كفر الله، وإن قاتلوا هؤلاء إنما قاتلوا من أمر الله بقتالهم حيث يقول : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [1] أي : حتى لا يكون شرك ، ومن كره ذلك فإنما كره الحق.

ومن زعم أن من دعا غير الله واعتقد فيه أنه ينزل المطر ويشفي المرضى ويهب الأولاد ويعلم الغيب وينصر على العدو فقدم له النذور وذبح على اسمه ودعاه لكشف الكربة، وإغاثة الملهوف ، معتقدًا فيه أنه يسمع الدعاء ويقدر على إجابة من دعاه وإنقاذه وإعطائه ما يطلب

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٩.

مما لا يقدر عليه إلا الله من زعم أن من يعتقد هذا الاعتقاد ويعمل هذه الأعمال ليس بكافر فهو كافر لأنه كذب القرآن.

ومن زعم أن من يطوف على القبر ويستشفي بترابه ويدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وينذر له ويذبح على اسمه ويلجأ إليه في النوائب ليس بمشرك ، فليبين لنا الشرك ما هو الذي ذم الله فاعله في مئات الآيات من القرآن وتوعده بالعذاب الأليم والخلود في النار وأخبر أنه لا يغفر له ذنب ولا تقبل منه حسنة؟ بينوه لنا ما هو ؟ مع العلم أن هؤلاء المشايخ جميعًا لم يكفروا شخصًا بعينه ، بل إن شيخ الإسلام رحمه الله لم يكفر الذين كفروه إذا لم يكونوا على عقيدة توجب الكفر، وكذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يكفرون إلا من اعتقد أو فعل ما يوجب الكفر، ولا يلعنون معينًا لأنهم لا يعلمون بم يختم له. اللهم إلا من علم يقينًا أنهم ماتوا على الكفر كصناديد قريش ، ومع هذا فلم يتعبدنا الله بلعنهم ، وكذلك لا يقطعون لأحد بجنة ولا نار إلا من دل القرآن أو السنة أنهم من أهل الجنة أو النار، وهذا هو الحق الذي يجب أن ندين الله به . والله أعلم.

قال صاحب الرسالة الصلاة على النبي الطاهر

أخرج البخاري بإسناده مرفوعًا : « **من صلى علي عند قبري وكل الله به ملكًا يبلغه وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة** » الرسالة ص ٥٨ .

وأقول : نسبة هذا الحديث إلى البخاري من الكذب البين والتضليل القبيح، وإن كان صادقًا فليكتب لنا رقم الحديث والباب الذي هو فيه، أما إن كان نسبه إلى البخاري في التاريخ فكان يجب عليه أن يبين ذلك، لأن إطلاق النسبة إلى البخاري لا يتبادر منها غير الصحيح، وعلى هذا درج المحدثون ، فإن نسبوا إليه في غيره بينوا ، وأحيانًا يقولون : أخرجه البخاري في الصحيح.

ولكن المبتدعة درجوا على التمويه والتضليل كما درج عليه أسلافهم من قبل ، وفي كل زمن يهيء الله من يكشف تمويههم فيفضحهم أمام كل ذي عينين ، والحمد لله رب العالمين[1] .

(١) ثم إن الحديث مردود يتبين رده من متنه لأنه يتعارض مع الأحاديث الصحيحة . فلا يصح أن ينهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً ويحث على إتيانه ويدعو الله أن لا يجعل قبره وثنًا ويرغب في زيارته ! فقد قال : « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم** » . وقال : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » ومن هذه الأحاديث نقطع ببطلان هذا الحديث وأنه مكذوب لم يقله النبي المعصوم من المتناقضات ﷺ .

وقال في ص ٥٩ : التوسل والاستشفاع بقبره ﷺ .

وأقول : لقد تجاوز هذا المشرك التوسل بذاته ﷺ إلى التوسل بقبره، مع أن من توسّل بذاته أو ذوات غيره فهو مبتدع ، ولم يكن له في الشريعة أصل كما ستعرف ذلك.

ولم يزل الشيطان دائبًا في إضلال أوليائه حتى عبدوا تراب القبر بدافع التعظيم المبالغ فيه والغلو الممقوت الذي نهى الله عنه بقوله: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم إنما الله إله واحد﴾**[1].

ونهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : «**لا تطروني كما أطرت النصرى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله**»[2] .

وبعد أن فرغ منهم الشيطان في عبادة النبي ﷺ بما بالغوا فيه من تعظيمه، انتقل بهم إلى عبادة الأولياء والصالحين ومشايخ الطرق

---

(١) سورة النساء الآية ١٧١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : **﴿ واذكر في الكتاب مريم﴾** ٤٨ رقم الحديث ٣٤٤٥ والدارمي في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «**لا تطروني**» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخرجه أحمد ١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٠ .

والمخدومين، ثم انتقل بهم إلى عبادة الأشجار والأحجار، والمقامات المختلقة والقبور المزورة والمشاهد المكذوبة وغير المكذوبة.

ولقد حدثني ثقة من علماء الهند[1] بقصة محصلها أن رجلاً من المسيحيين كانت له مزرعة في الهند زمن الاحتلال البريطاني له، وكان يعمل معه فيها شاب مسلم، فمات كلب البريطاني فتأسف عليه وأمر الشاب أن يحفر له قبراً في المزرعة، فدفنه فيه ثم بنى عليه قبّة. وبعد أن انتهى الاحتلال ارتحل البريطاني وانتقلت المزرعة إلى أيدي بعض المسلمين هناك، فلما رأوا القبة ظنوا أنها على وليّ فعبدوها، وكانوا يقيمون لها زيارة، وكان الشاب الذي حفر القبر وحضر القصة قد غاب عن ذلك البلد، ثم عاد إليه بعد زمن طويل، فرآهم يقيمون زيارة لتلك القبة، فجاء وأخبرهم خبرها فكذبوه وضربوه، فمكث حتى الليل وذهب فحفر تحت القبة حتى وجد عظام الكلب ورأسه فوضعها لهم على القبّة، ومن هنا نعلم مدى ما وصل إليه بعض المسلمين من الخذلان والعياذ بالله.

وقال صاحب الرسالة: ٩ ـ التوسل والاستشفاع بقبره ﷺ:

وقال في ص (٥٩) ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه الرسول ﷺ فيتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) الذي حدثني بهذه القصة هو سعد الدين مليباري الذي اشتغل في المعهد العلمي بصامطه مدرسا ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية فاشتغل فيها زمنًا طويلاً مدرسًا ومترجمًا، وكان رجلاً خيرًا فاضلاً من أهل العلم والدين والورع. توفي رحمه الله في عام ١٤٠٢هـ.

ج - والجواب على هذا أن نقول : لقد اتفق الصحابة والتابعون وأتباعهم والأئمة الأربعة أنه لا يجوز للزائر إذا انتهى من السلام وأراد الدعاء أن يستقبل القبر، بل يستقبل القبر عند السلام فقط، وأبو حنيفة يقول : يستقبل القبلة عند السلام وعند الدعاء.

أما ما يروى عن مالك أنه قال للمنصور: كيف تولي عنه وجهك وهو وسيلتك ووسيلة آبائك ؟ فهذه حكاية مكذوبة لا تصح عن مالك أبدًا (١) .

أما التوسل فسيأتي البحث فيه إن شاء الله والله أعلم .

وقال في ص (٦٠) قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وينبغي للزائر له أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ .

فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه. قال : وإنّ الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به إغاثته أن يحصل له الغوث ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه أو التجوه، لأنهما من الجاه والوجاهة ، ومعناهما : علو القدر والمنزلة. وقد يتوسل بصاحب القدر إلى من هو أعلى منه.

---

(١) راجع لمعرفة بطلانها الصارم المنكي ص٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠.

ونقل عن شرح المواهب أيضًا أن الزرقاني [١] قال نقلاً عن منسك خليل زاده: وليتوسل به ﷺ وليسـأل الله تعالى بجاهه في التوسل به، إذ هو محـط جبال الأوزار وأثقـال الذنوب، لأن بركة شـفاعـته وعظمهـا عند ربه لا يتعاظمهـا ذنب ، ومن اعتقد خـلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته.

ألم يسمع قول الله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله**﴾[٢] الآية. قال: ولعل مراده التعريض بابن تيمية. قال الأميـني : هناك جماعـة من الحفـاظ وأعلام السنة بسطوا الـقول في التوسل وقالوا: إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال قبل خلقه وبعده، في مـدة حيـاته في الدنيا وبعد مـوته في مدة البـرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة. وجعلوه على ثلاثة أنواع:

١ - طلب الحاجة من الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته . فقالوا: إن التوسل بهذا المعنى جائز في الأحوال المذكورة.

٢ - التوسل بمعنى طلب الدعاء مـنه. وحكموا بأن ذلك جائز في الأحوال كلها.

٣ - الطلب من النبي ﷺ ذلك الأمر المقصود . بمعنى أنه قادر

---

(١) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي محدث فقيه أصولي ولد وتوفي بالقاهرة في عام ١١٥٥ هـ له كتاب إشراق مصابيح السيرة المحمدية بمزج السرار المواهب اللدنيه معجم المؤلفين جـ ١٠/ ١٢٤.

(٢) سورة النساء الآية: ٦٤.

على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته إليه ، فيعود إلى النوع الثاني في المعنى غير أن العبارة مختلفة، وعدوا منه قول القائل (أسألك مرافقتك في الجنة) انتهى .

ج - وأقول: مساكين هؤلاء وأي مساكين! لقد ضلوا عن طريق الهدى ويحسبون أنهم على حق والرّد عليهم من وجوه:

الأول : أن الله لم يتعبدنا بقول أحد غير رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[١] وقال: **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾**[٢].

وقال: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السّبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** [٣] وقال فيمن أطاع المخلوق في معصية الخالق: **﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرادنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيراً﴾**[٤].

وقال : **﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع**

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

(٤) سورة الأحزاب الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .

الرسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ [(١)] .

وهذه الآيات والتي قبلها وإن كانت نزل في الكفار ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما تقرر في الأصول.

ولهذا فإن كل من أعرض عن قول الرسول ﷺ لقول غيره فلا بد أن يكون له نصيب منها. وقال تعالى : ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله**﴾ [(٢)] وفي حديث عدي بن حاتم [(٣)] ﷺ توضيح لمعنى اتخاذهم أربابًا من دون الله وذلك أن النبي ﷺ فسره بطاعتهم في إحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله .

ثانيًا : في قوله : وينبغي للزائر له أن يكثر من الدعاء والتضّرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ .

---

(١) سورة الفرقان الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩.

(٢) سورة التوبة الآية ٣١ .

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشْرج الأمير الشريفي أبو وهب الطائي صاحب النبي ﷺ ولد حاتم المضروب به المثل في الجود . وفد على النبي ﷺ فأسلم وثبت يوم الردة . وفد على عمر ﷺ فقال : أما تعرفني ؟ فقال : بلى آمنت إذ كفروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا . توفي سنة ست أو سبع أو ثمان وستين عن مائة وعشرين سنة وهو من الذين عاشوا ٦٠ سنة في الجاهلية ، و٦٠ سنة في الإسلام . ترجمه في سير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٢ الإصابة ٢/ ٤٦٠ رقم الترجمة ٥٤٧٧ الاستيعاب ٣، ١٤٠ .

وأقول : إن الدعاء والتضرع والاستغاثة مما اختص الله به دون سواه، فمن صرفها لغيره فقد أشرك شركًا أكبر يخرج صاحبه من الملة . قال الله تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة**﴾ [3] .

وفي الحديث : « **الدعاء مخ العبادة**»[4] وفي لفظ « **الدعاء هو**

---

(١) سورة المؤمن الآية ٦٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(٣) سورة الأعراف الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة البقرة ٤٠٤٩ وفي تفسير سورة المؤمن، ورجال سنده ثقات مخرج لهم في الصحيحين إلا يسيع بن معدان الحضرمي فإنه ثقة أخرج له البخاري تعليقاً ولم يخرج له مسلم وأخرج له الأربعة وما يخشى من عنعنة الأعمش من كونه مدلساً، فقد قرن مع منصور في سند الترمذي في تفسير المؤمن فأمن تدليسه . وأورده في الدعوات أيضاً من طريق النعمان بن بشير، وهو الطريق الذي أورده في التفسر، وأورده من حديث أنس ولفظه : «**الدعاء مخ العبادة**» إلا أن في سنده ابن لهيعة وقد اختلط بعد احتراق كتبه . وحديث النعمان بن بشير أصح سنداً ولفظه : «**الدعاء هو العبادة**» ولا تنافي بين الحديثين من حيث المعنى، فمعنى حديث «**الدعاء هو العبادة**»: أي هو غايتها ومحضها، وأما حديث «**الدعاء مخ العبادة**» فقال في تحفة الأحوذي : المخ بالضم نقي العظم والدماغ وشحمة العين وخالص كل =

العبادة» .

أما الاستغاثة : فهي دعاء المكروب الملهوف المضطر لمن يظن أنه يقدر على إغاثته وكشف كربته وإزالة ما يحيط به، لذا فقد أنكر الله على من زعم لنفسه إلهًا يزيل الخطر ويكشف الضر فقال : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مَع الله ﴾[1] فالاستفهام إنكاري في أول الآية وآخرها و(مَنْ) اسم استفهام ، وهو من صيغ العموم (أإله) نكرة في سياق الاستفهام فهي تعم، وعلى هذا فإن النبي ﷺ يدخل في هذا العموم ولا يبقى أحد إلا دخل تحته، فهل يستطيع هؤلاء أن يردوا هذه الآيات أو أن يأتوا بتخصيص لهذه العمومات؟ أم هل يستطيعون أن يأتوا بدليل من الكتاب أو السنة على جواز صرف الدعاء والتضرع والاستغاثة إلى النبي ﷺ أو غيره؟ فإن كان معهم دليل على جواز صرف هذه الأمور إلى غير الله فليوجدونا إن كانوا صادقين.

فقد وردت في الكتاب والسنة أدلة لا تحصر تدل على أن الدعاء

=شيء. والمعنى أنّ الدعاء هو لبّ العبادة وخالصها لأن الداعي إنما يدعون الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك هو حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها. اهـ. وأخرجه ابن ماجه أي : حديث النعمان بن بشير من طريق علي بن محمد عن وكيع عن الأعمش عن زر ابن عبد الله فسماه زر ، والمشهور ذر بالذال ابن عبد الله المرهبي كما في التقريب حرف الذال المعجمة.

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

والتضرع والاستغاثة من خصائص الله جل وعلا، وتدل على عدم جواز صرف الدعاء والتضرع والاستغاثة لغير الله تعالى، ولم يأت بخلاف ذلك شيء البتة.

وقد عاش أصحاب رسول الله ﷺ معه مدة ثلاثة وعشرين سنة، وكانت تصيبهم الأزمات والمضائق والضرورات، ولم يعرف أن أحدًا منهم استغاث برسول الله ﷺ فيما لا يقدر عليه، بل نقل عنه إنكاره على من قال: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فيما يقدر عليه، وقال لأعز الناس عليه وأحبهم إليه: «**اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا**». ومن هنا تعلم فحش جرم من قال: إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأنه أباح بقوله هذا الشرك الأكبر الذي بعث النبي ﷺ بمحاربته وهدمه، ونسي أن الله تعالى يقول: ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**﴾ [1] فقوله: ﴿**ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾ استفهام إنكاري معناه النفي، أي: لا أحد يغفر الذنوب غيره.

ثالثًا: ونحن لا نقبل من أي أحد إباحة شيء أو تحريمه إلا بدليل، ومن حرم شيئًا أو أحله بلا دليل درأنا بقوله في نحره.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٥.

رابعًا : وأما الشفاعة فهي حق ، ولكنها لا تطلب إلا من الله قال تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ (٢) .

وفي الحديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنه من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي » (٣) وفي حديث أبي هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ فقال : «**لقد ظننت ألا يسألني عنه أحد قبلك لما رأيت من حرصك على العلم . أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» (٤) .

فتبين من هذا أن الشفاعة ملك لله عز وجل لا يملكها أحد غيره ،

---

(١) سورة طه الآية ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة آية الكرسي ٢٥٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة ، من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص. وأخرجه البخاري باب الدعاء عند النداء من طريق جابر بن عبد الله وفيه بعض المغايرة غير أن محل الشاهد متقارب.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث رقم ٩٩ فتح وأخرجه في الرقاق باب صفة الجنة والنار رقم الحديث ٦٥٧٠ ولفظ البخاري «**أول منك**» بدل : «**قبلك**» **ولفظه في الرقاق** « خالصًا من قبل نفسه » وأخرجه أحمد أيضًا .

لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يجوز أن تطلب من غير الله أبدًا. وإن أعظم سبب في حصولها هو التوحيد، وبدونه لا تحصل أبدًا: ﴿ **قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون**﴾[١] .

خامسًا: أن مشركي العرب لم يكونوا يعتقدون في آلهتهم أنها تحيي أو تميت أو تخلق أو ترزق، وإنما عبدوها بهذه العلة، وهي القربى إلى الله والزلفى إليه بواسطتها وشفاعتها. قال الله تعالى: ﴿**أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون**﴾[٢] وقال الله تعالى عنهم: ﴿ **إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾[٣] . وقال: ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[٤] بل لقد ذمهم الله بذلك وأخبر أن شفعاءهم المزعومين يتخلون عنهم حينما يكونون أحوج ما يكونون إليهم فقال تعالى: ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين**﴾[٥] وقال

(١) سورة الزمر الآية ٤٤.

(٢) سورة الزمر الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر الآية ٣.

(٤) سورة يونس الآية ١٨.

(٥) سورة الروم الآيتان ١٢ ، ١٣.

تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[١].

فتبين من هذا أن من طلب الغوث والشفاعة من غير الله فقد ضاهى المشركين وله حكمهم، وهذا بالنسبة لطلب الغوث والشفاعة من الميت أو من الحي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كمغفرة الذنوب وحط الأوزار وإنزال الغيث وشفاء المرض وإعطاء الولد.

أما الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه والاستشفاع به عند من يرجو أن يقبل شفاعته فذلك جائز، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾[٢] وقال تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾[٣].

سادساً: وأما قوله: فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه.. إلخ.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(٢) سورة القصص الآية ١٥.

(٣) سورة النساء الآية ٨٥.

وأقول: الفرق بين حاصل وواضح بين الاستغاثة والتوسل والتشفع :

فالأول : طلب الغوث ممن تظن أنه يقدر على إغاثتك ودفع المكروه عنك وكشف الشدة التي تحيط بك، فإن كانت الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه كالنصرة على العدو وما أشبه ذلك فهو جائز.

وإن كانت الاستغاثة بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله أو بالميت ، فهو شرك أكبر مخرج من الملة .

وأما التوسل : فهو أن تطلب من الله بجاه فلان أو حقه عنده وما أشبه ذلك . . . فهذا بدعة بكل حال، لا يكون شركًا إلا إذا طلب منه مباشرة أي: من الرسول ﷺ أو من المتوسل به. فالفرق كبير بينهما.

ولا أدري هل كان ذلك جهلاً من القسطلاني الذي أهله علمه أن يشرح صحيح البخاري أو تجاهلاً منه.

سابعًا : وأما قول الأميني: هناك جماعة من الحفاظ وأعلام السنة بسطوا القول في التوسل وقالوا إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال قبل خلقه وبعده، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة. . . إلخ.

ج - وأقول : في هذه الجمل تزكية وإيهام ومغالطة وعدم إنصاف وترويج للباطل.

أما التزكية فهي في قوله : جماعة من الحفاظ وأعلام السنة. وإطلاق هذه الأوصاف لا يجوز ولا ينبغي أن يطلق إلا على من حفظوا السنة وعرفوا صحيحها من سقيمها، ومن قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ قبل خلقه وبعد موته في مدة البرزخ ، أو قال بجواز التوسل بذاته مطلقاً فقد بنى قوله هذا على أحاديث ضعيفة أو موضوعة، وذلك يدل بطريق اللزوم أنه ليس من الحفاظ ولا من أعلام السنة، لأنه لو كان حافظًا ومن أعلام السنة لعرف ضعف الدليل الذي يستند عليه في هذا القول ولم يقل به.

ومن المعلوم أن من قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ قبل خلقه فإنما استند على حديث موضوع[١] .

وأما الإيهام والمغالطة وعدم الإنصاف فلكون ذكر القول الضعيف ولم يذكر القول القوي، بل قوّى الضعيف وأخذ يثني على قائليه ويزكيهم تزكية في غير محلها، موهمًا للقاريء أن هذا هو الحق طالما أن قائليه حفاظ وأعلام سنة، وكان الواجب عليه أن يذكر القولين على الأقل حتى لا يظن من لا يعلم أنه ما ثمَّ إلا قول واحد وأنه هو الحق.

وأما ترويج الباطل فلأنه ذكر القول الضعيف في التوسل الذي يعد بدعة، ثم خلط به ما يعد شركًا فقال : ثالثًا الطلب من النبي

(١) هو حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي سيأتي ويأتي الكلام عليه إن شاء الله

ﷺ ذلك الأمر المقصود. ومن المعلوم أن من طلب من النبي ﷺ مباشرة فقد أشرك بالله ودعا غيره.

وأما قوله : بمعنى أنه قادر على التسبب فيه وسؤاله ربه إلخ. . .

وأقول: هذه مغالطة وتخليط ، فمن سأل النبي ﷺ فقد أشرك بالله ، وليس هذا من أقسام التوسل.

وأما قول الرجل للنبي ﷺ أسألك مرافقتك في الجنة فهذا حصل بناءاً على طلب النبي ﷺ حين خدمه فأراد أن يكافئه فقال له «**سلني** » فقال : أسألك مرافقتك في الجنة فقال : « **أو غير ذلك** » ؟ فقال : هو ذاك . قال : « **فأعني على نفسك بكثرة السجود**» [1] ولعل مراد الرسول الكريم أن يسأله شيئًا من الدنيا يكافئه به، فكان سؤاله مرافقته في الجنة لعلو همته.

ولهذا قال له : « **أو غير ذلك** »؟ أي : مالك سؤال غير هذا ؟ فقال: هو ذاك. أي: هذا سؤالي. فقال النبي ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» فقياس سؤال النبي ﷺ بعد موته على سؤاله في حياته قياس باطل ، لأن الفارق بينهما كبير ومن جهات

(١) الحديث أخرجه مسلم جـ ٤ باب فضل السجود والحث عليه ص٢٠٥ ، ٢٠٦ ولفظه : حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سَل » فقلت : : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : «**أوغير ذلك** » قلت : هو ذاك . قال : «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**».

متعددة:

أولها: أن سؤال ذلك الرجل كان بناء على طلب من النبي ﷺ ليكافئه بخدمته له كما تقدم.

ثانيًا: أن ذلك السؤال في حياته وفيما يقدر عليه، وهو الدعاء له في الدنيا أو الشفاعة له في رفعة درجته في الجنة بعد دخولها، لأن السائل كان مؤمنًا، ولهذا طلب منه أن يعينه على نفسه بكثرة الصلاة ليكون أقرب إلى حصول مطلوبه.

ثالثًا: أن النبي ﷺ لو كان يملك طلبه ويقدر على تحصيله لما كان لقوله: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» فائدة ولكن أمره بذلك لينال بعمله درجة أعلى فيكون أدنى لإجابة شفاعته فيه.

رابعًا: أنه لو كان يملك رفعة الدرجات ومغفرة الذنوب وحطّ الأوزار وهداية الضُّلال وإدخال من شاء إلى رحمة الله وجنته لصنعه بأقرب الناس إليه. فتلك أمه لم يؤذن له في الاستغفار لها[1] وذلك عمه أبو طالب لم يستطع هدايته حتى أنزل الله فيه: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾[2] وذلك عمه العباس وعمته

---

(١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن وقد تقدم تخريجه.

(٢) سورة القصص الآية ٥٦ قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية ٣/٣٩٥: وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبًا شديدًا طبيعيًا لا شرعيًا، فلما حضرته الوفاة=

وابنته لم يغن عنهم من الله شيئًا .

وهاهو قد أنزل الله عليه حين دعا على أقوام حاربوه وعادوه وأخرجوه، ولكن علم الله من بعضهم أنه سيدخل في حظيرة الإسلام وسيكون يومًا ما جنديًا من جنوده يذود عنه ويقارع أعداءه فأنزل عليه: **﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾**[1] .

ومن هنا يتبين خلط هذا القائل وعدم صحة قوله وبطلان قياسه.

ثامنًا : وأما حكم التوسل فهو يحتاج إلى تفصيل وبحث للأدلة ليكون القاريء على بصيرة:

وأقول : التوسل معناه : التوصل بشيء إلى شيء. فما لا يمكن

=وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة. ثم أورد حديث سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن وكان حضر القصة الثابتة في الصحيحين في عرض النبي ﷺ الإسلام عليه وتحريض أبي جهل له على البقاء على دين الشرك .

فإن قيل : فكيف تجمع بين هذه الآية والآيات التي فيها إثبات الهداية كقوله تعالى : **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله ﴾** ؟ فالجواب أن الهداية هداتان : هداية دلالة وإرشاد ، وهداية توفيق . فالمثبتة هداية **الدلالة** والإرشاد والمنفيَّة هداية التوفيق.

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

الوصول إليه بغير واسطة تتـخذ الوسيلة للوصول إليه بواسطة، وتلك الواسطة هي الوسيلة، فمثلاً : ماء البئـر لا ينال باليد فيتخذ الرشاء- وهو الحبل - وسيلة للوصول إليه، أو المضخة في العصر الحديث.

ومعنى الوسـيلة في الشرع: القـربة التي تكون سببًـا في الوصول إلى مرضاة الله وجنته . وهي تكون بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه ، وبذلك أمـر الله عز وجل في قـوله: ﴿ **يا أيهـا الذين آمنوا اتقـوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾ [٢] .

قـال ابن جرير رحـمـه الله : يعني جل ثناؤه بذلك ﴿ **يا أيهـا الذين**﴾ صدقوا الله فيما أخبرهم به ووعدهم من الثواب وأوعدهم من العقاب﴿ **اتقوا الله** ﴾ يقول : أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك ، وحـققـوا إيمانكم وتصديقكـم ربكم ونبيكم بالصـالح من أعمالكم ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ أي : اطلبوا القربة إلـيه بالعمل بما يرضيه. والوسـيلة هي فعليه من قول القـائل: توسلت إلى فلان بكذا بمعني تقربت إليه . ومنه قول عنترة:

إن الرجال لهم إليكِ وسيـــلة أن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

يعني بالوسيلة: القربة. ومنه قول الآخر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والـتواسل

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٥.

ثم قال: وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل. ثم روى بأسانيده عن أبي وائل وعطاء والسدي وقتادة ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير في قوله : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ كلهم قالوا القربة أي : اطلبوا التقرب إليه بفعل طاعته [١] اهـ.

قلت : وهذا هو التوسل الواجب المفروض على كل مكلف لا ينال النجاة من النار ودخول الجنة إلا به ، وهو القسم الأول من أقسام التوسل ، واعلم بأن التوسل الجائز ينقسم إلى ثلاثة أقسام : واحد واجب ، وهو الذي تقدم ذكره ، وهو التوسل إلى مرضاة الله وجنته بطاعته وطاعة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّن والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك** رفيقًا ﴾ [٢] .

الثاني : وهو مباح ، أن تدعو الله وتتوسل إليه بصالح عمل قدمته فتذكره في دعائك ليكون أرجى للإجابة، كما في حديث الثلاثة الذين دخلو الغار فانحدرت عليهم صخرة فسدت فم الغار عليهم فدعوا الله بصالح أعمالهم ففتح الله لهم الغار فخرجوا يمشون... وحديثهم مشهور [٣] .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ٦ ص ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٦٩ .

(٣) أخرجه البخاري في باب الحرث والمزارعة إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم رقم ٢٣٣٣ وأخرجه في كتاب الأنبياء، وأخرجه في كتاب الأدب باب إجابة دعاء من برّ والديه=

الثالث: وهو مباح أيضًا ، أن تتوسل إلى الله بدعاء من تظنه صالحًا وترجوأن يكون دعاؤه مستجابًا. ومن هذا النوع استسقاء عمر بدعاء العباس في عام الرمادة.

ومنه حديث الأعمي على احتمال صحته. ومنه حديث مسلم خير التابعين أويس القرني [١] وحديث المرأة التي كانت تصرع وطلبها الدعاء من النبي ﷺ [٢] وقول كل من عمرو بن العاص[٣] وخالد ابن الوليد وأبي سفيان بن الحارث[٤] بن عبد المطلب للنبي ﷺ : استغفر

=رقم ٥٩٧٤ وأخرجه مسلم في كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ١٧ / ٥٥ نووي.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل أويس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إني سمعت رسول الله يقول : « **خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم**» وأخرجه من طريق أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب مطولاً ١٦/ ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦.

(٢) أخرج قصتها البخاري في كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح رقم ٥٦٥٢ من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: **ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟** قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إن أصرع وإني أتكشف فادع الله لي . . الحديث وأخرجه مسلم في كتاب البر .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل السهمي أسلم قبل الفتح وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو أمير على مصر لمعاوية رضي الله عنهما عن عمر يبلغ ٩٠ تسعين سنة . اهـ الإصابة ج٣ / ٢.

(٤) أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ أسلم قبل الفتح ولقي النبي ﷺ وهو في طريقه إلى مكة فأعرض عنه ثم حنى عليه وقبل إسلامه وبايعه توفي سنة عشرين في خلافة عمر بعد رجوعه من الحج اهـ سير النبلاء ١/ ٢٠٢ .

لي . . . والأدلة على ذلك كثيرة.

القسم الرابع: التوسل بالذوات أو بالحق أو الجاه ، كأن يقول الداعي : بحق فلان عندك أو بجاهه لديك . وهذا النوع ابتدعه المتأخرون ولم يكن معروفًا عند السلف ، ورغم هذا فقد قال به كثير من المتأخرين واستدلوا عليه بأحاديث : منها ما هو صحيح والاستدلال به باطل، ومنها ما هو ضعيف لا يجوز الاحتجاج به ولا الاعتماد عليه. وسأذكر بعون الله أهم تلك الأحاديث موضحاً درجة كل حديث، بعد نقل ما قيل في رجال سنده . والله المعين والهادي إلى سواء السبيل.

الحديث الأول

عن أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون) رواه البخاري.

وقد حالو القائلون بالتوسل البدعي - وهو التوسل بالذوات - حاولوا قلب الحقائق بادعائهم أن هذا الحديث حجة لهم وهو في الحقيقة حجة عليهم.

فقال الشيخ منصور بن علي ناصف في تعليقه على هذا الحديث

في كتاب التاج الجامع للأصـول . وبعد أن أضاف إليه أحاديث في شرحه:

فهذه النصوص تفيـد أن التوسل إلى الله بالصالحين جائز، بل هو مطلوب في الشدائد، والشاهد في التقرب إلى الملوك بمن يحبونه يؤيد ذلك.

وأقول: كلا ليس في قصة استسقاء عمر بدعاء العباس دليل على جواز التوسل بالذوات، بل هو دليل على منعه وعدم مشروعيته، إذ لو كان التوسل بالذوات مباحاً لما عدل عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ إلى العباس ليتوسل بدعائه، مع علم عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ بأن جاه رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته عند الله سواء، ولكن عدول عمر رضي الله عنه عن التوسـل بجاه النبي ﷺ الذي لا يشك مسلم أنه أفضل جاه عند الله، إلى دعاء العباس الذي هو مفضول حتى بالنسبة لعمر، يدل دلالة واضحة أن التوسل بالجاه ممنوع، وأن التوسل بدعاء الحي مشروع حتى ولو كان المتوسِّل فاضلاً والمتوسَّل بدعائه مفضولاً، بل لو قال أحد إنه إجماع من الصحابة لما أبعد، لأن هذا وقع في عام الرمادة أي: سنة ثمانية عشرة من الهجرة والصحابة كلهم متوافرون، فلو ترك عمر سنة لردوا ذلك عليه كيف لا وقد ردت عليه امرأة وهو على المنبر يخطب فما أنف ولا تكبر، بل نزل وهو يقول: أصابت امرأة وأخطأ رجل أو وأخطأ عمر.

ومما يزيد الأمر وضوحًا أنه فعل عمر بن الخطاب ﷺ ، الذي هو أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمر النبي ﷺ بمتابعة سنتهم والتأسي بأفعالهم.

ثانيًا : أما قوله : وفي ذلك دليل أن التوسل إلى الله بالصالحين جائز.

فأقول: هذه مجازفة ظاهرة يسأله الله عنها ، فأين دليل الجواز من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ ؟ وما هي الجملة التي تدل على ذلك من قصة استسقاء عمر بدعاء العباس؟ أما قول أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقى بالعباس، فإن معناه استسقى بدعاء العباس وليس معناه استسقى بذاته، فهو توسل بدعائه وليس توسلاً بذاته، إذ لو كان التوسل بالذوات جائزاً، لما عدل عن ذات النبي ﷺ التي هي أفضل الذوات على الإطلاق ، ولو كان بالجاه لما عدل عن جاه النبي ﷺ الذي هو أفضل جاه عند الله إذ بشفاعته يفصل الله بين عباده وبشفاعته يفتح لهم باب الجنة.

ثالثًا : أن الجواز حكم شرعي لا يحل لأحد أن يحكم به حتى يعلم دليله، بل وحتى يعلم صحة دليله والقاعدة الشرعية التي منها أخذ الحكم وعليها أُسِّس.

رابعًا : قياسه للتوسل إلى الله بذوات الصالحين على التقرب إلى

الملوك بمن يحبونه قياس باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن قياس أحكام الدين على أمور الدنيا أو بالأحرى على واقع الناس في حياتهم العملية يدل على جهل من تفوه به أو اعتقده، فما هي القاعدة الأصولية التي بنى عليها هذا القياس؟ وأين الدليل الذي أخذت منه القاعدة؟ ومن هو الذي سبقه إلى هذا القياس من السلف؟

ثانيًا: أن الملوك عاجزون عن إدراك ما وراء جدرهم، فهم في حاجة إلى الوسائط الذين يبلغونهم ما خفي عليهم وما يجهلونه.

أما الله جل شأنه وعزَّ سلطانه وتعالى جده وتنزّهت عظمته، فليس في حاجة إلى أحد من خلقه أن يكون له معينًا أو ظهيرًا أو وزيرًا أو مشيرًا، لأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم ما توسوس به نفس كل عبد، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وقد قال لنبيه ﷺ: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**[1].

ثالثًا: أن الملوك في حاجة إلى أشياعهم وأنصارهم وقراباتهم وأعوانهم لأنهم بحاجة إلى نصرهم، فهم يحرصون على استبقاء ودهم بقبول وساطاتهم لينتفع بعضهم من بعض، أما الله جل شأنه

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦.

فهو غني عن خلقه ، وهم بأسرهم فقراء إليه صلحاؤهم وفجارهم كما قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز**﴾(١) .

فإن قبل دعاء بعض الصالحين في الدنيا أو شفاعتهم في الآخرة ، فإنما ذلك من باب الإنعام والإكرام ، ولهذا يقول النبي الكريم ﷺ الذي هو أفضل الخلق عند الله جاهًا وأقربهم إليه وسيلة لعمه وعمته وابنته : « **اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا** » (٢) . ويقول : « **استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي** » (٣) .

وبهذا يعلم بطلان قوله هذا وفساده.

رابعًا : أن من قاس الله بخلقه فقد تنقصه وشبهه، لذلك فهو جدير بأن يحبس ويضرب ويستتاب، لأنه لم يؤمن بهيمنة الله على عباده وعلمه الشامل وقدرته النافذة.

وقد سبق في هذا الرد المختصر أن رسول الله ﷺ قال للأعرابي الذي قال : فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك،

---

(١) سورة فاطر الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه .

فقال رسول الله ﷺ : «ويحك» وسبح رسول الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وأنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**»(٤) وبهذا تعلم أن قياس الله بخلقه تنقص له وجهل من قائله بعظمة الله جل وعلا.

خامسًا : وإجماع المهاجرين والأنصار مع عمر رضوان الله عليهم أجمعين على العدول عن التوسل بذات الرسول ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس، إجماع منهم على عدم مشروعية التوسل بالذوات وتحريمه.

قال شيخ الإسلام في كتاب (التوسل والوسيلة) ص ٦٤ : ودعاء عمر بن الخطاب ﷺ في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار : (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا التوسل بذاته، إذ لو كان هذا مشروعًا لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول ﷺ إلى السؤال بالعباس. وقال أيضًا في ص (٤٩ - ٥٠) : فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في

---

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة.

حياته قد تعذر بعد موته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا. فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته. فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة حين يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به. بمعنى الإقسام على الله بذاته والتوسل بذاته، فهذا لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره. ولا يعرف هذا في الأدعية، وإنما ينقل شيء من هذا في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمن ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة إنه لا يجوز ونهوا عنه، حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك.

قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة: وقد ذكر هنا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة، قال بشر بن الوليد [1] حدثنا أبو يوسف قال: قال أبو

---

(١) بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف. مات سنة ٢٣٨.

حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول : بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك ، وهو قول أبي يوسف . قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشه هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام.

قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للخلق على الخالق ، فلا تجوز وفاقاً. انتهى.

الحديث الثاني

ثانياً: استدلوا بحديث الأعمى الذي رواه الترمذي والحاكم عن عثمان بن حنيف ولفظه: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفعه في** » قال الألباني في (صحيح الجامع الصغير) رقم (١٢٩٠) : صحيح . ثم قال : قلت : وزاد أحمد وابن خزيمة والحاكم : « **وشفعني فيه** » . وهي من الأدلة الكثيرة على أن التوسل والتوجه المذكور في الحديث إنما هو بدعائه ﷺ لأن معناها: اقبل شفاعتي في دعائه: وكذلك قوله : « **فشفعه فيَّ**» أي : اقبل شفاعته أي: دعاءه فيَّ. وهذه الزيادة من الكنوز من عرفها

استطاع بها أن يطيح بشبهات المخالفين ، انتهى .

قلت : وقد صحح الحديث أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (التوسل والوسيلة) وساق طرقه وألفاظه بما لا تجده في غيره .

وقال في أول كلامه فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال : وشفعه فيَّ ، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه اهـ.

قلت : ومما يدل دلالة قطعية أنه توسل بدعاء النبي ﷺ قوله في أول الحديث كما رواه الترمذي : إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : « **إن شئت صبرت فهو خير لك**» قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء . . .وذكر الحديث المتقدم.

أما قول الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي. فقد قال في (تحفة الأحوزي) ج ١٠ ص ٣٤ قال الإمام ابن تيمية : هكذا وقع في الترمذي وسائر العلماء قالوا هو أبو جعفر وهو الصواب.

كذا في (التحفة) وبالرجوع إلى كتاب (التوسل والوسيلة) وجد هكذا : أبو جعفر الخطمي وهو الصواب انتهى.

أما السهسواني صاحب (صيانة الإنسان) فقد مال إلى ضعفه وذكر في ١٢٥ - ١٢٦ أن أبا جعفر إما ماهان بن عيسى بن أبي عيسى الرازي وهو سيء الحفظ، وثقه جماعة وضعفه آخرون بسوء حفظه وكثرة أوهامه.

وإما أبو جعفر المدني الأنصاري المؤذن وهو من الثالثة مقبول. وقال علي : إنه لا يعرف رواية شعبة عن أبي جعفر المدني هذا ولا رواية أبي جعفر هذا عن عمارة ابن خزيمة .

قلت : وكأنه مشى على قول الترمذي أنه غير الخطمي. أما شيخ الإسلام فقد صحح الحديث بناء على أنه الخطمي ، وتبعه على ذلك الألباني . ومهما يكن فليس فيه دليل للمبتدعين القائلين بجواز التوسل بالذوات ، لأنه توسل بدعاء النبي ﷺ ولم يتوسل بذاته ولا بجاهه، والتوسل بدعاء الحي أمر مسلم به لا ينازع فيه أحد أبدًا كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ، وهو بمنزلة الأعرابي الذي قال للنبي ﷺ وهو يخطب : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : « **اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا**» قال أنس : وما نرى في السماء قزعة. . الحديث.

وفي تمامه: فدخل رجل في الجمعة الأخرى من ذلك الباب والنبي ﷺ يخطب على المنبر فقال : يا رسول الله هلكت الأموال

وانقطعت السبل فاعد الله أن يرفعها عنا فرفع النبي ﷺ يديه ، وقال : « **اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والشعاب وبطون الأودية ومنابت الشجر** » قال : فانجاب السحاب عن المدينة كما يجاب الثوب [١] .

وحديث المرأة التي قالت: يا رسول الله إني أصرع فادع الله لي. فقال : « **إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك** » فقالت : بل أصبر ولكني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف [٢] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على طلب الدعاء من النبي ﷺ في حياته أو حصوله منه عفواً من غير طلب ، كما في قصة علي بن أبي طالب حين كان أرمد في خيبر [٣] وقول النبي ﷺ : « **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** » فلما أصبح أرسل إليه وكان أرمد، فتفل في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع . الحديث ، وقصة عبد الله بن عتيك حين قتل أبا رافع فسقط

---

(١) أخرجه البخاري في باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، وأخرجه في أبواب الاستسقاء باب الاستسقاء في المسجد الجامع وما بعده. وأخرجه مسلم باب الدعاد في الاستسقاء رقم ٨٩٧ من طرق .

(٢) تقدم تخرجه قريبًا.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة رقم ٣٧٠١ ، ٣٧٠٢ ، وأخرجه أيضًا في المغازي باب غزوة خيبر رقم ٤٢٠٩ ، ٤٢١٠ ، وأخرجه أيضًا في الجهاد ١٣٧٠ ، وأخرجه الترمذي في المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب .

من درجة الباب فانكسرت رجله [١] الحديث.

أما يوم القيامة : فـقد ثبت أن رسول الله ﷺ أخبر أن المؤمنين يستـشفعـون بدعائه في عرصـات القيامـة لفصل القضـاء ولفتح باب الجنة.

أما بعد موته : فلم يثبت أن أحدًا من صحابته توسل بذاته . وأما طلب الدعاء منه بعد موته فهـو مستحيل إلا على رأي من يرى أنه لا فرق بين حيـاته وموته بالنسبة لاطلاع على النـاس، بل قد ذهبوا إلى أبعـد من ذلك فزعـموا أنه مطلع على جـميع أمتـه، يسمع كـلامهم ويعرف نياتهم وخواطرهم وما يجري في نفوسهم .

وقد تقدم الرد على هذا الزعم الباطل بما فيه غنية والحمد لله .

أما الـصحـابة: فقـد رأيت في الحديث الماضي أنهم عـدلوا عن التوسل بذاته إلى التوسل بدعاء عمه، إيمانًا منهم بأن طلب الدعاء منه بعد الموت مستحيل ، وأن التوسل بذاته لا يجوز شرعًا .

أما الرواية الأخرى التي فيها أن عثمان بن حنيف أمر بهذا الدعاء رجلاً كان يتردد إلى عثمان بن عفان في حاجة ولا يلتفت إليه فدعا به فقضى عثمـان حاجته، فقد أخرجهـا الطبراني من حديث أصبغ[٢] بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ١٦ باب قتل أبي رافع رقم ٤٠٣٩ ، ٤٠٤٠ .

(٢) أصبغ بن الفـرج بن سعيـد الأموي مولاهم المصري الفـقيه ثقـة مات سنة ٢٢٥ . تقريب ١/ ٨١ قلت : وهو من رجال البخاري.

الفرج حدثنا عبد الله [١] بن وهب عن شبيب [٢] بن سعيد المكي عن روح [٣] بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي [٤] عن أبي أمامة [٥] بن سهل ابن حنيف عن عمه عثمان [٦] بن حنيف. ورواه البيهقي عن إسماعيل [٧] ابن شبيب بن سعيد عن شبيب بن سعيد.

وقد تكلم ابن عدي في هذه الرواية فقال شيخ الإسلام في

(١) عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته . روى له الجماعة . إمام مشهور .

(٢) شبيب بن سعيد الحبطي البصري ترجمه في التقريب ١/ ٢٤٦ ، وقال : لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب .

قلت : وهذا الحديث من رواية ابن وهب . مات سنة ١٨٦ .

(٣) روح بن القاسم التميمي العنبري أبو غياث . ثقة حافظ من السادسة . مات سنة ١٤١ . روى له الشيخان . تقريب ١/ ٢٥٤ .

(٤) أبو جعفر الخطمي عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري الخطمي المدني نزيل البصرة صدوق من السادسة . تقريب ٢/ ٨٧.

(٥) أبو أمامة بن سهل بن حنيف هو أسعد بن سهل مشهور بكنيته . معدود في الصحابة له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ . مات سنة ١٠٠ وله اثنتان وتسعون سنة . تقريب ١/ ٦٤.

(٦) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي أبو عمرو المدني صحابي شهير ، استعمله عمر على مساحة أرض الكوفة وعليٌّ على البصرة قبل الجمل ، ومات في خلافة معاوية . تقريب ٢/ ٧.

(٧) لم أجد لهذا ترجمة . وقدترجم في اللسان إسماعيل بن شبيب وقيل : ابن شيبة الطائفي وقال واه. والظاهر أنه غيره ، لأن هذا كأنه ابن شبيب بن سعيد ، فالله أعلم .

(القاعـدة الجليلة) ص ٩٦ : قال أحـمد بن عـدي في كتابـه المسمى بـ(الكامل في أسـماء الرجال) ولم ينـصف في فنه مثله : شـبيب بن سعيد الحبـطي أبو سعيد البصري التميـمي حدث ابن وهب بالمناكير. ونقل ابن عدي أكثـر من هذا وأطال الكلام . ونقل عن أبي عبد الله المقدسي أنه قـال : الحديث صحـيح. . إلى أن قال : وبالجملة فـهذه الزيادة ولو كـانت ثابتة لم تكن فـيهـا حجـة. . إلى أن قال : فـهذا الزيادة فيها عدة علل:

١ - انفرد هذا بها عمن هو أكبر وأحفظ منه.

٢ - وإعراض أهل السنن عنها.

٣ - واضطراب لفظها.

٤ - وأن راويها عرف له عن روح أحاديث منكرة.

ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجة فيـها، إذ العبرة بما رواه الصـحابي لا بما فهمـه، إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على ما فهمه بل على خلافه.

ومعلوم أن الواحد بعد موته إذا قال : اللهم فـشفعه في وشفعني فيه ، مع أن النبي ﷺ لم يدع له ، كـان كلامًا باطلاً، مع أن عثـمان بن حنيف لم يأمـره أن يسأل النبي ﷺ شـيئًـا ولا أن يقول فشفـعه في ، ولـم يأمره بالدعاء المأثور على وجـهه، وليس هناك من

النبي ﷺ شفاعة ولا ما يظن أنه شفاعة . . . فلو قال بعد موته فشفعه في لكان كلامًا لا معنى له ، ولهذا لم يأمره به عثمان.

والدعاء المأثور عن النبي ﷺ لم يأمره به، والذي يأمره به ليس مأثورًا عن النبي ﷺ ومثل هذا لا تثبت به شريعة، كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في حسن العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات إذا لم يوافقه عليه غيره من الصحابة وكان ما يثبت عن النبي ﷺ يخالفه لا يوافقه لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها ، بل غايتها أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد ومما تنازعت فيه الأمة فجيب رده إلى الله والرسول.

قال: ولهذا نظائر كثيرة، مثل ما كان عمر يدخل الماء في عينيه في الوضوء ويأخذ لأذنيه ماء جديدًا ، وكان أبو هريرة يغسل يديه إلى العضدين في الوضوء. وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبي ﷺ وينزل مواضع نزوله [(١)] .

وأطال في نقل أقوال عن بعض الصحابة انفرد بها أحدهم عن سائرهم ثم قال : وهكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله ، تارة يكرهونه وتارة يسوغونه فيه الاجتهاد وتارة يرخصون فيه إذا لم يتخذ سنة، ولا يقول عالم بالسنة إن هذه سنة مشروعة للمسلمين، فإن

(١) انظر فتح الباري ١/ ٥٦٧.

ذلك إنما يقال فيما شرعه رسول الله ﷺ إذ ليس لغيره أن يسن ولا أن يشرع.

وما سنه خلفاؤه الراشدون فإنما سنوه بأمره فهو من سننه . ولا يكون في الدين واجبًا إلا ما أوجبه، ولا حراماً إلا ما حرمه، ولا مستحبًا إلا ما استحبه، ولا مكروهًا إلا ما كرهه، ولا مباحاً إلا ما أباحه إلى أن قال : ومن قال من العلماء قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ولا عرف نص يخالفه ، ثم إذا اشتهر ولم يخالفوه كان إقرارًا على القول . فقد يقال إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه ولم ينكره أحد منهم ، وهم لا يقرون على باطل. . . إلى أن قال : وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعيًا له وشافعًا فيه ، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته كما كان يشرع في حياته. . . إلى أن قال: وحديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ،فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعته ودعائه لا بذاته . . . انتهى.

قلت : ومما سبق نقله يتبين أن هذه الزيادة التي تضمنت التوسل بالنبي ﷺ بعد موته لا يجوز العمل بها لأمور:

الأول: أن الحديث الثابت إنما تضمن التوسل بدعاء النبي ﷺ

في حياته وهو مستحيل بعد موته، فكان باطلاً.

الثاني: أن هذه الزيادة في ثبوتها نظر ، والأصح أنها لا تثبت كما تقدم ، وقد ضعفها ابن عدي والسهسواني الهندي صاحب (صيانة الإنسان) وضعفها شيخ الإسلام وأعلها بعده علل.

الثالث : أنه لو ثبت عن عثمان بن حنيف أنه أمر بذلك بعد موت النبي ﷺ فهو اجتهاد منه خالفه فيه جميع الصحابة، والثابت من الشريعة أيضًا يخالفه .

ومثل هذا لا يكون شرعًا كما قال شيخ الإسلام رحمه الله .

الرابع: أن العبرة بما رواه الراوي لا بما رآه كما قرر في الأصول، وهو مذهب الجمهور.

الخامس: أنه لا حجة في أحد غير رسول الله ﷺ كما تقدم في المقدمة.

الحديث الثالث

الثالث: حديث أبي سعيد الخدري بلفظ : «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج بطرًا ولا أشرًا ولا رياء ولا سمعة**» الحديث .

أخرجه ابن ماجه بسند فيه ثلاثة ضعفاء :

قال محـمد فؤاد عبـد الباقي [١] في تعليـقه عـلى ابن ماجـه في الزوائد: هذا إسناد مسلسل بالضعفـاء : عطية وهو العوفي ، وفضيل من بن مرزوق ، والفضل بن الموفق.

قلت : ذكر الحـافظ في التهـذيب أن عطية [٢] ضعفـه هشيم وأبو حاتم والجوزجاني والنسائي وابن عدي.

وقال الإمـام أحمـد: حدثنا أبو أحمـد الزبيري: سمـعت الكلبي يقول : كنَّاني عطـية أبا سعـيد. وقال ابن حـبان في (الضعـفاء) : سمع من أبي سعيد أحاديث فلمـا مات جعل يجالس الكلبي (يحضر بصفته) [٣] كذا فيحفظه، وكناه أبا سـعيد ويروي عنه . فإذا قيل له : من حدثك بهذا ؟ يقول لـ أبو سعيد . فيتوهمون أنه سعيد الخدري ، وإنما أراد الكلبي، ثم أسند إلى أبي خالد الأحمر [٤] قال لي الكلبي،

(١) هو عالم مـصري معاصـر رتب آيات القرآن الكريم على حروف الهـجاء وعلق على سنن ابن ماجـه ابن ماجه ورقم كـتبه وأبوابه وأحـاديثه ، وبالجملة له عـمل مشكور وبالأخص في ترتيب آيات القرآن . لا أدري هو ما زال حياً أو قد توفي .

(٢) عطية العوفي توفي يسنة ١١١ . ترجمه في الشذرات ١/ ١٤٤ ، والتقريب ٢/ ٢٤ ، وقال : كان شيعيًا مدلسًا.

(٣) هكذا نقلته من تهذيب التهذيب جـ٢٢٤٧ والصواب « ويحـضر قصصه » والتصحيح من كتاب المجروحين لابن حبان جـ ٢/ ١٧٦ .

(٤) أبو خالـد الأحمر هو سلـيمان بن حـيان الأزدي الكوفي . ولد سنـة ١١٤ وسمع سليمان التيـمي وهشام ابن عروة وحميد الطويل وعـدة . وعنه أحمد بن حنبل وابن نمير وإسحاق بن راهويه وغيرهم . وثقه جماعة مات سنة ١٨٩ . ترجمه في التذكرة طبعة ٦/ ٢٧ ص ٢٧٢.

قال لي عطية : كنيتك بأبي سعيد فأنا أقول حدثنا أبو سعيد [٥] وقال : لا يح لكتب حديثه إلا على التعجب . . اهـ.

قلت : وحتى الذين روي عنهم توثيقه كان التوثيق بصيغة قريبة إلى الضعف ، فقال بعضهم فيه : لين يكتب حديثه .

وقال أبو حاتم : ليس بالقوي .

وقال النسائي : ليس به بأس، وقال محمد بشير السهسواني في (صيانة الإنسان) : ورد رواية عطية هذا من ستة أوجه . . ذكر أربعة منها وأسهب . . ثم قال والخامس: أن وجه ضعف عطية ليس منحصراً في التشيع والتدليس ، بل له وجه آخر أيضًا غيرهما ، وهو عدم الضبط وكثرة الخطأ ، صرح به الحافظ ابن القيم في (الهدي) والحافظ ابن حرج في (التقريب) فليفهم . السادس: أن جارحيه أكثر من الموثقين له فلنعد الجارحين . من الجارحين:

١ - أبو حاتم ٢ - سالم المرادي ٣ - أحمد بن حنبل - ٤ - هشيم ٥ - يحيى . قلت : هو ابن سعيد القطان ٦ - النسائي - ٧ - البيهقي ٨ - الثوري ٩ - ابن عدي ١٠ - عبد الحق ١١ - الذهبي ١٢ - المنذري ١٣ - الحافظ ابن القيم ١٤ - الحافظ ابن حجر ١٥ - الدارقطني.

---

(٥) الضعفاء والمتروكين لابن حبان ١/ ٨١ .

ومن الموثقين : ابن معين والترمذي . فما وزنهما في جانب ذلك السواد الأعظم ؟

قلت : ومن الموثقين أيضًا : ابن أبي حاتم والنسائي كما تقدم . ومن الجارحين ابن حبان والجوزجاني [1] والساجي . قال الساجي : ليس بحجة ، كان يقدم عليًا على الكل.

قلت : وقد تبين من هذا أن الجارحين له ثمانية عشر ، والموثقين له أربعة : اثنان منهم روى عنهما توثيقه بصيغة تقرب من الضعف ، وروي عنهما تضعيفه ، وأما الترمذي فهو معروف بالتساهل ، وأما ابن معين فيحمل على أنه لم يبلغه ما يوجب تضعيفه، ومن علم حجة على من لم يعلم . ومن جهة أخرى فإن الجرح مفسروالتوثيق مجمل، فيقدم الجرح .

ومن جهة ثالثة فإن الجرح متعدد : فهو جرح بالتدليس القبيح الدال على عدم الثقة ، وجرح بتقديم علي على الثلاثة... وغير ذلك.

---

(١) الجوزجاني هو إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق الجوزجاني ترجمه في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ص٥٩ وترجمه في التذكرة وقال : تفقه بأحمد بن حنبل ، وثقه النسائي . قال الدارقطني : كان من الحفاظ الثقات المصنفين ، وفيه انحراف عن علي، قال أبو الدحداح : مات في ذي القعدة سنة ٩٠ . وقال غيره سنة ٢٥٦ ت ٧٠٩ .

وأما فضيل بن مرزوق فوثقه الثوري ويحيى بن معين كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم ، وقال : سألت أبي عن فضيل بن مرزوق فقال: صدوق صالح الحديث يهم كثيرًا .

قلت : يحتج به ؟ قال : لا .

وبهذا تعلم أن الحديث ضعيف جدًا لا تقوم به حجة ، ولا يجوز الأخذ به ولا الاعتماد عليه ، لأن فيه ثلاثة ضعفاء على نسق.

الحديث الرابع

رابعًا : حديث أنس بن مالك الذي رواه الطبراني في الأوسط قال: لما توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم [1] أم علي بن أبي

---

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية والدة علي بن أبي طالب . كانت من المهاجرات الأول ، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا . ترجمها في سير أعلام النبلاء ٢/ ١١٨ والإصابة ٤/ ٣٦٨ والاستيعاب ٤/ ٣٦٩ بهامش الإصابة. وقال: قال أبو عمر: روى سعدان بن الوليد السابري عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس قال لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبره فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه . قال : « إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها . إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضجعت معها ليهون عليها » وذكره الذهبي في السير وقال : غريب. وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٥٧ رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعدان ابن الوليد السابري لم أعرفه .

طالب.. فذكر الحديث وفيه : « **اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنهما حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء من قبلي فإنك أرحم الراحمين** » وفي سنده روح بن صلاح المصري ، يقال له ابن سباية.

وثقه ابن حبان والحاكم ، وهما معروفان بالتساهل. وضعفه ابن عدي . وقال في (صيانة الإنسان) : **فقد علم** أن فيه روح بن صلاح المصري وهو ضعيف ، ضعفه ابن عدي . وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال كما في (فتح المغيث) للسخاوي.

ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات ، فإن قاعدته معروفة من الحتجاج بمن لا يعرف كما في (الميزان) اهـ.

وقال في (لسان الميزان) لابن حجر ترجمة (١٨٧٦) وصفحة (٤٦٦) ج ٢ بعد أن ذكر تضعيف ابن عدي له قال : ذكره ابن يونس[١] في (تارخ الغرباء) فقال : من أهل الموصل، قدم مصر

= قلت : ولعل هذا المجهول اختلقه ، فالنكارة بادية عليه والكذب بين منه فبالإيمان يهون الله عليها ويكسوها من حلل الجنة.

(١) ابن يونس هو الإمام الحافظ المتقن أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام يونس ابن عبد الأعلى الصدفي المصري صاحب تاريخ علماء مصر ولد سنة إحدى وثمانين ومأتين سمع أباه وأبا عبد الرحمن النسائي وغيرهما ماه ارتحل ولا سمع بغير مصر=

وحدث بها، رويت عنه مناكير.

وقال الدراقطني : ضعيف في الحديث .

وقال ابن ماكولا . ضعفوه ، سكن مصر .

وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين : له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة .

فتبين من هذا أن الذين ضعفوه وحكموا على حديثه بالنكر هم : ابن عدي وابن يونس والدارقطني وابن ما كولا . وينضاف إليهم : الذهبي وابن حجر ، فإنهم نقلوا تضعيفه عن هؤلاء وأقروه . ومثل هذا يرد حديثه ولا يقبل ، وبالأخص إذا كان شاذًا مخالفًا للثابت المعروف عن النبي ﷺ علمًا بأن المنكر مردود باتفاق . والله أعلم.

الحديث الخامس

خامسًا : ومنها حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [1] عن أبيه

=ولكنه إمام بصير بالرجال فهم متيقظ توفي في جمادي الأخرة سنة ١٣٤٧ هـ ، سير أعلام ا لنبلاء جـ ١٥ / ٥٧٨ .

(١) ترجم ابن حبان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في كتابه (المجروحين والضعفاء والمتروكين) ٢/ ٥٧ ، ٥٨ . وقال كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، توفي سنة١٨٢ ثم=

عن جده عن عمر مرفوعًا وموقوفًا عليه بلفظ أنه : « **لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي . قال: وكيف عرفت محمداً ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك**» رواه الحاكم في مستدركه وقال : وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن في هذا الكتاب ، وقال الحاكم: هو صحيح. قال شيخ الإسلام في القاعدة الجليلة :

قلت: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب (المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم) : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى علي من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

قلت : **وعبد الرحمن** ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرًا ، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني ، وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

=نقل تضعيفه عن جماعة من الأئمة منهم : علي بن المديني ومالك وأحمد بن حنبل والشافعي . . وذكر من مناكيره حديث « **ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام** » في أحاديث أخرى .

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث كما صحح حديث زريب ابن ثرملة الذي يذكر فيه وصى المسيح وهو كذب باتفاق أهل المعرفة، كما بين ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرهما ، انتهى.

قلت : ولما نقل الذهبي في تلخيصه للمستدرك قول الحاكم صحيح فقال :

قلت: بل موضوع، وعبد الرحمن واهٍ ثم قال: رواه[١] عبد الله ابن مسلم الفهري وترجم في اللسان لعبد الله بن مسلم بن رشيد، وقال : ذكره ابن حبان : متهم بوضع الحديث وقال - أي الذهبي في الميزان - حدثنا عنه جماعة يضع على ليث ومالك وابن لهيعة. لا يحل كتب حديثه [٢] انتهى.

وبقية كلامه : وهذا شيخ لا يعرفه أصحابنا ، وإنما ذكرته لئلا يحتج به أحد من أصحاب الرأي لأنهم كتبوا عنه ، فيتوهم من لم يتبحر في العلم أنه ثقة. وهو الذي روى عن ابن هدية نسخة كأنها معمولة . ثم ترجم لعبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري وقال : روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن

---

(١) المستدرك جـ ٢ ص ٦١٥.

(٢) اللسان جـ٣ ص٣٥٩ .

أسلم خبرًا باطلاً فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك.

قال الحافظ : قلت : لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته اهـ.

ومن هذا يتبين أن عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري متهم بالوضع أيضًا ، فكيف يصح خبر فيه هذه البلايا والطوام؟ والحمد لله الذي أرانا الحق وعلمنا ما لم نكن نعلم .

الحديث السادس

سادسًا : ومن هذا الباب حديث موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير [1] بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا أنه قال: **«من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر، وليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته : اللهم إني أسألك بأنك مسئول لم يُسأل مثلك ولا يسأل وأسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى**

---

(١) ترجم لموسى بن عبد الرحمن في اللسان ٦/ ١٢٤ وقال فيه الثقفي الصنعاني : ليس بثقة، يعرف بأبي محمد المفسر. وترجمه ابن حبان في الضعفاء والمجروحين ٢/ ٢٤٢ فقال: شيخ دجال يضع الحديث . اهـ .

روحك وكلمتك ووجيهك» وذكر تمام الدعاء .

وموسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين . قال أبو أحمد بن عدي فيه : منكر الحديث. وقال أبو حاتم ابن حبان : دجال يضع الحديث ، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل .

قال ويروى نحو هذا عن ابن مسعود دون الصوم من طريق موسى ابن إبراهيم (١) عن عبيدة عن شقيق عن ابن مسعود.

وموسى بن إبراهيم هذا قال فيه يحيى بن معين : كذاب .

وقال الدارقطني : متروك .

وقال ابن حبان : كان مغفلاً يلقن فيتلقن فاستحق الترك.

ويروى هذا عن عمر بن عبد العزيز عن مجاهد بن جبر عن ابن مسعود من طريق أضعف.

---

(١) ترجم له في اللسان ٦/ ١١١ وقال موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزي عن ابن لهيعة كذبه يحيى وقال الدارمي وغيره : متروك . ثم أورد له حديث الحفظ هذا من طريق ابن مسعود بعد قوله : فمن بلاياه. . . إلى أن قال : وقال محمد بن الربيع الجيزي : رأيته وكان صاحب فقه ثم جاء إلى الجامع فتفقه مع قوم هناد ثم جاء بكتاب فقه فقرأ في الجامع ، فجاء أصحاب الحديث فقالوا له : أمل علينا . فأملى عليهم عن ابن لهيعة وغيره شيئًا لم يسمعه قط ولم يسمع هو قط حديثه ، لا أدري ايش قصه ذلك الكتاب اشتراه أو استعاره أو وجده اهـ .

والمقصـود هنا أنه ليس في هذا الباب حـديث واحد مـرفوع إلى النبي ﷺ يعتمد عليه في مسألة شرعية باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروي فـي ذلك إنما يعـرف أهل المعـرفـة بالحـديـث أنه من الموضوعات، إما تعمدًا من واضعه وإما غلطًا منه .

وفي الباب آثار عن السلف أكثرها ضعيف. انتهى نقلاً عن كتاب (التوسل والوسـيلة) بتصرف ، وقد عـرفت مما تقدم أنه لا يصح في التوسل شيء ، وما صح فليس فيه دليل على ذلك ، والله أعلم .

أما الـقول بجـواز التوسل به قـبل خلقه فـهو مـبني على صـحة حديث عـبد الرحـمن بن زيد بن أسلم ، وقـد تقدم أنه مـوضوع أو منكر ، وأنه لا يصح لا هو ولا سائر الأحاديث الوردة في التوسل.

وأما في البـرزخ فهـو بناء على عدم التـفرقـة بين حياته الـدنيوية وحياته البرزخية. وقد سبق البحث في ذلك مستوفي.

وأما الـتوسل به في عـرصات القـيامة فـهو جـائز كمـا ثبت في أحاديث الشفاعة ، وهي في غاية الصحة والكثرة ، ولكن شفاعته في الآخرة لا تنفع إلا أهل التوحيد كما في حديث أبي هريرة الذي تقدم : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟قال : « **من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» [1] ولمن شاء الله من أهل التوحيـد وأذن في الشفاعة

(١) تقدم تخريجه.

فيه كما قال تعالى : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾[(١)] .

أما إذا كان المشفوع له غير أهل للشفاعة ، كأهل الشرك الذين ماتوا عليه ، أو كان أهلاً ولكن لم يؤذن له في الشفاعة ، كبعض أصحاب الكبائر من الموحدين الذين استحقوا دخول النار ، فإن الشفاعة لا تنفعهم بل ولا تحصل إلا بعد الإذن .

وقد تقدم قول النبي ﷺ : « **لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول : يا محمد أغثني ، فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغت**» . . الحديث[(٢)] .

وقوله لعمه وعمته ، وابنته : « **اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا** »[(٣)] .

وإذا كان إبراهيم عليه السلام لم ينفع أباه ، ونوح عليه السلام لم ينفع ابنه ، والنبي ﷺ لم يوذن له في الاستغفار لعمه ولا لأمه، ألا يكفي كل هذا ؟ ألا يكون في ذلك مقنع لكل مسلم يريد الحق أن يطلب الشفاعة من الله الذي يملكها وقد قال عز من قائل: ﴿ **قل لله الشافعة جميعًا** ﴾[(٤)] وأن يتوسل إلى الله بالعمل الصالح والكسب

(١) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الزمر الآية ٤٤.

النافع، وألا يعتمد في دينه على الخرافات والترهات والموضوعات والواهيات . اللهم اهدنا فيمن هديت .

قال : التبرك بالقبر الشريف بالتزام وتمريغ وتقبيل

قال: لم نجد في المقام قولاً بالحرمة لأحد من أعلام المذاهب الأربعة ممن لهم ولآرائهم قيمة في المجتمع، وإنما القائل بالنهي عنه من أولئك يراه تنزيهًا لا تحريمًا ، ويقول بالكراهة مستندًا أن الدنو من القبر الشريف يخالف حسن الأدب ، ويحسب أن البعد أليق به ، وليس من شأن الفقيه النابه أن يفتي في دين الله بمثل هذه الاعتبارات التي لا تبني على أساس وتختلف باختلاف الأنظار والآراء .

نعم هناك أناس شذت عن شرعة الحق وحكموا بالحرمة قولاً بلا دليل ، وتحكمًا بلا برهان، ورأيًا بلا بينة ، وهم معروفون في الملإ بالشذوذ لا يبعأ بهم ولا بآرائهم. فها نحن نقدم بين يدي القاريء ما يوقفه على الحقيقة ويريه صواب الرأي وجدد الطريق . وعند جهينة الخبر اليقين . . . اهـ.

ج - وأقول : الجواب على هذا المقطع من وجوه:

أولاً: قوله: لم نجد في المقام قولاً بالحرمة لأعلام المذاهب الأربعة

وأقول : أخزى الله الأبعد وأرغم الله أنف المخذول ، تترك كتاب

الله وسنة رسوله ، بل وإجماع الأمة أجمع من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعتبرين ومنهم الأئمة الأربعة ، وتشبثت بأقوال قوم ضالين نحوك ومفتونين مثلك ؟! وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ (١) ألا يكفي أن رسول الله ﷺ قال : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** » وقال : « **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » وقال : « **لعنة الله على اليهود والنصري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » وسماهم شرار الخلق عند الله ؟ وغير ذلك من النصوص التي تقدمت ، ثم بعد هذا تقول : لم نجد في المقام قولاً بالحرمة . كأن الحرمة لا تؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله وإنما تؤخذ من أقوال الرجال !!

ثانيًا : أما قولك : نعم هناك أناس شذت عن شرعة الحق وحكموا بالحرمة قولاً بلا دليل . . . انتهى .

وأقول : لا أدري ما هي شرعة الحق عندك! أهي شرعة الوثنية وعبادة القبور بالتمرغ على ترابها والتقبيل لأعتابها والتأله لأصحابها أم ماذا؟! أما الأحاديث النبوية الصحيحة فقد أبيتموها وتمسكتم بالموضوعات والواهايت والشواذ التي تخالف الكتاب والسنة الصحية وإجماع سلف الأمة .

---

(١) سورة يونس الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

ثالثًا : وأما قولك : وهم معروفون في الملإ بالشذوذ ولا يعبأ بهم ولا بآرائهم .

وأقول : هذا تعريض بأهل السنة ممثلين في شيخ الإسلام والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - اللذين شننت عليهما حربًا شعواء لا لشيء سوى أنهما قالا بالحق ودعوا إليه امتثالاً لأمر الله وجهادًا في سبيله وإحياءً لسنة رسوله ﷺ وعقيدة التوحيد التي أماتها أمثالكم من دعاة الباطل ومروجي الوثنية.

وأما قولك : لا يعبأ بهم ولا بآرائهم ، فإنما يفعل ذلك كل مفتون وزائغ . ومن عاداهم فإنما يعادي الكتاب والسنة التي دعوا إليها .

رابعًا : وأما قولك فها نحن نقدم بين يدي القاريء ما يوقفه على الحقيقة ويريه صواب الرأي وجدد الطريق وعند جهينة الخبر اليقين .

وأقول : أي حقيقة عندك وأي يقين لديك وأنت لا تأخذ إلا كل مكذوب؟ وقد بينا والحمد لله كذلك فيما سبق من الأحاديث التي أوردتها بما نقلناه عن رجال الحديث وجهابذته.

والآن سأبين كذب هذه النقول والآثار والحكايات التي أوردتها بما سأنقله إن شاء الله عن رجال الحديث وجهابذة الجرح والتعديل ونقاد الرجال ، والله الموفق والمعين.

قال : أخرج الحافظ ابن عساكر في (التحفة) من طريق طاهر

ابن يحيى بن الحسين ، حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال : لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

قلت : هذا الأثر لو صح سنده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان منقطعًا ؛ لأن محمد بن علي لم يدرك جده علي بن أبي طالب الذي هو جد أبيه ، ولا أدركه أيضًا أبوه علي بن الحسين ، لأن علي بن الحسين كان يوم قتل أبوه مراهقًا لم يكن بلغ الحنث كما ذكر ذلك المؤرخون .

وهناك قول آخر أنه كان ابن (٢١) سنة وكان ذلك في سنة إحدى وستين وجده توفي في عام الأربعين .

فالأثر منقطع من جهة وفيه ثلاثة مجهولون وهم : طاهر بن يحيى وأبوه وجده .

فقد فتشت عن طاهر بن يحيى وأبيه يحيى بن الحسين في (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم و (لسان الميزان) و (تهذيب التهذيب)

لابن حجر ولم أجد لهما ترجمة [١] وأما جده فلم ينسب حتى أبحث عنه ، ولعلهم جميعًا من رجال الشيعة ، فهم الذين يروون مثل هذه الأخبار الواهية. وبالجملة فكيف يثبت خبر فيه هذه البلايا ، انقطاع سنده -بل إعضاله- والجهل بثلاثة من رواته ؟

ومع هذا فلو صح عن فاطمة رضي الله عنها فلا يكون فيه دليل ، لأن قول الصحابي أو فعله لا يكون مستندًا ولا حجة إلا إذا وافقه جميع الصحابة وكان إجماعًا إقراريًا منهم كما تقدم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ولم يعارض أيضًا أي : لم يعارضه غيره من الصحابة. وهذا الأثر مع انقطاعه والجهل برواته ، فإنه معارض لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث المتقدمة.

وقال في ص ٦٣ عن أبي الدرداء قال : إن بلالاً مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه حزينًا وجلاً خائفًا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما . الحديث. أخرجه الحافظ ابن عساكر وعبد الغني المقدسي وابن السبكي في

(١) وقد بحثت عنهما فيما استجد لي اقتناؤه من كتب التراجم ككتاب الضعفاء والمجروحين لابن أبي حاتم وتعجيل المنفعة برجال الأربعة لابن حجر فلم أجد لهما ترجمة .

(شفاء السقام) .

ج - قلت : هذا الأثر احتج به ابن السبكي في اعتراضه على شيخ الإسلام، وحكم على إسناده بالجودة ، ورد عليه الحافظ ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) فقال : : وقوله إسناده جيد خطأ منه ، وكذلك قوله : إنه نص في الباب .

وقد ذكر هذا الأثر الحاكم أبو أحمد محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري في الجزء الخامس من فوائده. ومن طريقه ذكره ابن عساكر في ترجمة بلال. وهو أثر غريب منكر، وإسناده مجهول ، وفيه انقطاع . وقد تفرد به محمد بن الفيض الغساني عن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال [1] عن أبيه عن جده ، وإبراهيم بن محمد هذا شيخ لا يعرف بثقة وأمانة ولا ضبط وعدالة ، بل هو مجهول غير معروف بالنقل ولا مشهور بالرواية ، ولم يرو عنه غير محمد بن الفيض ، روى عنه هذا الأثر المنكر. . إلى أن قال : وقدم أبو زرعة[2]

---

(١) ترجمه في اللسان ١/١٠٧ وقال : فيه جهالة . حدث عنه محمد بن الفيض الغساني . ترجم له ابن عساكر . ثم ساق من روايته عن أبيه عن جده بلال بن أبي الدرداء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء في قصة رحيل بلال إلى الشام وقصة مجيئه إلى المدينة . . إلخ وهي قصة بينة الوضع .

(٢) أبو زرعة الرازي الإمام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم الرازي . سمع أبا نعيم والقعنبي وغيرهما ، وكان من أفراد الدهر حفظًا وذكاء ودينًا وإخلاصًا ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٦٨ تذكرة ٥٥٩ .

وأبو حاتم الرازيان ومحـمد بن مسلم بن واره [١] ويعقوب بن سفيان الفسوي [٢] وغـيـرهم من الحفـاظ إلى دمـشق ، وكـان هذا الشـيخ مـوجودًا في ذلك الـوقت ، ولم يرو عنه أحـد منهم ، وهو من ولد أبي الدرداء. فلو كان من أهل الحـديث أو كان عنده علم أو له رواية لرووا عنه وسمعوا منه.

قال : وقـد روى بعضـهم عن إبراهيم بن يحيى الغسـاني، وقد علم أن إبراهيم ابن هشام [٣] شيخ متهم بالكذب، لا يعرف الحديث

---

(١) الحافظ الكبير الـثبت أبو عبد الله محمد بن مـسلم بن واره الرازي . سمع الفريابي وأبا عاصم وأبا نعـيم . حدث عنه النسائي والبـخاري خارج الصحـيح . مات سنة ٢٧٠ في رمضان . تذكرة ص ٥٧٥ .

(٢) الحافظ الحـجة أبو يوسف يعقـوب بن سفيان بن جـوان الفاربي الفسـوي صاحب التاريخ الـكبير . سـمع أبا عاصم والأنصـاري ومكي بن إبراهيم ، وعنه التـرمذي والنسائي وابن خزيمة وغيرهم . . . مات سنة ٢٧٧ ، تذكرة ٥٨٢.

(٣) إبراهيم بن يحيى هو إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني ، مرة نسبه إلى جده ومرة نسبه إلى أبيه ، وهو واحد ، ترجمه ابن حجر في اللسان ١/ ١٢٢ ترجمه ٣٧٢ فقال : إبراهيم ابن هشام بن يحيي بن يحيى الغساني عن أبيه ومعروف الخياط وعنه ابنه أحمد ويعقوب الفسوي والفريابي وابن قتيبة وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل. ذكره ابن حبان في الثقات وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة وحكاه ابن الجوزي مقرًا له وقال الذهبي : متروك . وقال أبو العرب عن أبي الطاهر المقدسي أنه قال : إبراهيم بن هشام بن يحي الغساني ضعيف . اهـ بتصرف.

ولا يدري به ولا يحتج بروايته. وقد روى عنه غير واحد من أهل الحديث من الرحالة وغيرهم ، ولم يرو أحد منهم عن إبراهيم بن محمد .

فلو كان من أهل النقل والرواية أو عنده علم أو حديث لأخذوا عنه وسمعوا منه كما أخذوا عن إبراهيم بن هشام ، فلما لم يرووا عنه ، بل تركوه وأعرضوا عنه مع حرصهم على لقاء الشيوخ وشدة اعتنائهم بالرواية دل على أنه عندهم أسوأ حالاً من إبراهيم بن هشام. . . إلى أن قال : ونحن نطالب هذا المعترض الذي يتكلم بلا علم فنقول له : لم قلت : إن هذا الأثر الذي رواه إبراهيم بن محمد إسناده جيد ؟ ومن قال هذا قبلك ؟ ومن وثق إبراهيم بن محمد هذا أو احتج بخبره وأثنى عليه من أهل العلم والحديث؟ والمحتج بالحديث عليه أن يبين صحة إسناده ودلالته على مطلوبه، وأنت لم تذكر في إبراهيم بن محمد المنفرد بهذا الخبر شيئًا يقتضي الاحتجاج به وبروايته والرجوع إلى قبول خبره .

فقولك : فيما تفرد به ولم يتابع عليه إسناده جيد دعوي مجردة مقابلة بالمنع والرد وعدم القبول. والله أعلم .

وأما محمد بن سليمان بن بلال والد إبراهيم ، فإنه شيخ قليل الحديث لم يشتهر من حاله ما يوجب قبول أخباره إلى أن قال : وأما سليمان بن بلال فإنه رجل غير معروف ، بل هو مجهول الحال ،

قليل الرواية لم يشتهر بحمل العلم ونقله ، ولم يوثقه أحد فيما علمناه. . . إلى أن قال والحاصل أن مثل هذا الإسناد لا يصلح الاعتماد عليه ولا يرجع عند التنازع إليه عند أحد من أئمة هذا الشأن . مع أن المعترض لم يذكر شيئًا في محل النزاع أمثل منه ولا اعتمد في المسألة على شيء أقرب منه ، ولهذا زعم أنه نص في الباب .

ومع هذا فليس بثابت ولا صحيح ، ولو كان ثابتًا لم يكن فيه حجة على محل النزاع اهـ.

وأقول : إن مما يوضح أن الحديث موضوع وليس بصحيح قوله : إن بلالاً تمرغ على القبر . وهل يعقل أن يتمرغ بلال على تراب القبر وإن كان قبر أشرف الخلق ؟ هل يعقل أن يتمرغ عليه بلال وهو من هو في قدمه في الإسلام وصحبته للنبي ﷺ في السفر والحضر وفهمه للشريعة فهمًا تامًا ؟ إن الإسلام أساسه توحيد الله . وهو الذي كان المشركون يضعون الصخرة على صدره في اليوم الشديد الحر في البطحاء وهو يقول : أحد أحد . أيتصور ممن هذا شأنه أن يتمرغ على القبر؟ لا والله! وما هذا وأمثاله إلا من الموضوعات التي وضعها من يريد إعادة الوثنية إلى الإسلام. والله أعلم.

وإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قد خصوا التبرك برسول الله ﷺ في حياته فكانوا يتبركون بذاته وفضلاته وبكل ما لامس جسده الشريف، من بصاق ومخاط ونخام وعرق، وكما ثبت ذلك

في أحاديث كثيرة وصحيحة في غاية الصحة، مثل حديث أبي جحيفة في الصحيحين: فمن ناضح ونائل [١] ومثل حديث أنس ﷺ في اقتسام شعره حين حلق في حجة الوداع[٢] ولكنهم بعد موته لم يتبركوا بأحد من الأحياء ممن يعرفون فضلهم وسابقتهم وهجرتهم وقدم إسلامهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة وغيرهم.. لم يؤثر عن أحد من الصحابة بسند صحيح أنه تبرك بأحد منهم. وهذا يدل على أنه مخصوص به ﷺ ولم يؤثر أن أحداً منهم كان يدخل إلى قبره فيقف عنده على كثرة ترددهم على مسجده ﷺ للصلاة ولتعلم العلم، بل لما ابتدع ذلك بعد عصر الصحابة أنكر مالك على من فعله، وهو إمام أهل الحجاز في زمانه. كما أنكر ذلك قبله علي بن الحسين والحسن بن الحسن رحمهما الله تعالى بل لقد حصب الحسن بن الحسن من رآه يلتزم القبر. أفيليق بعد هذا أن ينسب إلى أحد من عامتهم فضلاً عن فضلائهم وذوي القدم والسابقة فيهم أنه تمرغ على تراب القبر؟ سبحانك ربي هذا بهتان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس رقم ١٨٧ وأخرجه ٣٧٦، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٠، ٦٣٣، ٣٥٥٣، ٣٥٦٦، ٥٧٨٦، ٥٨٥٩، وأخرجه مسلم في أبواب سترة المصلي ٢١٨/٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١. وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان رقم ١٧٠، ١٧١ وأخرجه مسلم في باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر، ثم يحلق والابتداء بالحلق في الجانب الأيمن ٥٢/٩، ٥٣، ٥٤.

عظيم!

ثالثًا : قال : عن علي أمير المؤمنين - رضي الله عنه - قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاث أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه من ترابه ، وقال : يا رسول الله: **قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك،** وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله** ﴾ الآية . وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر : قد غفر لك . أخرجه السمعاني [1] وابن نعمان المالكي وأبو الحسن الكرخي [2] وشعيب حريفيش. . إلخ اهـ.

وإليك الجواب نقلاً عن كتاب (**الصارم** المنكي) قال ابن عبد الهادي رحمه الله :

والجواب : أن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم ، أظنه الطائي ، فإن يكن

---

(١) هو الحافظ العلامة تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم السمعاني . ولد سنة ٥٠٦ وتوفي سنة ٥٦٢ وله ٥٦ سنة . ترجمة الذهبي في التذكرة طبقة ١٦ ص١٣١٦.

(٢) أبو الحسن الكرخي عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي الحنفي . فقيه أديب . ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٤٠ معجم المؤلفين لكحالة ٦/ ٢٣٩.

هو فهو متروك كذاب، وإلا فهو مجهول. وقد ولد الهيثم بن عدي في الكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها . قال عباس الدوري: سمعتُ يحيى بن معين يقول : الهيثم بن عدي (٣) كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقال العجلي وأبو داود: كذاب (٤) .

وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي : متروك الحديث.

وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه .

وقال أبو زرعة : ليس بشيء .

وقال البخاري : سكتوا عنه أي : تركوه .

وقال ابن عدي : ما أقل ما عنده من المسند وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار .

وقال ابن حبان : كان من علماء الناس بالسير وأخبار العرب ، إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات.

وقال العباس بن محمد : سمعت بعض أصحابنا يقول : قالت

---

(٣) ترجمة ابن حبان في كتاب المجروحين والمتروكين ٣/ ٩٢ ، ٩٣ ، وترجمه في اللسان ٦/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ترجمه مطولة وذكر أنه مات سنة ٢٠٧ وقيل ٢٠٦.

(٤) الثقات للعجلي ٤٦٢.

جارية الهيثم : كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي ، فإذا أصبح يجلس يكذب[1] .

قلت : ومن هذا يتبين أن الحديث مكذوب ومختلق لا يمت إلى الصحة بصلة، وثانياً أن الاستدلال بهذه الآية على زيارة قبر النبي ﷺ وعلى أن المجيء إلى قبره مساوٍ للمجيء إليه في حال حياته ، وأن الاستغفار عند قبره يساوي استغفاره لمن طلب منه ذلك في حياته باطل لأمور:

أولها : أن الآية علقت ذلك بثلاث أمور هي :

١ - المجيء إليه في حياته ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك**﴾.

٢ - استغفارهم لأنفسهم بصدق وإخلاص.

٣ - استغفر الرسول ﷺ لهم وذلك في حياته فقط.

ثانياً: أن الأول والثالث قد امتنعت بعد موته، لأن المجيء إلى قبره لا يساوي المجيء إليه كما سبق ، واستغفاره ليس بمعلوم ، لأنه لا يبلغ إلا صلاة المصلين وسلام المسلمين عليه كما ثبت ، وما عداه لم يرد من السنة الصحيحة ما يدل على أنه يسمعه أو يبلغه .

---

(١) اللسان ٦/ ٢٠٩.

ومن ادعى خلاف ذلك فعليه الدليل. ويتبين من هذا أنه لم يثبت إلا الثاني، ولا يتوقف قبوله على حصوله عند القبر، بل في أي وقت وأي مكان وقع بإخلاص من المستغفر قبل.

ثالثًا: أنه لم يعرف أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك بعد موته، وهم أفضل من أن يحصل منهم ذلك.

رابعًا: قال ابن عبد الهادي: ومما يدل على بطلان تأويله قطعًا أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه، كان مذمومًا غاية الذم مغموصًا في النفاق. ولا يكون كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن سوّى بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق. اهـ.

قلت: وهل يتصور أن يستغفر القبر لأحد؟ كلا.

رابعًا: [1] قال عن داود بن أبي صالح: أقبل مروان [2] يومًا فوجد

---

(١) رابعًا من الآثار التي استدل بها الخصم.

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس مولده بمكة وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر. قيل له رؤية وذلك محتمل. كان كاتبًا لابن عمه عثمان وكان على الخاتم، وولي إمرة المدينة لمعاوية عدة مرات، استولى على مصر والشام تسعة أشهر بعد أن هزم الضحاك بن قيس الفهري، ثم مات خنقًا من أول=

رجلاً واضعًا وجهه أي : جبهته على القبر ثم قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري (٢) قال : نعم إني لم آت الحجر، وإنما جئت رسول الله ولم آت الحجر. سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله**» أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ ص٥١٥

=رمضان سنة ٦٥ . اهـ من سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/ ٤٧٦ وما بعدها .

تنبيه: حديث لعن الحكم وقول الحسين لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه لا يصح، فيه رجل مجهول هو أبو يحيى، قال عنه الذهبي: وأبو يحيى هذا نخعي، لا أعرفه، وحديث «**إذ بلغ بنو العاص ثلاثون رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ودين الله دغلاً وعباد الله خولاً** » لا يصح أيضًا ، لأنه من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا وعطية العوفي شيعي كذاب كان يروي عن محمد بن السائب الكلبي الكذاب الآخر ويكنيه أبا سعيد ويوهم أنه سمعه من أبي سعيد الخدري، وكان الكلبي سبئياً يرى الرجعة أي : أنه من الذين يقولون أن علي ابن أبي طالب سيعود فيملأ الدنيا عدلاً كما مئلت جورًا وكانوا إذا رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها . انظر كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ قلت ولا أستبعد أن يكون هذا الحديث من مروياته عن الكلبي فيكون فيه كذابان ونقله الذهبي عن أبي هريرة موقوفًا وسكت ، وعزاه المعلق لابن عساكر في التهذيب فينظر السند إى العلاء بن عبد الرحمن . أي سند الموقوف قال المعلق على سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٨ وله طرق أوردها ابن كثير في البداية ٨/ ٢٥٩ وكلها لا تصح .

(٢) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي النجاري البدري السيد الكبير الذي خصه رسول الله ﷺ بالنزول عليه حين نزل المدينة ، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة شهد بدرًا وما بعدها ، وكان ملازمًا للغزو بعد النبي ﷺ حتى مات في غزوة يزيد للقسطنطينية سنة ٥٢ رضي الله عنه وقيل سنة ٥٠ . النبلاء ٢/ ٤٠٢.

وصححه هو والذهبي في تلخيصه.

ج - **قلت** : في سنده كثير بن زيد . قال فيه أحمد : ما أرى فيه بأساً.

وقال ابن معين : ليس به بأس .

وقال يعقوب بن شيبة: ليس بذاك الساقط وإلى الضعف ما هو.

وقال أبو زرعة : صدوق فيه لين.

وقال أبو جعفر الطبري: كثير بن زيد عندهم ممن لا يحتج بحديثه .أما داود بن صالح فقد قال في (التهذيب : حجازي روى عن أبي أيوب وعنه الوليد بن كثير .

قلت : قرأت بخط الذهبي : لا يعرف .

وقال في (الميزان) : لم يرو عنه غير الوليد بن كثير .

قلت : الحديث الذي أشار إليه أخرجه أحمد والحاكم من طريق العقدي عن كثير عن داود عن أبي أيوب، فأخشى أن يكون قوله : روى عنه الوليد بن كثير وهمًا ، وإنما هو كثير بن زيد[1] والله أعلم .

وبهذا يتبين أنه ليس بصحيح ، لأنه من رواية من لا يحتج به عمن لا يعرف . ثم هو مخالف لما صح عن النبي ﷺ وعن

---

(١) تهذيب ٣/ ١٨٨ ، ١٨٩ .

أصحابه ، وعلي فرض صحته عن أبي أيوب فليس فيه حجة ، لأن قول الصحابي وفعله لا يكون حجة إلا إذا لم يخالف نصاً عن المعصوم ﷺ ولاقول صحابي آخر، وهنا خالف الأحاديث الصحيحة وخالف المقطوع به من عمل الصحابة والتابعين ، ولا شك أن الشيعة وضعوا أحاديث كثيرة في بني أمية وفي ترويج مذهبهم، ولعل هذا واحد منها . والله أعلم.

وأما الأثر الذي رواه عن محمد بن المنكدر [1] أنه كان يضع خده على قبر النبي ﷺ يستشفي به ، فنحن نطالبه أولاً بصحة ذلك عن محمد بن المنكدر ، وثانيًا لو صح عنه فهو غير حجة، فكل رادٌ ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ .

وكذلك نقول فيما حكاه عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [2]

(١) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني . قال مالك : سيد القراء قال الذهبي : مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل ، توفي سنة ١٣٠ تذكرة ١/ ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) ما حكاه في ص٦٦ عن العز بن جماعة الحموي الشافعي المتوفي سنة ٨١٩ في كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد عن أبيه من رواية أبي علي بن الصوف عنه . قال عبد الله : سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله قال : لا بأس . ونقل أيضًا عن الحافظ أبي سعيد بن العلاء قال : رأيت في جزء عليه خط ابن ناصر وغيره أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره فقال : لا بأس ، فأريناه التقى ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك .

علمًا بأن الإمام أحمد هو أكثر الأئمـة تمسكًا بالسنة ومتابعة لها ، فإن كان قـد قال بجواز مس المنبـر تأسيًـا بما روي عن عبد الله بن عـمر فذلك ليس ببعيـد، أما كونه يجيز تقبيل المنبر تأسـيًا بما روي عن عبد الله بن عمر فـذلك ليس ببعيد ، أما كـونه يجيز تقبيل المنبـر أو تقبيل القبر ، فـذلك شيء لا نصدقه، لما عرفناه عن هذا الإمـام من حرصه على متـابعة السنن إلى حـد أنه يترك بعض الرواة لا لـشيء سوى أنه يشتغل بالرأي.

وأخيـرًا فنحن نطالب بإثبات ذلـك بسند صحيح إلـيه أو نقل راوٍ موثوق ممن عـرفوا بتدوين مذهـبه ، مع العلم أنه لو ثبت عنه أو عن غيره أنه أجاز ذلك فإنه لا يجب المصـير رليه ، بل ولا يجوز أيضًا ، لأن الله عـز وجل لم يكلفنا بابتـاع أحـد غيـر رسـوله ﷺ فقـال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1] وقال أيضًا : ﴿ اتبعـوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبـعوا من دونه أولياء قليـلاً ما تذكرون﴾ [2] فـالإمام أحـمد رحـمه الله وغـيره من السلف إنما بعـد صـيتـهم وعظمت أقدارهم عـند المسلمين بسـبب عنايتـهم بالشريعـة وتعظيمهم لهـا ومتابعتهم إياها ، فـإن وقع من أحد منهم شطحة في الرأي أو كبوة في الفهم لرأي رآه أو تأويل تأوله لم يجز لأحد متابعته

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣.

عليه ، فالرجل يوزنون بالشرع ، وليس الشرع يوزن بالرجال ، والناس يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالناس.

ثالثا: إذا أجاز عبد الله بن عمر لمس المنبر الذي لامسه جسد النبي الكريم ﷺ للتبرك به واعتبر ذلك معقولاً في الشرع ، فإنه لا يتصور ولا يصح أن يتصور أن يجيز عبد الله بن عمر أو الإمام أحمد أو غيرهما من السلف التبرك بلمس ما لم يلامسه جسد النبي الكريم ﷺ بل أحدث بعده بأزمنة طويلة.

رابعًا : أن رأي عبد الله بن عمر هذا لو صح عنه فهو رأي فردى لم يوافقه عليه جمهور الصحابة بل خالفوه فيه، ولو أنهم تابعوه على ذلك لأثر عن بعضهم فعله.

أما ما رواه الذهبي في (تذكرة الحافظ) من طريق الطبراني : أخبرنا إبراهيم بن أحمد الحاسب أنبأنا إسماعيل بن ظفر أنبأنا أحمد بن محمد التيمي أنبأنا الحداد أنبأنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن جعفر أنبأنا محمد بن عاصم أنبأنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع أن ابن عمر كان يكره أن يكثر مس قبر النبي ﷺ .

فهو دليل عليكم لا لكم ، لأنه إذا جاز المس العفوي الذي لا يكون مقصودًا للتبرك في حين أن كان القبر مكشوفاً ، فإنه لا يجوز متابعة المس ، لأن ذلك يدل على التبرك الذي يفضي إلى الشرك.

ثم إن رأي عبد الله بن عمر في توخي المنازل التي كان ينزلها رسول الله ﷺ والمذاهب التي كان يذهبها والأماكن التي كان يصلي فيها قد خالفه فيه أبوه ونهى عن ذلك. ألا وهو الخليفة الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وافق القرآن رأيه في ستة مواضع.

قال الحافظ: ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٦٩) في باب المساجد التي في طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ في شرح حديث ابن عمر في لك، وهو حديثه الطويل في المواضع التي نزل بها النبي ﷺ أو صلى فيها قال: ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهور.

ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلى فيه النبي ﷺ فقال: من عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض، فإنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً. لأن ذلك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة، أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجبًا، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر.

وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذه مصلى، وإجابة النبي ﷺ إلى ذلك، فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين.

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز جزاه الله خيرًا معلقًا عل يهذا الموضع في النسخة التي طبعت بتحقيقه من الفتح : هذا خطأ ، والصواب ما تقدم في حاشية ص٥٢٢وغير النبي ﷺ لا يقاس عليه في مثل هذا .

والحق أن عمر رضي الله عنه أراد بالنهي عن تتبع آثار الأنبياءاسَدَّ الذريعة إلى الشرك، وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه رضي الله عنهما ، وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر ، ولس في قصة عتبان ما يخالف ذلك ، لأنه فى حديث عتبان قصد أن يتأسى به ﷺ في ذلك بخلاف آثاره في الطرق ونحوها ، فإن التأسي به فيها وتتبعها غير مشروع كما دل عليه فعل عمر . وربما أفضى ذلك بمن فعله إلى الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب . والله أعلم اهـ.

قلت : ما قرره الشيخ عبد العزيز جزاه الله خيرًا هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه أبدًا لأمور .

أولاً : إن التبرك ذريعة إلى الشرك ، ومن طريقه دخل الشرك في أمة محمد ﷺ . شاهده ما حصل في قوم نوح كما في الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ثانيًا : إن الصحابة - رضي الله عنهم لم يتبركوا بأحد من فضلائهم بعد رسول الله ﷺ فكان إجماعًا منهم على تخصيص

الرسول ﷺ به دون سواه .

ثالثًا : التبرك معناه التماس البركة من غير الله عز وجل ، وذلك غير جائز لأنه ضرب من التأله لغير الإله الحق ، ولذلك سماه النبي ﷺ تألهًا في حديث أبي واقد الليثي حين مروا بالمشركين وهم لهم سدرة ينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط أي : يعلقونها بها التماسًا لبركتها. فقالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنوات كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ : « **الله أكبر ! إنها السنن . قلت والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى اجع لنا إلهًا كما لهم آلهة**» (١) ، فسمى النبي ﷺ التبرك تألهاً أي : تعبدًا ، والتعبد لغير الله محرم.

رابعًا : يخص من ذلك التبرك بالنبي ﷺ فهو جائز ، لما ورد فيه من الأدلة الكثيرة والصحيحة.

خامسًا:أن التبرك بالنبي ﷺ إنما يكون بفضلاته من عرق وبصاق ونخام ومخاط ، وبما لا مس جسده الشريف من ثياب وأواني وبشعره ﷺ أما التبرك بالقبر أو بتراب القبر أو بتراب حجرته أو مسجده فهو محرم، لأنه بدعة في الدين ووسيلة إلى الشرك.

وأما التبرك بالنزول في منازله التي نزلها والصلاة في البقاع التي صلى فيها كما فعل عبد الله بن عمر ، فالحق كراهة ذلك لنهي

---

(١) تقدم تخريجه .

الخليفة الملهم رضي الله عنه ولئلا يؤول الحال بالناس إلى تقديس هذه الأماكن ثم عبادتها كما حصل لبني إسرائيل .

وما حذره عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد وقعوا فيه، فقد بنيت المشاهد والقباب على القبور وعلى المقامات حتى برؤيا شيطانية يراها شخص، فيرى أن الولي الفلاني وقف في مكان كذا أو صلى في مكان كذا فيبني بذلك المكان مشهداً تساق له النذور وتقدم له القرابين ويدعى من دون الله فرضي الله عن الفاروق ، لقد كان له عقل نير وفراسة ثاقبة ، وما أولى الأمة الإسلامية بأن تتبع هدي نبيها وخلفائه رضي الله عنهن .

سادساً: أن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما جاز لأنه ثمرة الإيمان وبه ودليل على صدق إيمان المتبرك ، كما في قصة أم سليم التي رواها مسلم عن أنس إذ كانت تأخذ عرق النبي صلى الله عليه وسلم حين يقيل عندها وتجعله في طيبها، وكما في حديث سهل بن سعد الساعدي عند البخاري بلفظ

جاءت امرأة ببردة - قال سهل : هل تدرون ما البردة؟ قال نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها - قالت : يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسكها؟ فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا وإنها لإزاره ، فجسها رجل من القوم فقال : يا رسول الله أكسينها. قال : «نعم» .

فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها

إليه، فقال له القوم: ما أحسنت سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً. فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه.

والمهم أن التبرك به إنما جاز لأنه من ثمرات الإيمان به وبرسالته وأن له عند الله مقاماً لا يوازيه فيه أحد من بني آدم.

سابعاً: التبرك لا يفيد المنافقين. فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ الحديث... وقال في آخره: ثم أنزل الله: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾[1] فلم يفد عبد الله بن أبي قميص النبي ﷺ إذ كان منافقاً.

ثامناً: أن التبرك المشروع في حق النبي ﷺ اختص به أهل عصره ومن بعدهم بقليل، الذين حصل لهم شيء من ثيابه أو شعره أو عرقه، وآخر من صح أنه كان عنده شيء من شعر النبي ﷺ هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

أما أهل الأزمنة المتأخرة فقد فاتهم ذلك.

---

(١) سورة التوبة الآية ٨٤.

وإذا كان قد فاتهم هذا فإن البركة كـل البركة والخير كل الخير في الاستقامة على هديه واقتفاء سنتـه واتباع طريقه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتقرب إلى الله بتلاوة الكتاب الذي أنزل عليه ودراسة السنة التي نطق بها والعمل بما دلت عليه فعلاً وتركًا : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ [٢] .

أمـا التقـرب إلى الله بـالبـدع والضـلالات، مـن تعظيـم القبـور والمشاهد والتمسح بالتراب وتقديس مـا حرم الله تقديسه ، فذلك فتح باب ضلالة وسلوك سبيل جهالة وارتداد عن الدين واتباع لغير سبيل **المـؤمنين ومـوجـب لغضـب الله، فقـد قـال نبـي الهـدى ﷺ: «اشتـد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** .

وأما قوله: قال الأميني: إن هذا الحديث يعطينا خبراً بأن المنع عن التوسل بالقبـور الطاهرة إنما هو من بدع الأمويين وضلالاتهم منذ عهـد الصحابة ولم تسمع أذن الدنيـا قط صحابيًـا غير وليد بني أمـية مروان الغاشم . . . إلخ انتهى .

ج - وأقـول : سبـحان ربي ما أكـذب هؤلاء وما أقل حـياءهم ! إنهم لجرآء حقاً ولكن على الكذب! وشجعان ولكن على إنكار الحق! ولو كان أوضح من الشمس في رابعة النهار .

---

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١.

ونحن نسألك هذا السؤال ونريد أن تجيب عليه بصراحة لتكون شجاعاً في الحق كما كنت شجاعاً في الباطل فنقول: لماذا نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيداً؟ ولماذا لعن الذين يتخذون القبور مساجد وأخبر أنهم من شرار الخلق عند الله يوم القيامة وأخبر باشتداد غضب الله عليهم؟ ولماذا قال: «**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» ؟ ولماذا قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» ولماذا أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع شجرة الحديبية حين أخبر أن الناس ينتابونها ويصلون تحتها ؟ وما هي العلة التي أمر من أجلها بتعمية قبر دانيال عليه السلام ؟ ولماذا عمي آل علي بن أبي طالب قبره ؟ أما ما هو معروف الآن بمشهد علي ، فهو قبر المغيرة بن شعبة كما حققه أهل العلم .

ولماذا إذا كان التوسل والتبرك بالقبور جائزًا لماذا لم تعرف قبور كثير من الصحابة الذين دفنوا في بقاع الأرض ؟ وتفصيل الجواب على هذا الزعم الباطل قد تقدم بوضح لمن أراد الحق.

والكملة الأخيرة التي نقولها:

نقول : أيها الناس استحيوا من الله أولاً ، واستحيوا من رسول الله ثانياً، واستحيوا من أصحاب رسول الله ثالثًا ، واستحيوا من الأحياء رابعًا ، توبوا إلى الله لعل الله أن يرحمكم فيمن يرحم إذا قدمتم عليه ووقفتم بين يديه . ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وإلى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ فإن أبيتم إلا ما أنتم عليه من

إنكار الحق ونصب العداء لأهله ولمن جاؤوا به مبلغين، وناضلوا من أجله مظهرين وداعين إليه ومجاهدين في سبيل إعلائه من الصحابة الذين بذلوا دماءهم وأموالهم رخيصة لله ولإعلاء كلمته ونشر دينه ومن تبعهم بإحسان من أئمة الإسلام المعتبرين وحمله السنة المجاهدين المجددين فموعدنا معكم بين يدي رب الأرباب ومنزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب في يوم الحشر والمآب والوقوف بين يديه للحساب ، وسيحصد كل منا ما زرع ويجد نتيجة ما كسب .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ (١)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دان بدينه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

وكان الفراغ منه في ١٩/ ٧/ ١٤٠١هـ.

بقلم الفقير إلى رحمة مولاه أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي آل شبير.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

فهرس

صدر حديثاً

١ - الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم والرد عليهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: رسالة دكتوراه للدكتور عبد القادر عطاء صوفي في ٣ مجلدات.

٢ - دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة على أمهات المؤمنين: للدكتور عبد القادر عطاء صوفي، قسم من رسالته الماجستير (مجلد).

٣ - مجرد أسماء الرواة عن مالك: لابن رشيد العطار، تحقيق سالم بن عبد الهادي السلفي (مجلد).

٤ - المنتقى من فتاوى الفوزان: اعتنى بها عادل بن علي الفريدان (٥) مجلدات.

٥ - المنتقى من الفوائد الحسان: للحافظ المزي، تحقيق سامي أنور جاهين (غلاف).

٦ - ذكر من اسمه شعبة: لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق طارق بن محمد العامودي (غلاف).

٧ - اعتقاد أهل السنة والجماعة: للإمام عدي بن مسافر، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي (غلاف).

٨ - رسالة في وجوب التوحيد: للشوكاني (غلاف) تحقيق الدكتور محمد ربيع المدخلي.

٩ - الصحابي الجليل أبو هريرة في ضوء مروياته: للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي (غلاف).

١٠ - فتح الغفور في وضع الأيدي على الصدور: للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي (غلاف).

١١ - فضائل الصحابة وكلام بعضهم في بعض: للدارقطني، تحقيق محمد خليفة الرباح (غلاف).

١٢ - أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة: للشيخ أحمد النجمي (مجلد).

١٣ - الانتصار للصحب والآل من ضلالات السماوي الضال: للشيخ إبراهيم الرحيلي (مجلد).

١٤ - بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود: (عبد الله الجميلي) مجلدان، الطبعة الثانية.

١٥ - أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره: للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، الطبعة الثالثة.

سيصدر قريباً:

١ - كتاب ذم الكلام وأهله: لأبي إسماعيل الهروي (٥) مجلدات.

٢ - كتاب البحر الذي ذخر شرح ألفية أهل الأثر: للسيوطي (٦) مجلدات.